مملكة أود الشيعية
في الهند
(1722 ـ 1859 م)





تأليف

J.R.I.Cole

تعريب خاص بمجلة الموسم لكتاب

Roots of North Indian shiᶜism in Iran and Iraq
Religion and state in A wadh, (1722- 1859).

منشورات جامعة أكسفورد 1989.

القسم الأول

الشيعة في شمال الهند

مقدمة

هناك حادثان معاصران يؤكدان أهمية الدين كعنصر في تكوين الدولة في غرب وجنوب آسيا، وهما نشوء الباكستان في عام١٩٤٧ من الهند أو ظهور دولة الباكستان، والثورة الايرانية (١٩٧٨ ـ ١٩٧٩).

وربما تحدثنا عن «القومية الاسلامية» ولكن من الافضل أن نكون عبارة مثل «الهوية السياسية» بدلا من كلمة «القومية»(١)

ومهمايكن من أمر فإن الفرق الاسلامية وبناء الدولة الاسلامية على أساس ديني قد أحدث تأثيراً عميقاً في التاريخ الحديث لآسيا على نقيض تام مع نمو الدولة غير الدينية في اوربا الحديثة.

واذا أردنا أن ندرس آسيا الاسلامية أو الاسلام في آسيا فيجب ان نبحث في جذور بناء الدولة الدينية(٢) ، لقد كان المسلمون والهنود قبل عام ١٩٤٧ يختلفون في شبه القارة الهندية عن بعضهم.

ان المفاهيم الدينية الاسلامية تشكل بعمق هوية المجتمع حتى أن تشكل الحركات الطائفية على أساس ديني، وتأكيد الهوية السياسية على أساس الدين شيئان من المميزات الاساسية للمسلمين(٣) .

- على ان التجربة التاريخية والتقاليد أو التراث الثقافي يمكن أن يفسر لماذا كانت التفرقة الدينية أو الانفصالية الدينية كانت أكثر أهمية في شمال الهند، عنها في جنوبه، كما انها أيضاً أكثر أهمية في الشرق الاوسط مما هي في شرق آسيا(٤) .

ولما كانت الانفصالية الاسلامية قد نمت كحركة سياسية في وقت مبكر لمنطقة سهل الكانج Gangetic (الآن مقاطعة أوتر براديش)، فإن تاريخ المسلمين يبدو بشكل خاص هاماً لتفهم مواقفهم تجاه الصراع الطائفي، فإن جزءاً هاماً من هذه المنطقة قد حكم في الفترة مابين عامي ١٧٢٢ ـ ١٨٥٦ م، من قبل حكام من الشيعة المسلمين، والسؤال الذي يُطرح هنا هو ماذا كان الحكم الشيعي والافكار الدينية تعني بالنسبة للتقاليد الطائفية في المنطقة.

وفي دراسة هذه المنطقة من شمال الهند التي حكمها الشيعة المسلمون، أهدف الى

---

(١) مالكولم باب، اللغة، الدين والهوية السياسية: إطار عام في كتاب تأليف دافيد تايلور ومالكولم باب، تحرير الهوية السياسية في جنوب آسيا (لندن، ١٩٧٩) ص١ـ٣٣.

(٢) بول براس، الجماعات الدينية والهوية العرقية بين مسلمي جنوب آسيا، في الكتاب السابق ص٣٩.

(٣) فرانسيس روبنسون: الإسلام والانفصالية الإسلامية في الكتاب السابق ص٧٨.

(٤) انظر بندكت أندرسون، المجتمعات الخيالية: إنطباعات حول أصل وانتشار القومية في شمال الهند (لندن، ١٩٨٣) وكتاب براس Brass، اللغة، الدين والسياسة في شمال الهند.

إلى توضيح بعض جذور الحركة الطائفية الإسلامية في سهل الكانج والسياق التاريخي لنشوء السيطرة الدينية في إيران الشيعية.

وأتساءل عما إذا كان شكل واحد من التنظيم الديني قبل الفترة الصناعية أكثر قابلية لأن يؤدي إلى تشكل طائفة حديثة، وتظهر أنه في شمال الهند نشأت أعمال جماعية، شجعها العلماء الشيعة وسادة القوم، وقد شكلت خلفية أساسية ثم فيما بعد سياسة، وبالنظر إلى تكون الايديولوجية لدى العلماء، ساهمتُ في المفاهيم الاساسية لنشاطهم المعاصر.

وهذه الدراسات للشيعة الاسلامية ورجال الدين الشيعة وتنظيماتها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تعالج عدة موضوعات مهمة تشكل أحد جذور الحركة الطائفية الدينية، فهي تتساءل عن دور الدين في التعبير عن القيم الثقافية الاسيوية الفطرية في الوقت الذي توسع فيه النفوذ الاوروبي، كما أن هذه الدراسة تبحث في التأثير الذي أحدثه التغير الاجتماعي والاقتصادي في المؤسسات الدينية وفي القيم، كما أنها تكشف الصلة ما بين العلماء الدينيين والموظفون في الدولة. وهذا يوضح الخطوات التي بواسطتها يمكن للطائفة الصغيرة التي لا قوة لها، ان تصبح مؤسسة دينية كبيرة.

إن الدراسة تهدف إلى الربط مابين التاريخ الاجتماعي وعلم الاجتماع وعلم الاجتماع التاريخي للدين، ونظراً لاهمية خلفية الطائفية الدينية، فإن الدراسة تطرح سؤالاً عن مدى تأثير الانتقال الى مجتمع ديني ما على العلاقات مع سائر المجتمعات الدينية.

وفي بحثي هذا تكونت لدي قناعة بأن المعلومات يمكن ان توضح بشكل أفضل بالرجوع الى علم اجتماع الدين وبأخذ أفكار ماكس ويبر Max Wefer، وهذه القناعة لم تتأكد فقط من خلال كتابتي، بل بالمظهر، وذلك بينما كنت أراجع معالجة أرجموند الممتازة للتشيع في ايران، من عام ١٥٠١ ـ ١٨٩٠ (٥) ، وقد استفدت من أعمال أو مؤلفات بريان ولسون ونبتون جونسون، اللذان وضحا مفاهيم الاجتماع الديني، على انه هناك سؤالاً لم يحل وهو دور الدولة في تعريف الجماعات أو تحديدها كطوائف ومؤسسات دينية، وهو ما يبحث فيه هذا الكتاب. وقد استفدت أيضاً فائدة كبيرة من مؤلفات بريان.س. تورنر وفرانك باركين، وإن كلا من المؤلفين يبحثان في مفاهيم ويبر Weber، وقد وجدت في تطوير باركين لفكرة(الانغلاق الاجتماعي) مساعدة كبيرة لي لتفهم شيئين، اولاً الاحتراف الديني من رجال الشيعة في القرن الثامن عشر، وقيام حدود طائفية متزايدة فيما بين الشيعة المسلمين وسائر الجماعات الدينية.

أما تورنر فقد انتقد الطلاب المسلمين لتأكيدهم على المطابقة الافقية(النموذج المركب من عناصر مختلفة(الفسيفسائي) وفيه تتنافس الجماعات المختلفة والقبائل والاحياء)، واستثناء التحليلات التي بُنيت على أساس المطابقة العمودية(طبقات المجتمع كما تقررها العلاقة بوسائل الانتاج)، وعلى الرغم من أن الطبقات الاجتماعية الحديثة لا تتواجد في جنوب وغرب آسيا ما قبل الفترة الصناعية فإن الطبقات قد تواجدت بالتأكيد.

وإن تصنيف الشيعة إلى الفئات التالية كان له تأثير كبير على شبكاتهم الاجتماعية

---

(٥) انظر ماكس ويبر، الاقتصاد والمجتمع: تحرير. جونز روث وكلاوس ويتيش، مجلدان (بركلي ولوس أنجلس: مطبعة كاليفورنيا،١٩٧٨) الفصل(٦)، وكتاب سيدامير أرجموند: ظل الله والإمام الغائب (شيكاغو، مط. جامعة شيكاغو، ١٩٨٤).

وممارساتهم الدينية[٦] . ١ ـ طبقة حاكمة من أصحاب الاراضي والتجار الاغنياء، ٢ ـ طبقة متوسطة من أصحاب الاراضي المتوسطين والحرفيين، ٣ ـ جماعات العمال والتجار الافقر حالاً.

كذلك فإن هذا الكتاب لدى دراسته للجماعات الدينية ورجالها يؤكد على اهميةٍ تاريخ الشيعة الامامية في معظم أنحاء جنوب وغرب آسيا، فلم يكتب من قبل إلا القليل من الكتابات عن هذا التاريخ، فقد أظهرت الشيعة الاثني عشرية وهي فرع من الشيعية في الاسلام وتشكل ١٠٪ من المسلمين في العالم، منذ عام ١٥٠٠ م ديناميكية مدهشة. فالشيعة يسيطرون على ايران، ويشكلون الغالبية في العراق، ومنهم قسم كبير من الاقليات الهامة في لبنان، سوريا، تركيا، الخليج الفارسي، وأفغانستان وشبه القارة الهندية.

وقد اجتذبت الشيعة في العصور الاسلامية الاولى الاهتمام من قبل الدارسين، طالما ان مسألة خليفة النبي صلى الله عليه وسلم ترد في كل مناقشة حول المجتمع الاسلامي المبكر. وعلى الرغم من ان الشيعة الامامية قد نمت وتطورت خلال قرنين من الزمان فإن بذورها تكمن في التنافس القديم الزعامة ما بين ابن عم الرسول وصهره علي رضي الله عنه، وبين كبار سادة قريش الذين انتخبهم المجلس المؤلف من قلة.

وقد كان معظم المسلمين الاوائل يعتقدون بأن من خلف الرسول بحق هو الخليفة أبو بكر وتبعه عمر ثم عثمان، وأخيراً علي الذي أصبح الخليفة الرابع، لكنه سرعان ما قُتل أو استشهد ثم توصل أعداؤه الامويون إلى السلطة لمدة قرن من الزمان، واعتقد أتباع علي من الشيعة بأن لعلي ونسله الحق في تولي الحكم في العالم الاسلامي، وهكذا كوّن الشيعة فرعاً من الاسلام متحدياً الحكم القائم في العصر.

وقد اعتقد الشيعة الامامية بأن إحدى عشر من نسل الامام علي هم قادة يحق لهم زعامة الامة الاسلامية وقد حال دونهم ودون الحكم الخلفاء الراشدون ثم الامويون وبعدهم العباسيون.

وهم يحتفلون بذكرى وفاة الامام الثالث بشكل خاص وهو(الحسين) توفي ٦٨٠ م، في كربلاء بعد معارضته للملك الاموي يزيد، ويعتبر الشيعة الامامية أن آخر خلفاء الامام الاول، وهو الامام الثاني عشر قد اختفى وهو طفل إلى عالم روحي من حيث يحكم في الخفاء العالم إلى الابد وسيعود يوماً ما في المستقبل[٧] .

وقد كان الاماميون منذ عام ١٥٠٠ م ينتظرون عودة الامام من غيابه أو من اختفائه الخارق.

وقد كتب الباحثون المعاصرون قليلاً جداً عن الديانات، والتطور الذي حدث في آخر العصر الوسيط وأوائل العصر الحديث، الذي شهد تأسيس الدول التي يحكمها الشيعة في ايران الهند.

---

(٦) أنظر بريان س. تورنر: ماركس ونهاية السمة الشرقية(لندن، ١٩٧٨)

(٧) س.هـ.م.جفري: الأصول والتطورات الأولى للشيعة في الإسلام(لندن: لونجمان، ١٩٧٩) وكتاب و.مونتجمري وات: الفترة التكوينية للفكر الإسلامي (إدنبرغ، ١٩٧٣).
عبد العزيز أ.ساشيدينا: فكرة المهدي لدى الشيعة الإمامية (الباني: مط جامعة نيويورك ١٩٨١)، ومن أجل دراسة مفيدة كاملة انظر، موجان مومن Moojan Momen: مقدمة للشيعة الإسلامية (نيوهافن مط: جامعة يال، ١٩٨٥).

ونجد انه منذ فترة ليست ببعيدة، فإن مشهد المجلس النيابي الذي يحكمه رجال الدين في ايران ويمارسون سلطتهم السياسية قد أربك الغرب وأدى إلى ظهور العديد من الكتب والمؤلفات.

وقد طرحت تساؤلات هامة عن تفرد العالم الاسلامي بالمؤسسات الدينية الشيعية الامامية وبالفكر الشيعي، هل هذا الشكل من الاسلام هو غير قابل للامتزاج مع الحكومة غير الدينية من غيره من الاشكال؟ وهل يتضمن اندفاعاً نحو الثيوقراطية أي الحكومة الخاضعة لحكم رجال الدين؟

إن مثل هذا السؤال لا تتم الاجابة عليه من خلال الدراسات التاريخية حول المبادىء الدينية في الشيعة الامامية.

وقد ظهر التناقض حول دور العلماء في كل دولة حكمها الاماميون في التاريخ مثل: البويهيون، الصفويون، والقاجاريون في ايران، القطب شاهيون في جنوب الهند في العصر الوسيط، والنيشابوريين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في شمال الهند، ولا نحصل على دراسات معقولة عن طبيعة العقيدة الشيعية والتراث الثقافي إلا من خلال الدراسة المفصلة للعلاقة ما بين الحكومة والمؤسسات الدينية في كل من هذه الدول التي حكمها في التاريخ الشيعة الاماميون، والدراسة الحالية في هذا الكتاب تبحث في الشيعة في شمال الهند بعد المغول حيث حكم الشيعة دولة أود Awadh أو Audh كما تكتب في الاملاء الانجليزي القديم.

وتعقد هذه الدراسة مقارنات مع التطورات المعاصرة في كل من العراق والهند كما انها تؤكد على الشبكات العالمية التي تكونت بفعل الهجرة من قبل العلماء، والحج، والزيارات والرحلات من اجل الدراسة.

وهناك قضايا ساخنة كثيرة سيطرت على الكتابات الحالية حول دور العلماء الشيعيين، وبعضها يتصل بدور رجل الدين وفقاً للكتب المقدسة الخاصة بالامامية، في حين ان البعض الآخر يركز على التصرفات التي قام بها العلماء في التاريخ.

وقد ألح «جوزيف إيلياش» Joseph Eliash على ان المجموعات الاولى من الاحاديث الشفهية للرسول (ص) وللائمة لا تتضمن تعيناً للسلطة من قبل الائمة للعلماء، وانه على الرغم من ان المحدثين بالاحاديث الشفهية للائمة قد اتهموا بالتصرف كقضاة غير رسميين في النزاع بين الشيعة، فإن المجتمع يمكن ان يبطل قراراتهم فيما لو كانت ترتكز على احاديث شفهية لا تقبل كأحاديث موثوق بها[٨]

اما نورمان خلدر Norman Galder فقد كتب منذ فترة وجيزة عن تطور احكام الشريعة لدى الامامية من القرن العاشر حتى الخامس عشر، وقد بين انه بعد غياب الامام الثاني عشر فإن معظم الشيعة يعتبرون ان المهام التي تتعلق بالدولة لا يمكن القيام بها حتى عودته، اما الامامية في القرن الحادي عشر فيعتبرون ان الامام وحده يمكنه ان يجمع ويوزع الضرائب

---

(٨) جوزيف إيلياش: سوء الفهم المتعلق بالوضع القضائي للعلماء الإيرانيين، مقال في المجلة الدولية للدراسات الشرق أوسطية ع(١٠)، ١٩٧٩، ص٩ـ٢٥

International Journal of Middle East Studies..

الدينية ويؤم صلوات الجمع، ويقود الحرب المقدسة (الجهاد). وفي غيابه اهملت هذه الامور.

اما العلماء الذين يتبعون المدرسة الاصولية العقلانية لاحكام الشريعة فقد أظهروا بالتدريج حقهم في التصرف كوكلاء عن الامام(٩)

وقد دافع الاصوليون عن استخدام الاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية واعتبروها كمصدر للشرع الاسلامي.

وقد وثقوا كعقلانيين بالفكر الانساني والفلسفة اليونانية كأداة لاكتشاف ارادة الامام الغائب، او وصية الامام الغائب.

وقد عارضهم العلماء الاماميين من المدرسة الاخبارية المحافظة الذين قيدوا الشرع بالتفسير الحرفي للاحاديث الشفهية المنقولة عن الائمة ومنعوا استخدام الوسائل العقلانية في الدين وفي احكام الشريعة.

اما عن علاقة رجال الدين بالدولة، فقد الح البعض على ان العلماء الشيعة في الفترة الحديثة لعبوا دوراً معارضاً للحكومة وظهروا كزعماء شعبيين ضد الدولة القاجارية المستبدة (١٧٨٥ ـ ١٩٢٥) والتي انضمت تحت حكم اجنبي، وهناك افتراض طبيعي هو ان رجل الدين الشيعي كان ينظر الى الحكم القاجاري في ايران على انه غير شرعي وكان يتجنب اي اتصال بالدولة(١٠).

اما ويليم فلور Willem Floor وغيره فقد قرروا غير ذلك، فعلى النقيض «ان الشخصية الثورية التي تنسب الى العلماء الشيعة في ايران فيها كثير من المبالغة، وان ادراك العلماء للبنية الاجتماعية الاقتصادية والسياسية للمجتمع الايراني لا تختلف اساساً عن تلك البنية للنخبة المدنية ذات القوة»(١١).

اما بعض الدارسين أمثال ألجار Algar فهناك الاسلوب الذي تبنوه بالنسبة للتاريخ الفكري للشيعة وهو «النظرة الليبرالية» Liberal، ان قضية دور العلماء ليست قضية سهلة بالنسبة لتاريخ الافكار، ورجل الدين قد اتى من طبقات اجتماعية خاصة.

وان آراءهم في بعض قضايا القانون وادوارهم كما تحددها مبادئهم في احكام الشريعة تشكل نوعاً من «المعرفة السياسية» او «الايديولوجية» التي لا يمكن دراستها بشكل مثمر الا من خلال سياقها الاجتماعي(١٢).

---

(٩) تورمان خلدر: بنية السلطة في أحكام الشريعة الإمامية(رسالة دكتوراه مدرسة الدراسات الشرقية والآفريقية(١٩٨٠)، انظر أيضاً كتاب روبرت برونشفيج Robert Brunshving: أصول الفقه الإمامي (بالفرنسية)(Les usul al figh imamites a lem stade ancien(xe et xie siedes وفي كتاب توفيق فهد: الشيعة الإمامية(بالفرنسية)(Le shi'isme im amite(paris:1970

(١٠) حميد ألجر Hamid Algn، الدين والدولة في إيران، ١٧٥٨ـ١٩٠٦: دور العلماء في فترة القاجار (بركلي ولوس أنجلس: مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٩، ص٢٢ـ٢٣ـ٩٩.

(١١) ويليم م. فلور، الشخصيات الثورية للعلماء، في كتاب تأليف نيكي ر. كيدي Nikki R.Keddie، محررالدين والسياسة في إيران، الشيعة منذ فترة الهدوء إلى الثورة(نيوهافن: مط. جامعة يال، ١٩٨٣)، ص ٧٣ـ٩٧.

(١٢) انظر ريتشارد أشكرافت Richard Ashcraft، النظرية السياسية والسلوك السياسي في فكر كارل مانهايم: إنطباعات عن الايديولوجية والمجتمع المثالي ونقادها في مجلة دراسات مقارنة، في المجتمع والتاريخ ع(٢٣) (١٩٨١): ص٢٣ـ٥٠.

ومن ناحية اخرى فان مثل هذه المعرفة لا يمكن ان تتحول الى اهتمام اقتصادي بسيط.

واذا قمنا بتحليل المنظمات الدينية التي تكونها جماعة في المجتمع ما لنظر اعضائها وخلفياتهم ومقدار التوتر الذي يتواجد بين الجماعة وبين القيم السائدة في الدولة والمجتمع.

وهذا الاطار الناشىء من الاجتماع الديني وبما يصف المنظمة الدينية «كطائفية» حيث هي في توتر كبير مع المجتمع في الداخل، وفي القرن العشرين كان التأثير الكبير على الحكومات الايرانية من قبل الامبرياليين الغربيين، ونشأة سلطة مدنية فيما بعد، مؤدياً الى ان يبتعد بعض الاعضاء الدينيين البارزين عن الدولة[١٣].

ان هذا الكتاب يركز على التطورات التي حدثت في المجتمع الشيعي في شمال الهند، وهي لم تدرس من قبل دراسة علمية في دور التشكل من عام ١٧٢٢ ـ ١٨٥٩.

وتاريخ الشيعة في أود فيه ثلاث فترات تاريخية، فالقرن الثامن عشر كان فترة تشوش سياسي في الشرق الاسلامي، لكن لم يجتذب الاهتمام نفسه الذي كان للامبريالية المغولية في اوجها.

وربما اهمل تاريخ أود، كظاهرة اقليمية، (فيما عدا الدارسين في جامعة لاكنو) وذلك لصالح التركيز على الاحداث في دلهي.

كذلك فإن الامامية الشيعية وهي دين الدولة، لم تدرس الا في نطاق ضيق في بيئتها الهندية، ومهما يكن من امر فإن دراسة لدور علمائها يمكن ان يفي بالتاريخ الهندي والشيعي.

وبالنظر الى حوالي ٢٥٠ من رجال الدين الشيعة في شمال الهند خلال ثلاثة اجيال، فانني اسهم في فهم التاريخ الاجتماعي للاقليم، ومع ذلك فهي دراسة أولية.

لقد ركزت الدراسات القليلة التي تمت (حول التاريخ الاقليمي لشمال الهند)، في فترة مبكرة من هذا القرن على فترات حكام أود.

ولكن هناك بعض الدراسات لباحثين في فترات احدث من ذلك، اي ليست ببعيدة، مثل دراسة (ت. ميتكالف T.Metcalf التي تفحص فيها اصحاب الاراضي، اما بارنيت Barnett فقد كتب عن الاداريين لدى الحكومة، وقد وصف بايلي Bayly الدور الذي لعبه التجار الهنود والمسلمين[١٤]. وان تاريخ البنية الاسلامية الدينية الشيعية يمكن ان توضح التغيرات التي حدثت بالنسبة لفئة المسلمين المتوسطة والتي منها معظم الشخصيات الدينية.

---

(١٣) انظر كارل مانهايم: الإيديولوجية والمدينة الفاضلة، ترجمة ل. ويرث وإ. شيلز(نيويورك: شركة هاركوت، براس(١٩٣٦)، طبعة معادة ص١٠٩:
«عالم الإجتماع يجب أن يكون قادراً على أن يعمل شيئاً أفضل من نسب نشأة المشاكل وحلها الى وجوب بعض أشخاص ذوي مقدرة، وفي الصفحة ٢: إن البحث الرئيسي في اجتماع المعرفة هو وجود أنماط من التفكير لايمكن تفهمها طالما كانت أصولها الاجتماعية غامضة.

(١٤) انظر حول الفترة الحديثة كتاب آن. ك. س. لامبتون: العلماء الإيرانيون والإصلاح التكويني في كتاب فهد: الشيعة الإمامية (بالفرنسية) ص٢٤٩ـ٢٦٩، والدراسات الجيدة لشاهروج آخافي Shahrough Akhafi، الدين والسياسة في إيران المعاصرة: العلاقات بين رجال الدين والدولة في الفترة البهلوية pahlavi، (الباني، مط. جامعة نيويورك، ١٩٨٠).

وقد شكل علماء الشيعة جماعة متميزة تفاعلت مع التغير الاجتماعي وذلك منذ نهضة أود كدولة مستقلة بعد المغول حتى نشأة الامبريالية الاوربية والرأسمالية الصناعية، وان الحاجة الى دراسة لمثل هذه الاقلية والتي هي حركات هامة كالشيعة في أود، اصبحت اليوم شيئاً ملموساً.

ولقد ركزت الدراسات التي اعدت حول الاسلام في الهند في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، على قادة الطريقة النقشبندية من المشايخ الصوفيين في دلهي مثل الشاه ولي الله، وابنه الشاه عبد العزيز، وتلميذ هذا الاخير وهو سيد احمد من راي باريلي Rai Bareli.

وقد اثرت الطريقة النقشبندية، بتأكيدها الكبير على الشرعية الصارمة وفي نصبها لحدود ما بين المسلمين السنة وغيرهم من المسلمين، في كل من الغربيين والمسلمين، باعتبارها كنذير للحركة الاصلاحية الاسلامية الحديثة والفرق الدينية.

على ان مثل هذه المعالجة تتجاهل مسألة تتعلق بالتعداد، فالنقشبنديين يشكلون أقلية بين مسلمي شمال الهند خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. ولمن حتى لو كانت فئة قلية فإن تأثيرها سيكون فعالاً، وقد بحثت الدراسات الحديثة في هذا الموضوع[١٥]

كذلك فإن المضمون التقليدي للرياضة الصوفية النقشبندية والفكر النقشبندي مبالغ فيه، وقد بحث بعض الباحثين في التراث الاسلامي في شبه القارة، وتفحصوا في الحركات الدينية المحلية في مناطق غير دلهي، لا تتلاءم مع الطريقة النقشبندية، مثل مشايخ الصوفية من الطريقة الششتية في البنجاب، الى اصحاب الطريقة القادرية والعلماء في فرنجي محل في لاكنو، الى الاصلاحيين في مدارس ديوباند Deoband [١٦]

اما المصادر التي استخدمت في الدراسة التي يضمها هذا الكتاب حول تطور الشيعة في أود منذ ١٧٢٢ ـ ١٨٥٩، فلم يستخدم معظمها احد من المؤرخين الحديثين، وهي تشمل السير الذاتية ومعاجم التراجم لرجال الدين، وتاريخ المحاكم، والدراسات الشرعية والدينية التي اعدها العلماء، ومؤلفات الايرانيين والاوروبيين من الرحالة، كذلك هناك الوثائق الحكومية في أود التي بقيت بعد الحوادث من ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨، والسجلات الارشيفية البريطانية.

وقد كان اهم مصدر للمخطوطات اتيح لي الدخول اليه هو المكتبة الناصرية، وهو مركز شيعي في لاكنو لم يستخدكه الا القليل من الباحثين الحديثين.

وهذا الكتاب يركز على التغيرات في الممارسات الدينية والافكار والبنية الدينية، على انني زودت الكتاب ببعض الحكايات المعينة، نظراً لان مجال الدراسة غير مألوف ولان بعض المؤسسات الدينية تدرس لشكل اكثر فعالية لدى تطورها عبر مر الزمن، والدراسة مقسمة الى اربعة اجزاء، ففي الجزء الاول او القسم الاول بحثنا خلفية الشيعة الامامية في الشرق الاوسط وجنوب آسيا بالاضافة الى نشأة الدولة الشيعية في أود.

وفي القسم الثاني استكشاف للاصول الاجتماعية للمجتمع الشيعي في شمال الهند

---

(١٥) س.ا. بايلي، الحكام، رجال المدن والتجارة: مجتمع شمال الهند في عصر التوسع البريطاني ١٧٧٠-١٨٧٩ (كامبردج. مط. جامعة كامبردج، ١٩٨٣)، وكتاب ريتشارد ب بارنيت، شمال الهند بين الامبراطوريات(بركلي ولوس انجلس: مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٨٠)

(١٦) جريجوري شارلس كرزلوفسكي Gergory Charls Kazlowski وجد هذا الشخص في وثائق الوقف شاهداً جيداً، انظر كتابه: الأوقاف الإسلامية والمجتمع في الهند البريطانية (كامبردج، ١٩٨٥)

ونمو الرياضات الدينية.

وفي القسم الثالث معالجة لنشأة الاصولية الشيعية في أود، وصراع فقهائها العقلانيين للحلول محل الاخباريين والصوفيين، وتطور المؤسسات الرسمية بدءاً من صلوات يوم الجمعة في عام ١٧٨٦، والذي بلغ أوجه بتأسيس مدرسة ونظام قضائي في الاربعينات من القرن التاسع عشر.

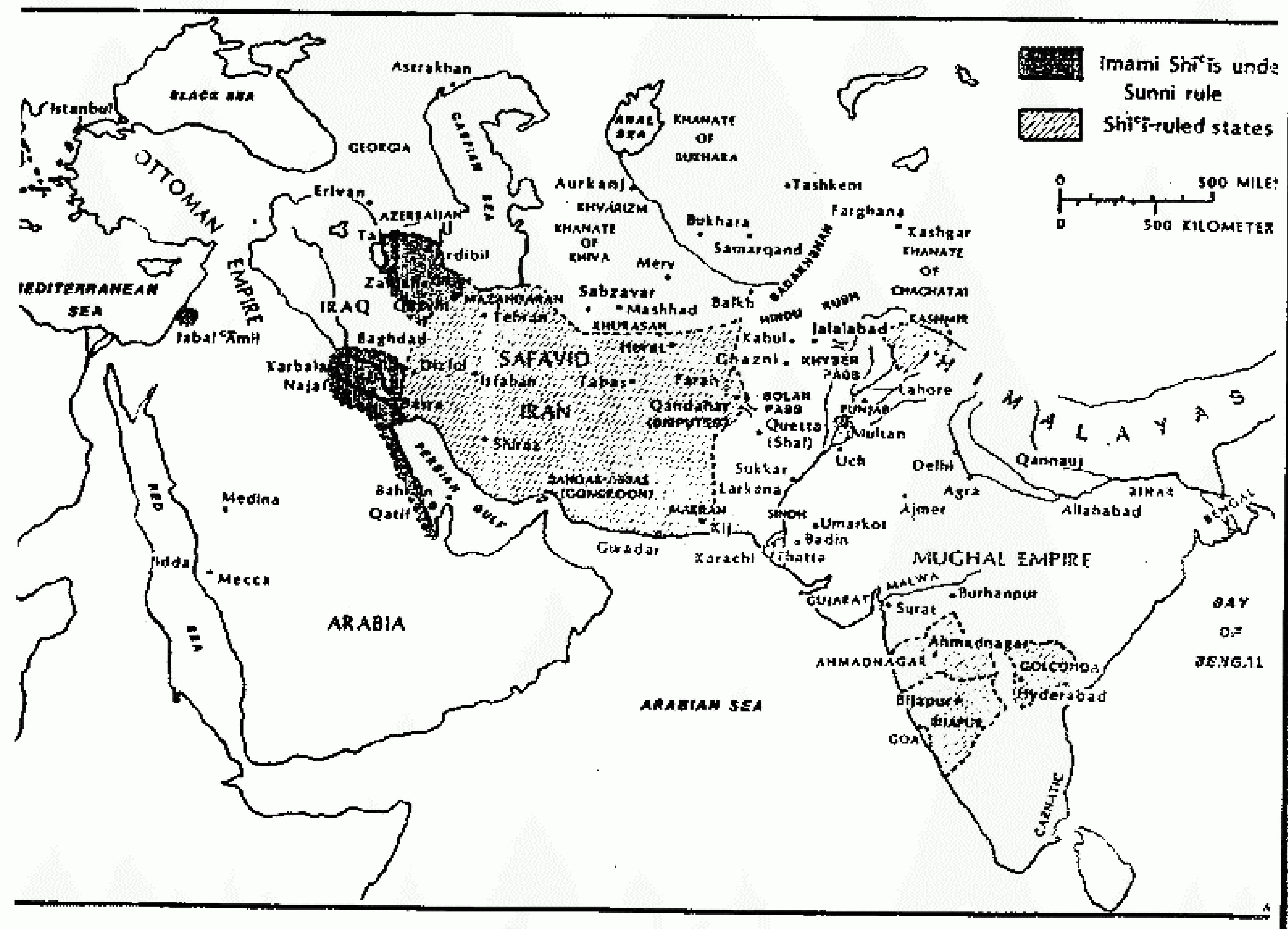
وهناك خلال الدراسة تحليل للتغيرات في آراء العلماء حول مبادىء احكام الشريعة وحول مكانهم في المجتمع.

وان الفصول في القسم (٣) تبحث في الرعاية حيث كان السادة الاشراف بالاشتراك مع دولة أود يهبثون الاموال للعلماء مقابل خدماتهم.

واخيراً فإن القسم (٤) يصف ويحلل العلاقة بين الشيعة وبين زعمائهم الدينيين والفئات الاخرى الرئيسية في أود. مثل السنة، الهندوس، والبريطانيين.

كذلك فإن هذا القسم يناقش جذور الحركة الطائفية في سهل الغانج في القرن التاسع عشر.

واخيراً فإن البريطانيين هم وراء الاحداث في هذه الدراسة، كذلك فإن تداخل البريطانيين في العلاقات بين الجماعات الدينية قد أدت الى حوادث العنف خلال القرن التاسع عشر والعشرين.



العالم الشيعي عام 1582 م

صلة شيعة أوَدْ بالشرق الأوسط

من اجل ان نتفهم مكانة الشيعة ودورهم في القرن الثامن عشر في كل من شمال الهند، وايران، والعراق، فلا بد لنا من دراسة تاريخ الشيعة، وفي سبيل توضيح دورهم في الصراع الثقافي بين المجتمعات الآسيوية والغرب الامبريالي، فان علينا ان نلقي الضوء على بعض الملامح العامة للتاريخ في الشرق الاوسط وجنوب آسيا منذ عام ١٥٠٠ م.

وعلى الرغم من ان معظم الاوربيين يعتقدون ان الفترة التي تلت عام ١٤٩٢ م كانت عصر توسّع مسيحي اوروبي فهم يركزون فقط على العالم الجديد، وعلى الامبراطوريات التجارية القائمة آنذاك للبرتغال واسبانيا، ثم ألمانيا، واخيراً فرنسا، وبريطانيا، ولو ان احدهم ركز بدلاً من ذلك على المجموعة الآفرو ـ آسيوية فانه سيندهش لنهضة الامبراطوريات الاسلامية.

وقد كانت قوة هذه الامبراطوريات ـ باستثناء العثمانيين ـ ترتكز في قوتهم على الاراضي ومع تجاهل المحيط التجاري مما كان يعرضهم للمخاطر.[١]

وكانت الامبراطورية العثمانية قد توسعت في الفترة من عام ١٥٠٠ الى ١٦٠٠ من أناضوليا حتى اوربا الشرقية، واستولت على سوريا (١٥١٦)، ومصر (١٥١٧)، والعراق (١٥٣٤).

وامتدت سيطرة الامبراطورية المغولية من كابول الى سهول الكانج ووحدت معظم مناطق شمالي الهند.

أما الامبراطورية الصفوية في آذربيجان فقد اخضعت المنطقة الايرانية، وكانت هذه الامبراطوريات تعتمد في قوتها العسكرية على ما تجلبه من مدفعية متقدمة من اوربا والصين، وقد كان هناك اتحاد قبلي في الاصل استبدله الحكام ببيروقراطيات وجيوش مستعدة وقد قدموا سلماً بالاسلام الى المناطق الجنوبية في العالم القديم مما شجّع التجارة والامان، وساعد على زيادة السكان في اناضوليا خلال القرن السادس عشر، وربما في اماكن اخرى واحرزت تقدماً اقتصادياً وتوسعاً في المناطق، كما تميزت بالنشاط الديني.[٢]

وقد عُرف العثمانيون باستانبول، والاصفهانيون، والمغول المسافرين بأبهتهم خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكان غناهم يعتمد اساساً على الزراعة، وبشكل ثانوي على التجارة والصناعة.

واخذ حكامهم واصحاب الصناعة عندهم التكنولوجيا عن اوربا بدلاً من الابتكار، فلم يقدموا للعالم إلاّ القليل من التطور الصناعي وخاصة في صناعة الأسلحة.

وكانت اوربا في القرن الخامس عشر تنتج البضائع الجيدة كالانسجة الحريرية مثلاً، في حين ان الشرق الاوسط وجنوب آسيا كان يُرسل المواد الخام الى اوربا.

---

(١) انظر: ديتمار روثرموند Dietmar Rothermund (التجارة الآسيوية والتوسع الاوربي في عهد الاحتكار التجاري) (دلهي ١٩٨١)، وكتاب (التجارة والحضارة في المحيط الهندي)، كامبردج مط جامعة كامبردج ١٩٨٥.

(٢) مارشال، ج. س. هودجسون Hodgson: الاسلام The venture of islam المجلد ٣. روجر اوين Roger owen: الشرق الاوسط في الاقتصاد العالمي ١٨٠٠ ـ ١٩١٤ (لندن ١٩٨١) ص ١ ـ ٢٣.

وفي الوقت الذي تقدمت فيه الصناعة والزراعة في اوربا أواخر القرن الثامن عشر، احرزت الامبراطوريات الاسلامية الثلاث في جنوب وجنوب شرق آسيا تقدماً سياسياً واقتصادياً بسبب الدافع الديني، حيث شجع العثمانيون المذهب السني الحنفي في امبراطوريتهم وساعدوا بذلك على نمو مؤسسة دينية بيروقراطية.

أما الصفويون واتباعهم من الشيعة التركمان من اناضوليا فقد جعلوا من المذهب الشيعي الاثني عشري دين الدولة وفرضوه على السنة في ايران، واحضروا من العراق وجنوب لبنان رجال الدين الشيعة من العرب ليوفروا العقول المسيّرة للمؤسسة الدينية كما اعتمدوا على العائلات الدينية الشهيرة في ايران ممن اعتنقت المذهب الشيعي.

أما المغوليون ـ وكانوا في الاصل من الشعوب المتحدثة بالتركية في وسط آسيا ـ فقد شجعوا المذهب الحنفي السني.

ولعب الفكر الديني وجماعة العلماء دوراً هاماً وسياسياً في كل من الامبراطوريات الاسلامية الثلاث، على ان اقل هذه الايديولوجيات الدينية معرفة لنا هي الشيعة الاثني عشرية في كل من الامبراطوريات المذكورة، ففي حكم العثمانيين عاش هؤلاء في الاراضي العربية الخاضعة في ذلك الحين للسيطرة العثمانية شكلاً دينياً يمكن ان نسميه طائفة، أي انهم كانوا يمارسون احتكاكاً كبيراً بالدولة وبالأكثرية السنية في المجتمع من حولهم، وكذلك فقد كانوا يتجنبون التطوير لمؤسساتهم الدينية.

وفي ايران كان الشيعة في الاصل مجتمعاً صغيراً إلا انهم شكلوا قسماً كبيراً من الايرانيين تحت حكم الصفويين حيث اسسوا مؤسسات دينية لهم وكانت تتعاون مع الدولة الشيعية، وكانت الشيعة الصفوية المنظمة برجالاتها الدينية وبمناصرتها للسلطة تختلف اختلافاً كلياً عن العقيدة المحافظة في معظم المجتمعات الشيعية العربية.

وقد انتشر المذهب الشيعي في جنوب آسيا، وعلى صعيدين:

الاول: بواسطة التجار الايرانيين والمهاجرين حيث شجعوه ونشروه بين اشهر الشخصيات في جنوبي الهند، حتى ان الحكم الشيعي قد عم في بيجابور Bijapur وأحمد نكر Ahmad nagar وكولكنده Colconda.

الثاني: كان هناك حكم شيعي حكم لفترى وجيزة في كشمير خلال القرن السادس عشر، وقد بنى التجار في المدن والريفيون في القرى شكلهم الخاص من التشيع الاثني عشري المرتكز على الشعائر الدينية المكرسة لذكرى استشهاد الامام الحسين عليه السلام. وقد طوقت زيادة القوة السنية للمغول في المناطق في بجنوب الهند، وحُرمت الشيعة في شمالي الهند من الحماية لهم من قبل الحكومة. وسرعان ما استوعبت الامبراطورية السنية المغولية المناطق التي يحكمها الشيعة في الجنوب، وبذلك سحبت تأييد الفرع المنافس لها من الاسلام في شبه القارة.

الشيعة قديماً

بدأ الاجتهاد لدى الشيعة منذ القرن الثامن في الوقت الذي حدثت فيه خلافات حادة في داخل المجتمعات بين اصحاب الائمة،[٣] وبالتدريج نمت هيئة من المحدثين الذين

---

(٣) كان الامام السادس جعفر الصادق قد ألح على اصحابه وشيعته لينشدوا الحكم العادل اكثر مما ينشده من الحكام أو القضاة غير الشيعيين، انظر كتاب نورمان خلدر Norman Galder الموسوم (السلطة القضائية

حفظوا الأحاديث النبوية وكلام الائمة ودرس هؤلاء ايضاً الفكر القانوني الذي استخدمه الامام السادس جعفر الصادق (المتوفى عام ٧٦٥ م) .

وقد بيّن المستر روي موتاهيديه Roy Mottahedah أن العلماء لم يكونوا فقط من موظفي الدولة الدينيين الذين كانوا يعلمون القوانين الشرعية ، بل كان بينهم ايضاً باحثون بل بعض الهواة .[٤]

وعلى خلاف السنة فان علماء الشيعة غير مرتبطين بالسلطة ، وقد تحملوا الحكم العدائي للامويين حتى منتصف القرن الثامن عندما استلم العباسيون السلطة بفعل الثورة التي يشوبها تأثير شيعي ، ومع ذلك فقد رفض العباسيون الاعتراف بحق الأئمة في الحكم بل انهم عملوا على أسرهم وتقييد حركتهم بحجزهم في بيوتهم كمنافسين خطرين .

وان الحوادث التي تلت وفاة الامام الحادي عشر (الحسن العسكري) في العراق العباسية عام ٨٧٣ أو ٨٧٤ غامضة ، ولكنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة لتأريخ الشيعة ، فقد حدثت بعض الانشقاقات حيث ذهبت جماعة الى ان الامام العسكري لم يترك وريثاً ، وادّعى آخرون بأن الامام كان لديه ابن صغير اختفى بشكل خارق وسيعود يوماً ليعيد الى العالم العدل ، وظهر عدد من (الوكلاء) الذين كانوا الواسطة بين الامام الغائب وجمهور المؤمنين ، وبعد موت الوكيل الخاص الاخير وجد الشيعة انفسهم منقطعين عن اي سلطة دينية وفي نفس الوقت أخذ ينتشر قول منسوب للامام الثاني عشر الغائب ويفيد بأن هؤلاء الرجال الذين كانوا يروون أحاديث شفهية عن الائمة لهم نيابة هؤلاء الائمة .

ومن هنا فان المحدثين[٥] لأحاديث الائمة الشفهية كانوا يطالبون بزعامة المجتمع في غياب الامام ، ولقد جاءت نهاية سلالة الائمة كصدمة قوية للمجتمع الشيعي وشعر المفكرون من الشيعة الذين عاشوا بعد الغيبة بأنهم بلا زعامة ، وأحسوا بأنه في غياب الامام المعصوم لن يتمكن أحد من امامة الصلاة في الجمعة ، أو يتزعم المؤمنين في الحرب المقدسة (الجهاد) ، أو يجمع الزكاة (الخراج)[٦] وباختصار شعر هؤلاء بانعزالية عميقة ، واتبعوا سياسة هادئة بصفة عامة .

في القانون الشيعي الامامي) : «Judical Authority in imami shiᶜī Jurisprudence» من منشورات الجمعية البريطانية للدراسات الشرق أوسطية ، النشرة رقم (٦) ١٩٧٩ م ص ١٠٤ ـ ١٠٥
British Society for Middle Eastern studies Bulletin 6 1979: (104-5).

(٤) Roy Mottahedeh, Loyalty and Leadership inan Early Society (princeton: princeton Univ. press, 1980) pp.135-50.

الولاء والزعامة في المجتمع الاسلامي القديم .

Abdulaziz A.Sachedina, Islamic Messianism (Albany: State Univ. of NewYork press 1981), p.p.100- 1,107-8.

(٥) انظر «الخمس في التشريع الامامي الشيعي منذ القرن العاشر حتى السادس عشر» مجلة BSOAS العدد ٤٥ (١٩٨٢) : ٣٩ ـ ٤٧ .

(٦) رسالة الاسلام Islamic Messianism : ساشيدنا Sachedina الامامية والمعتزلة : Madelung وماديلونج pp.32-33. في محور ، توفيق فهد ، الشيعة الامامية ، باريس مط جامعة فرنسا ١٩٧٠ (ص ١٣ ـ ٢٩) .

ماديلونج : رسالة الشريف المرتضى حول شرعية العمل للحكومة ، مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية Bulletin of the Oriental and African Studies مج ٤٣ (١٩٨٠) (ص ١٨ ـ ٣١) .

وفي العهد البويهي في العراق وايران (٩٣٢ ـ ١٠٥٥ م) استطاع علماء الشيعة ان يجمعوا أحاديث النبي والائمة ودرسوها بحرية تامة ، وكانوا قد قصدوا بغداد من المراكز الشيعية القديمة في الكوفة وقم .

وفي بغداد أخذ بعض المثقفين أو المفكرين الشيعة يستخدمون الادوات العقلانية اليونانية في الفكر الشيعي ، على ان معظم الباحثين من الشيعة عارضوا العقلانية وذلك لصالح نقل اقوال الائمة باعتبارها مصادرهم الموثوق بها ، وفي هذه الفترة بدأ المفكرون الدينيون العقلانيون يُطلق عليهم اسم «الاصوليين» ، في حين ان اولئك المعارضين أطلق عليهم اسم «الاخباريين» وقد كان هؤلاء يشكلون الاغلبية العظمى ، ومن الجدير بالذكر انه في ذلك الحين أجمع معظم علماء الشيعة على بطلان تلك الادوات اليونانية العقلانية كالقياس في استنباط الاحكام الشرعية ، وتركز الخلاف على استعمالها في علم الدين Theology .[٧]

أما اولئك العقلانيون وبالرغم من انهم اعتبروا الحكومات الغير دينية حكومات جائرة فقد كانت لهم علاقات طيبة بالدولة البويهية . وكان العلماء الشيعة يشعرون بأنه ليس هنالك اعتراض على العمل مع الدولة طالما أن مبادىء الانسان لا تتعرض للشبهة .[٨]

وقد ادى انتصار الاتراك السنة من السلاجقة على الشيعة البويهيين في منتصف القرن الحادي عشر الى تشتت علماء الشيعة لبعض الوقت ، ومع هذا فقد أخذ الشيعة تحت حكم السلاجقة يستعيدون مكانتهم ووضعوا تحت تصرف علمائهم ثروات جيدة من أجل المؤسسات الدينية ، وأدى الغزو المغولي لايران والعراق بعد ذلك بقرنين من الزمان الى تحرر الشيعة من القيود التي كانت مفروضة عليهم تحت حكم السلاجقة السني .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر أخذ بعض علماء الشيعة الاثرياء الذين كانوا في رعاية المغول وقد انهمكوا في المركز التجاري العراقي في الحلة ، أخذ هؤلاء يستخدمون الاساليب العقلانية اليونانية في التشريع لا في الدين فقط ، وقد عكس هذا حاجة المجتمعات الشيعية مثل تلك المتواجدة في الحلة في العصر المغولي ، الى تشريع أكثر مرونة ، ومنذ ذلك الحين اسس الأصوليون العقلانيون والاخباريون مدارس متنافسة من القوانين .

وقد تركز الصراع بين الاخباريين والاصوليين العقلانيين على عدد من القضايا ، ومن ذلك ما يتعلق بمصادر التشريع التي حددها الاخباريون بالقرآن والحديث النبوي وأحاديث الائمة ، أما العقلانيين فكانوا يرون الاجماع في الرأي حول التشريع أو القوانين كمصدر آخر للحكم ، كما فعلوا بمسألة الاجتهاد ، أما الاصوليين فقد فصلوا الشيعة الى قسمين رئيسيين : المجتهدون والعلمانيون ، مع تعهدهم بأن المؤمنين العاديين يجب أن ينافسوا المجتهدين في القوانين الدينية الاضافية .

وأكد العقلانيون أن المجتهدين باعتبارهم ممثلين بصفة عامة للامام الغائب بأنه يمكنهم أن يقوموا مقامه وذلك بتقديم امور كالأحكام التشريعية وبجمع وتوزيع الزكاة والخمس

---

(٧) روجيه سافوري Roger Savory : ايران تحت الحكم الصفوي (كامبردج مطبعة جامعة كامبردج ١٩٨٠) .
وفروخ جعفري : «تطور الشعائر الدينية والمسرح في ايران» سلسلة الدراسات الايرانية ١٧ (١٩٨٤) ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .

(٨) كالدار Calder «الزكاة : ص ٤٧٧ وما بعدها ، الخمس : ص ٤٤ ـ ٤٧ ، سيدامير اجموند : ظل الله والامام الغائب ، شيكاغو مط جامعة شيكاغو ١٩٨٤ الفصل ٥ .

والالزام بالحرب الدينية المقدسة ، وامامة صلوات الجمعة .

وعلى الرغم من أن الاخباريين سمحوا برواية الأحاديث الشفوية عن الائمة من أجل أمور شرعية أو قضائية ، فانهم كانوا في كثيرٍ من الاحيان لا يسمحون ببعض أو بكل المهام الاخرى في غياب الامام المعصوم .

ايران الصفوية (الشيعة ، الدولة ، المجتمع)

لقد ازدهرت المدرسة الاصولية مرتبطة مع السلطة الحاكمة خلال الفترة الصفوية ، وفي عام ١٥٠١ م اصبح الشاه اسماعيل زعيم الطريقة للملة الصفوية الصوفية في ايران بدعم من رجال القبائل الناطقين باللغة التركية من الاناضول ، وقد فرض الحكام الجدد مذهب الشيعة الاثني عشرية على ايران معززين انتصارهم ، وطلبوا أن تبطل الطقوس التي تتم تبعاً للخلفاء السنة وحرقوا المساجد السنية ، وصادروا أراضي السنة ، وانتشرت الرياضات الشيعية الشعبية في ايران ، مثل عيد قتل القائد الاموي عمر بن سعد عدو الامام الحسين ، وبدأت تُعقد مجالس (روضة ـ خواني) لذكر حادثة كربلاء ، بالاضافة الى الحداد التام في شهر محرم .[٩]

ومنذ حكم الشاه طهماسب (١٥٣٣ ـ ١٥٧٦) وهو ثاني ملك صفوي ، بدأ عدد من علماء الشيعة العرب ـ الذين استقدمهم الصفويون من العراق وجنوب لبنان ـ بدأوا بإجراء بعض التغييرات في رياضات الشيعة الاثني عشرية وكان ذلك يعكس التغير في الحالة الدينية .

وذهب المهاجرون العرب أبعد من مدرسة الحلة ، أو الاعتراف البسيط للتشريع المستقل بالنسبة للقوانين ، فقد سمحوا بأداء المهام المركزية للدولة على أن يكون ذلك بواسطة شخص غير الامام ، واضعين انفسهم وكلاء للامام ، وجاعلين من النظام الشيعي الصفوي سلطة شرعية . ثم عمدوا الى ابتداع سلطة دينية شيعية ، معظم أفرادها من العرب وقد بنيت على زعيم أو امام الصلاة لدى الشيعة وشيخ الاسلام .

واصبحت الاصولية الصفوية هي الأفكار الايديولوجية لدى علماء العرب الموجودين في ايران او الذين نزحوا اليها ، والذين كانوا يميلون الى نقل وتنفيذ رؤية جديدة للشيعة الامامية بالتعاون مع الامارة الصفوية ، أي تحقيق شيعة اثني عشرية اكثر فاعلية وقوة من السابق اي قبل ١٥٠٠ .[١٠]

وكان ابرز شخص بين هؤلاء المجددين هو الشيخ علي الكركي (ت ١٥٣٤) وأصله من جبل عامل ،[١١] وفي السنة الاولى من حكم الشاه طهماسب أمر الشيخ الكركي بتعيين زعيم أو امام شيعي للصلاة في كل مدينة وقرية وأمر بوجوب اقامة صلاة الجمعة بعد ان كانت غير معمول بها لدى الشيعة في ظل الحكم السني . وافتى الكركي بجمع ضرائب الاراضي (الخراج) في غياب الامام ، ودون تعليمات لجامعي الضريبة الصفوية ، وبهذا فتح مصدراً لدخل حكومي للدولة الاثني عشرية القليلة الخبرة ، وأمر الشيعة بنبذ التقية وعدم اخفاء

---

(٩) الحر العاملي : امل الآمل ، تحقيق : السيد احمد الحسيني طبع في مجلدين بغداد مكتبة الاندلس ١٩٦٦ الاول ص ١٢١ ـ ١٢٢ . يوسف البحراني : لؤلؤة البحرين النجف ١٩٦٦ ص ١٥١ ـ ١٥٤ . ارجموند : ظل الله والامام الغائب ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(١٠) لؤلؤة البحرين / ١٥٩ ـ ١٦٦ ، روضات الجنات ١/ ٢٥ ـ ٢٩ طهران ١٩٧٠ .

(١١) امين بناني «انطباعات حول البنيان الاجتماعي والاقتصادي لايران الصفوية» في سلسلة دراسات ايرانية ، ١١ (١٩٧٨) : ص ٩٥ ـ ٩٦ .

عقيدتهم أمام السنة طالما أصبح لديهم الآن حماية من قبل الحكومة .

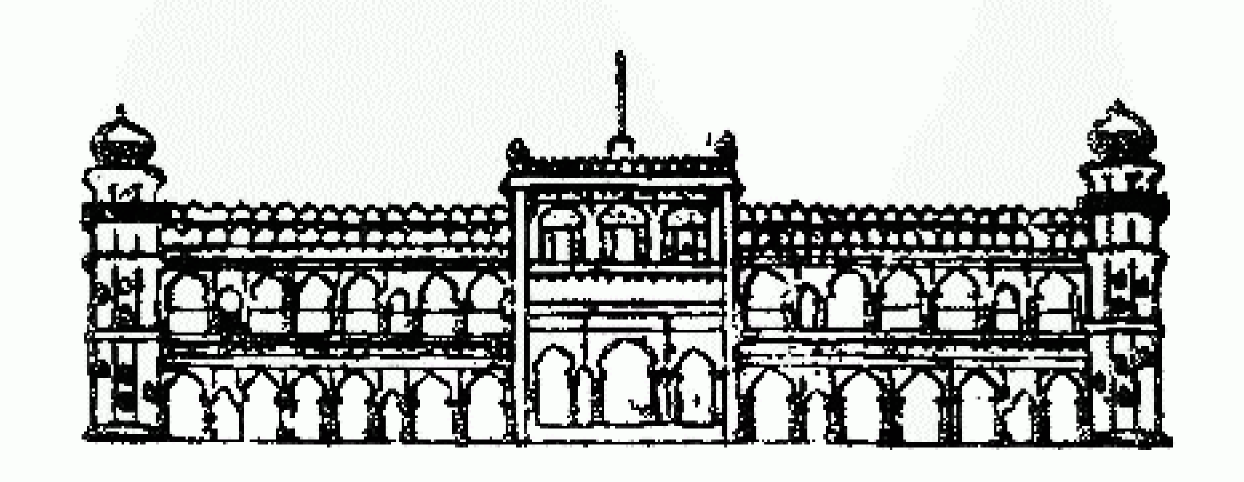
ولقد عارض فريقان هذه الافكار الجديدة ، وقد كان ارجموند Arjomond قد بين أنه في ايران استاءت الأسر الايرانية القديمة المسؤولة عن المؤسسات الدينية مثل القضاة وغيرهم الذين اعتنقوا المذهب الشيعي ، هؤلاء استاءوا من رجال الدين الذين نزحوا الى ايران ، كذلك فقد وجد رجال الشيعة في العالم العربي كثيراً من الافكار الجديدة للكركي غير ملائمة لحالتهم الخاصة ومن ابرز اولئك الرجال الشيخ ابراهيم القطيفي[١٢] الذي عارض شرعية اقامة صلوات الجمعة خلال غياب الامام ، وجمع الخراج والمشاركة مع الحكام ، والقطيفي ممن كان يؤيد الاصولية المحافظة التي لا تثير اضطهاد السنة للشيعة والتي تظل ملتصقة بالثقافة السياسية المحافظة للاقلية الشيعية .

وبعد عام ١٥٣٠ اجتاح الاتراك السنة العراق ، بما في ذلك المدن المقدسة للشيعة مثل كربلاء والنجف حيث كان القطيفي وكثير من الشيعة .

وفي ايران اكتسب المجتهدون قوة اكبر من خلال اشرافهم على ثروات دينية في القرن السابع عشر ، ومن خلال المنح التي وُهبت لهم من اقطاعيات من قبل الحكام الصفويين ،[١٣] واصبحت (اصفهان) عاصمة الصفويين قبلة انظار الشيعة وهي مركز للتعليم يضم ٤٨ كلية و ١٦٢ مسجداً ، وحيث المقر الرئيسي لادارة دفة الحكم واصدار الفتاوى الهامة .[١٤]

واصبح رجال الدين من القوة بحيث أن بعضهم كانوا يدعو لئن يكون الحاكم مجتهداً أو رجل تشريع قادر على استنباط الاحكام الشرعية من مضانها ، في نفس الوقت الذي دعم فيه الشيعة المسيطرون شرعية السلطة الصفوية ضد مدعي الدين .[٤]

ونتيجة لهذه السلطة الواسعة التي تمتع بها رجل الدين خلال الحكم الصفوي فقد ظهر الكثير من المدّعين والنفعيين والوصوليين الذين اتخذوا من الدين مطية لارضاء نزواتهم الدنيوية حتى شُوهت صورة رجل الدين الى الدرجة التي يُعبر عنها أحد الامثال الشعبية الدارجة من اصفهان ويعود الى القرن السابع عشر : «تطلّع بعين الحذر الى امرأة امامك ، وعلى أحد البغال خلفك ، وتطلع بكل حواسك والى كل اتجاه وأنت تواجه ـ الملا ـ» .[٥]



(١٢) جون شاردين John Chardin : رحلات السيد شاردين في ايران وغيرها من بلاد الشرق ، ٣ مجلدات ، (امستردام : جين لويس دي لورم ، ١٧٠٩) الثالث ص ٨٢ .

(١٣) المرجع السابق ، (ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨) .

(١٤) المرجع السابق ٣/٢٠٨ .

المعارضة الإخبارية

وقد أتت المعارضة الرئيسية للمدرسة الأصولية من الحركة الإحيائية للإخباريين، فقد كانت الاخبارية، ترفض شرعية القوانين المستقلة وتنكر الحاجة الى الاشخاص العلمانيين لكي ينافسوا المجتهدين، وقد هاجم احد الشخصيات الفكرية البارزة في مجال احياء هذا التكوين البنيوي الصارم للشيعية وهو السيد محمد أمين الاسترابادي (توفي ١٦٢٤) المجتهدين من مركزه في المدينة[١] . وقد لقيت حركة الاسترابادي الاصلاحية تأييداً كبيراً في الاماكن المقدسة في العراق، وكما أشار أرجموند Arjomand، في ايران بين الشخصيات الدينية الرسمية.

ورغم ان الاصولية قد سيطرت في عاصمة الصفويين (اصفهان)، الا ان الوضع خارج اصفهان في اواخر القرن السابع عشر من الصعب عرضه.

وقد ظل للاخباريين في بعض المراكز سلطة او نفوذ، وقد ضُويق السيد محمد طاهر وهو من الاخباريين الذين نشأوا في النجف وهو إمام الجمعة وشيخ الاسلام في قم تحت حكم (سليمان شاه) ١٦٦٧ ـ ١٦٩٤، عندما دعا الملك الى اصلاح اخلاقه.

وقد هاجر (الحر العاملي) (المتوفي ١٧٠٨ أو ١٧٠٩) من سوريا الى مشهد، واصبح شيخ الاسلام. ولما كان اخبارياً صامداً فقد منع استخدام الجدل وكتب ضد المذهب العقلي Rationalism وقد استقرت اسرة نعمة الله الجزائري الاخباري (توفي عام ١٧٠١)، في مدينة شوشتر Shushtar وهي مدينة ايرانية صغيرة في خوزستان، كزعماء أو ائمة لصلاة الاخباريين[٢] ، وقد كانت المنطقة الواقعة في جنوب غرب ايران مركزا رئيسيا للاخبارية، وكما سبق ان اشرنا فإن المدرسة الاخبارية قد لقيت قبولاً واستحساناً من معظم العلماء في المدن المقدسة في العراق ايضاً.

وان الاجتياح الصفوي لايران ونشر الشيعية الاثنى عشرية يصور الثورة الثقافية في العالم الاسلامي لقرون عديدة، وان الاتراك العثمانيين او المغول التيموريين لم يفعلوا شيئاً لتغيير عقائد الشعوب التي حكموها، وان نشأة الشيعة الاثنى عشرية تشابه حركة الاصلاح البروتستانتية في أوربا.

الولايات الشيعية في الدكن

لقد ربطت التجارة الهندية في المحيط الهندي، الخليج الفارسي بجنوبي الهند، وشجعت نزوح الناس والافكار بين المنطقتين، وقد تدفق اشخاص بارزون من ايران

---

(١) الحر العاملي، امل الآمل الثاني ص٢٤٦، والخوانساري، روضة الجنات الاول ص١٢٠ ـ ١٣٩.
المذهب العقلي، وهو القول بأن العقل، غير مسعف بالوحي الالهي، هو الهادي الاوحد الى الحقيقة الدينية.

(٢) انظر بصدد (محمد طاهر): الخوانساري: روضات الجنات الرابع ص١٤٣ ـ ١٤٦، وانظر بصدد الحر العاملي: الخوانساري: روضات الجنات السابع ص٩٦ ـ ١٠٥. وأيضاً سيد اعجاز حسين الكنتوري Sayyid Ijaz Husayn Kinturi في كتاب: كشف الحجب والاستار عن الكتب والاسرار، تحقيق محمد هداية حسين (كلكتا: الجمعية الآسيوية، ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢.

واداريون وعسكريون وادباء الى جنوب الهند او الى الدكن خلال الاجتياح المغولي لايران في القرن الثالث عشر وبعده وقد اتبع هؤلاء الايرانيون خاصة بعد انتصار الصفويين المذهب الشيعي، واصبح جنوب الهند ديلوماسياً وبثقافته الممتازة تابعاً لايران في القرن السادس عشر، ولقد حمل الاشخاص البارزون من الايرانيين من اقتناعهم بالشيعة الاصولية، وهيئوا المساجد لصلوات الجمعة وللمؤسسات الشيعية الاثنى عشرية الاصولية.

وقد بدأت اطول دولة في الحكم الشيعي في جنوب الهند وهي القطب شاهية (١٥١٢ ـ ١٦٨٧) بالنهضة السياسية في كولكنده Golconda، بأحد المغامرين من التركمان من همدان بإيران ويدعى السلطان قلى قطب الدين، وقد رعى الحكام الذين كانوا منسجمين معه العلماء الشيعة وبنوا المساجد والحسينيات (عاشورخانه) ومن أجل احياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عقدوا الحلقات وبنوا مدافن الشيعة، وكانت خطب الجمعة تُلقى باسم الائمة الاثنى عشريين وباسم الصفويين.

وقد نزح الايرانيون باعداد كبيرة، وكثير منهم كتجار تجذبهم تجارة المجوهرات، والبعض الآخر جذبتهم الشيعية فاتبعوها، وقد هيمن علماء الاثنى عشريون من المدرسة الاصولية على كولكنده، وفي عام ١٦٣٦ أجبر الامبراطور شاه جهان، القطب شاهيين على الاقلال من الصيغ الشيعية في مواعظ وخطب صلوات الجمع، بما فيها ذكر الصفويين، وفي عام ١٦٨٧ سقطت العاصمة حيدر آباد في الحكم المغولي السني الذي قضى على حكم الشيعة القطب شاهيين[٣].

ويتمثل دور العلماء المهاجرين الشيعة الذين نزحوا من ايران في نشر الافكار الاثنى عشرية بالقرن السادس عشر في جنوبي الهند بالشاه طاهر اسماعيلي.

وكان الشاه ينحدر من اسرة اسماعيلية في ايران وقد اصبح من الاثنى عشرية ثم نزح فيما بعد لاسباب سياسية الى الارض الواقعة تحت سيطرة برهان نظام شاه (١٥٠٨ ـ ١٥٥٣)، في أحمد نكر، جنوبي الهند، وهناك أقنع الملك ان يصبح من الشيعة الاثنى عشرية وان يكون هو وزيراً في عهده، وقد ظلت الشيعية ذات سلطة في ثقافة النخبة لمدة اجيال تالية. على ان شاهات أحمد نكر قد فقدوا استقلالهم عندما طلب منهم اكبر ان يدفعوا الجزية، واستولى شاه جهان رسمياً على المنطقة وضمها الى الامبراطورية المغولية في عام ١٦٣٣.

وقد جربت المملكة الجنوبية الغربية من الدكن وهي بيجابور Bijapur الحكم الشيعي والتأثير الايراني في القرن السادس عشر، ١٥٠٢ ـ ١٥٣٤، ومن ١٥٥٨ ـ ١٥٨٣، تحت حكم عادل شاهي السلسلة «العادل شاهية».

وقام التجار من الشيعة الايرانيين بتجارة الخيل من الخليج الفارسي حتى بيجابور، واصبح للشيعة مركز كبير هناك.

وقد اعلن يوسف عادل شاه (١٤٨٩ ـ ١٥١٠) وهو تركي منفي له ارتباط باسماعيل الصفوي، الشيعية كدين للدولة في بيجابور في عام (١٥٠٢)، وذلك لدى سماعه بالنصر الصفوي، وقد شجع هذا على نزوح عدد اكبر من الايرانيين، واستخدم اتباع عادل شاه هؤلاء الايرانيين كرجال ادارة او كعسكريين.

وقد اعترف اتباع عادل شاه بالصفويين وسيادتهم المطلقة رغم ان هذا الاعتراف كان

---

(٣) محمد قاسم فرشته (تاريخ فرشته): تاريخ الاسلام في الهند.

رسمياً فقط، ولقد كان علماء الشيعة في صراع دائم مع السنة ومنهم زعماء محليون من الصفويين، لكن الثقافة السنية المحلية اخذت تعود الى القوة منذ عام ١٥٨٣، حيث الزم الامبراطور «شاه جهان» اهل بيجابور بدفع الجزية اليه منذ عام ١٦٣٦، وقد ضم اوونك زيب Awrangzit بيجابور الى الامبراطورية المغولية في عام ١٦٨٦[٤].

ورغم ان القرن السادس عشر يمكن ان يطلق عليه اسم قرن الاثنى عشرية في التاريخ الثقافي للهند الايراني، فإن الشيعة احرزوا نصراً محدوداً ومؤقتاً خارج ايران، ولم ينجح الشيعة من الحكام في جعل عقيدتهم ديناً جماعياً، بواسطة الانفاق بسخاء على المؤسسات الاثنى عشرية. ومع ذلك فإن سكان جنوبي الهند كانوا متعلقين بدياناتهم الهندوسية وقد عاندت كثير من العائلات السنية المعروفة النداء او الدعوة لشتم او لعن الخلفاء، اما الحكام الشيعة من الدكن فقد ظلوا معزولين عن الجماعات الدرافيدية الهندوسية، بميولهم الايرانية وقابليتهم لتسيير الأئمة باللغة الأردية الجديدة.

وما لبث اباطرة المغول التموريين ان خففوا بالتدريج المناطق الشيعية في الجنوب فأصبحت تابعة للامبراطور السني، ثم أخيراً استعدوا الملوك الشيعة.

الشيعة في شمالي الهند تحت حكم المغول

كان الشيعة في شمالي الهند تحت حكم المغول، احياناً يتحملون لكن البعض الاخر كان يتبرم بشدة، وقد تركوا بضع آثار في الاحداث التي مرت، اكثر مما كان لهم تأثير في الجنوب.

وان اهمية النازحين من ايران في نشر الشيعية الاثنى عشرية بالاسلوب الصفوي لا تقبل الجدل، رغم انه من الصعوبة بمكان تتبعها فيما عدا الطبقة العمالية في المجتمع.

وقد كان في ديانات شمالي الهند، خاصة في كشمير، عدداً اكبر من الشيعة مما في المناطق الاخرى، وقد استخدمت الطبقات الشيعية اساليب مبتكرة في الحزن على آل البيت المظلومين، على الرغم من ان المغول كانوا في بعض الاحيان يقمعون مثل هذه المظاهر.

وبدأ الحكم المغولي او التيموري بحاكم يدعى بابر Babur (توفي عام ١٥٣٠)، وهو تركي من Chaghati، كان يريد في الاصل تأسيس دولة له في موطنه بآسيا الوسطى، ولكن لما سد عليه الاوزبك المجال في آسيا الوسطى، اسس لنفسه دولة في كابول وغزا الهند من قاعدته في افغانستان، اما ابنه همايون Humāyun فقد طرد من الهند من قبل حكام الافغان، والتجأ الى ايران الصفوية، وهناك ساعده الصفويون في اعادة تأسيس دولته الهندية، مقابل ثمن هو التظاهر باعتناق المذهب الشيعي، الذي لم يكن يظهر له اي حماس حقيقي، واستولى همايون على الاراضي ولو كان قد اعتنق المذهب الشيعي بالفعل لفعل الكثير من اجل نشر هذا المذهب في شمالي الهند.

لكن ابن همايون المدعو اكبر Akbar (١٥٥٦ ـ ١٦٠٥) جعل الامبراطورية المغولية على

---

(٤) فرشته، تاريخ، الثالث من ص٣ ـ ١٨٨، م.أ.نعيم: العلاقات الخارجية لمملكة بيجابور (١٤٨٩ ـ ١٦٨٦ م)، حيدر اباد، ١٩٧٤، ص٥٢ ـ ٧٢، ريتشارد ماكسويل إيتون: صوفيون في بيجابور، ١٣٠٠ ـ ١٧٠٠: الدور الاجتماعي للصوفيين في الهند في العصر الوسيط (برنستون، ١٩٧٨). ص٦٤ ـ ٧٠، ص١١٤ ـ ١٢٤، وكتاب: الشيعة في الهند ص١١٢ ـ ١١٧، تأليف هولليستر.

قدم ثابتة وذلك بالتحالف مع المناطق الهندوسية المحلية وباتباع ديانة لا تتعارض مع ما يحيط بها، من ابتداعه الخاص وكانت هذه الديانة تجمع بين مبادىء كل من الاسلام، الهندوسية، والزرادشتية.

وقد كان (اكبر) يحمل مذهب الشيعة الاثنى عشرية، لكنه لم يكن يشجعه، وقد عين نور الله شوشتري وهو رجل دين شيعي من ايران، وقاضي في لاهور.

وقد كان تأييد المذهب الشيعي في الهند المغولية يتغير تبعاً للعلاقات مع ايران، وادى التحالف المغولي الصفوي في القرن السادس عشر، الى خلافات او نزاعات فيما بعد في القرن السابع عشر حول (قندهار)، وادى الى قيود على الشيعة في الهند[٥] . على ان المثل الوحيد على اتباع المذهب الشيعي في شمالي الهند، كان في كشمير، حيث أتت أسرة (شاك) Chak الشيعية (١٥٦١ ـ ١٥٨٩) الى الحكم.

وقد اتت الشيعية من ايران الى كشمير واعتنقها بعض السادة وجماعة (شاك). كذلك فقد اتى اعضاء من الطريقة الصوفية النور بخشية الى كشمير من ايران في السنوات السابقة للإمتداد الصفوي لاذربيجان.

وبنشأة او نمو القوة الشيعية في ايران اصبح النور بخشيون من الشيعة، اثنى عشريون، وتسبب هذا الحكم في بعض الاصطدامات بين السنة والشيعة في كشمير.

واستمر عدد قليل من الشيعة في التواجد في كشمير نظراً لهذا الصراع بين السنة والشيعة، لكن النفوذ الشيعي استمر في الجهاز العسكري لكشمير[٦] .

ولقد كتب الرحالة الاوروبي (مانوسي) Manucci ان (اكبر) بدأ سياسة متعمدة في استقبال الايرانيين من الشيعة الذين هربوا من النفوذ الصفوي الى الهند، وقال ان اكبر واتباعه قدّموا لهؤلاء اللاجئين مناصب رسمية، وارسلوهم الى مقاطعة كشمير حيث عاشوا حياة مريحة، وعندما كان احد هؤلاء يموت كان راتبه يوزع على الباقين بدلا من اعادته الى الحكومة.

وقد وضع في النهاية اورنك زيب Awrangzib حدا لهذا الميراث[٧] .

ولما كانت كشمير قد حُكمت من قبل اسرة شاك Shak الشيعية وفيها عدد كبير من الشيعة، فقد كانت مكاناً مناسباً يرسل اليه المغول الايرانيون من اللاجئين الذين كانوا يأملون ان يستفيدوا منهم من الناحية السياسية، وقد ساعد ثراء وقوة هذه الطبقة الحاكمة الشيعية على الانتشار في كشمير وفي منطقة النبجاب المجاورة.

وقد كتب (Rizvi) نقلا عن احد الرحالة في آسيا يتحدث عن محرم في لاهور حوالي عام (١٦٣٥)، ويقول ان الايام الخمسة الاولى كانت للاحتفال بالايام السعيدة في حياة الأئمة، وكان المغنون والمغنيات يقدمون اغاني كثيرة، ومنذ اليوم السادس حتى العاشر من شهر محرم يعلن الحداد والحزن ويتم لعن اعداء الائمة، وفي اليوم العاشر نفسه كان الشيعة يمكثون هم والهندوس في البيت، ولكن كانت هناك صدامات بين السنة

---

(٥) رياض الاسلام: العلاقات الهندية ـ الفارسية: دراسة في العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الامبراطورية المغولية وايران (طهران: مؤسسة الثقافة الايرانية، ١٩٧٠).

(٦) فرشته، تاريخ، الرابع ص٤٤٤ ـ ٤٥٠، ص٥٠٨ ـ ٥٣٠، هوليستر: الشيعة في الهند، ص١٤١ ـ ١٥٠.

(٧) محمود بن أمير والي: بحر الاسرار في مناقب الاخبار، نقل في كتاب لـ س. أ. أ. رضوي Rizvi: الشاه ولي الله وايامه (كانبيرا، معرفة، ١٩٨٠) ص١٩١.

والشيعة[8] .

اما الرحالة الفرنسي تافرنيه Tavernier فقد اشار الى النبلاء الايرانيين والعسكريين الذين كانوا في خدمة المغول السنة، وقارن اعدادهم بأعداد اولئك المتواجدين في بيجابور، والذين حكموا من قبل الشيعة، وكتب عن اولئك الايرانيين قائلاً:

«الحقيقة انهم رغم نظرتهم الى السنيين بالهلع ومع ذلك فقد اتبعوا دين الملك معتقدين بأنهم ان كانوا يريدون المحافظة على اموالهم فيجب عليهم اخفاء عقيدتهم الحقيقية، وبأنه يكفي بالنسبة لهم ان يحتفظوا بها في قلوبهم. . . ورغم ان اورنك زيب Awrangzib كان لديه عدد كبير من الايرانيين في خدمته الا انه لم يسمح لهم بالاحتفال بالحسن والحسين ابناء الامام علي[9] .

وتحدث رحالون آخرون في اواخر القرن السابع عشر ايضاً عن وجود احتفالات او ذكرى الامام الحسين في شمالي الهند ومنع اورنك زيب في شمالي الهند مثل هذه الاحتفالات[10] .

وفي عام ١٦٦٨ منع مثل هذه الاحتفالات او المراسيم التي كان الناس اثناءها يعرضون بعض الاخشاب المزخرفة او نسخ مطابقة من شجر البامبو من قبر الامام، يعرضون هذه الاشياء على الارض، وانتشرت هذه العادة في برهان پور[11] .

ولم يذهب الى الهند من ايران فقط الاشخاص العسكريون او اللاجئون السياسيون، بل على الاقل كان هناك اثنان من كل عائلة دينية في اصفهان في القرن السابع عشر، كأسرة المجلسي التي نزحت الى الهند تحت حكم اورانك زيب، وبرز حفيد لمحمد تقي المجلسي، آغا محمد سعيد مازندراني كشاعر مفضل للبلاط في دلهي، واسمه في الكتابة «أشرف»[12] ، اما شقيقه ويدعى آغا حسن علي فقد تبع خطاه، فقد كان على ابناء علماء الشيعة، ان ارادوا النجاح من الناحية الاجتماعية في الجو السني القوي للبلاط المغولي، كان عليهم ان يركزوا على النجاح في المجال الادبي او الطبي.

ومن هنا فقد كان للشيعة دور في تاريخ الهند المغولية في القرن السادس عشر والسابع عشر، حيث انتشر الشيعة الى حد كبير خاصة بين الشعب العادي من ايران او عن طريق التجار الايرانيين الذين قدموا من ايران.

وقد عارض معظم الشيعة في شمالي الهند من الاخباريين، في اقامة صلوات الجمع في غياب الامام الاثنى عشري، واتبع قسم كبير في مولتان Multan والسند Sindh، الشيعة الاثنى عشرية بعد عام ١٥٠٠، وادت السيطرة السنية الافغانية في القرن الثامن عشر لهذه

---

(٨) نيكولاو مانوسي: قصة المغول او الهند المغولية من ١٦٥٣ ـ ١٧٠٨، ترجمة وليام ايرفين، ٤ مجلدات (لندن: جون موراي، ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨) الثاني ص١٦.

(٩) جان بابتيست تافرنيه: رحلات في الهند، ترجمة ف. بال، مجلدان، (لندن: ماكميلان، ١٨٨٩)، الثاني ص١٧٦ ـ ١٧٧.

(١٠) جون فراير: تاريخ شرق الهند وايران، في تسع سنوات من الرحلات من عام ١٧٧٢ ـ ١٦٨١ تحقيق وليام كروك، ٣ مجلدات (لندن: هاكلويت ١٩٠٩ ـ ١٩١٥) الاول ص٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(١١) محمد هاشم خافي خان [منتخب اللباب] تاريخ Alamgir، ترجمة س. معين الحق (كراتشي: جمعية باكستان التاريخية، ١٧٥) الصفحات من ٢١٦ ـ ٢١٧.

(١٢) انظر غلام علي آزاد بلكرامي: مآثر الكرام، مجلد (٢)، (لاهور، مطبعة دكني رفاعي امام، ١٩١٣.

المناطق، وفي كشمير الى هجرة كثير من الشيعة باتجاه الجنوب نحو دلهي أو أود، وفي اواخر القرن السابع بعد قهر اورانك زيب للحكم الشيعي في حيدر اباد، اتجه الشيعة في الدكن باتجاه الشمال للالتحاق بخدمة المغول ناشرين طقوسهم في دلهي[١٣] .

التحولات السياسية في القرن الثامن عشر وتاثيرها على الشيعة

انتشرت في القرن الثامن عشر ثلاثة امبراطوريات اسلامية في كل من جنوبي وغربي اسيا وشمال افريقيا، لكن هذه الامبراطوريات عانت من التحولات السياسية سواء في الداخل او في الخارج.

فقد كانت هناك ثورات من قبل جماعات او قبائل محلية ومن الفلاحين ممن كانوا يعانون من الضرائب الكبيرة المفروضة عليهم، وهذه الثورات قامت ضد الامبراطوريات المتمركزة والجيوش التي تحالفها، مما ادى الى انهيار البيروقراطية في صالح القوة القبلية التي تستند الى حرب المقاومة وحرب العصابات.

وكما سنبين فيما بعد، فإن الامبراطورية المغولية انهارت في المركز وظهرت مقاطعات اقليمية، ولما انقضى هذا القرن اخذ التأثير السياسي لشركة الهند الشرقية البريطانية يزداد بشكل هائل حتى انها اخذت البنغال وغيرها من المناطق.

لقد سقط الصفويون أمام جيوش القبائل السنية الغازية في عام ١٧٢٢، واصبح الخليج الفارسي بالتدريج بحيرة بريطانية، ولم يصمد من الامبراطوريات الاسلامية الثلاث الا العثمانيون وربما كان السبب يعود الى ان القوى الاوروبية لم تكن قد اتفقت فيما بينها بعد على كيفية اقتسام هذه الامبراطورية، كذلك فقد عانى العثمانيون من انهيار سلطتهم على قسم كبير من الامبراطورية كالعراق ومصر وذلك بعد ظهور قوة المماليك، وقد اثرت هذه التغيرات السياسية والاقتصادية بشدة على الشيعة الامامية بحيث اعجزت المؤسسات الدينية في ايران لعشرات السنين، واعطت استقلالا اكبر للمدن الشيعية المقدسة في جنوبي العراق تحت حكم المماليك الضعيف، ووفرت بهذا الفرصة لحكام الشيعة في البنغال وأود، للاستقلال الاقليمي عن المغول في الهند.

كذلك فإن نمو الايديولوجية الشيعية في العراق وايران كان له تأثير مصيري على الشيعة في شمالي الهند فيما بعد القرن الثامن عشر.

وقد ترأس الشاه سلطان حسين(١٦٩٤ ـ ١٧٢٢) بعد افول نجم الامبراطورية الصفوية، وكانت سياسة هذا الشاه مؤدية الى الضعف، ولم يكن يتخذ اجراءات حازمة الا فيما يتعلق بالامور الدينية، فقد اعطى حرية كاملة للتعصب الاعمى لبعض رجال الدين مثل شيخ الاسلام محمد باقر مجلسي (توفي ١٦٩٩).

وأمر آخر الصفويين بالتحول الديني لليهود والزرادشتيين، وامر بطرد آلاف من التجار الهندوس من اصفهان، واضطهد بعض الجماعات السنية مثل الاكراد.

وأدت التغيرات في الادارة واهمال الجيش الى جعل ايران عرضة لغزوات من قبل

(١٣) رضوي: شاه ولي الله وعصره، ص١٩٠ ـ ١٩٥.

البلوش Baluchi، ولغارات من قبل قبائل Ghilzay الافغانية التي استولت على قندهار في عام ١٧٠٩، واستولى جيش افغاني مؤلف من عشرين الفاً من الجنود على كرمان Kirman في عام ١٧٢١ واتجهوا بعد ذلك نحو اصفهان التي سقطت بعد حصار طويل بيد هذه القبائل في عام ١٧٢٢، وبدأت ايران ايضاً تشعر بالضغط العسكري من روسيا في عهد بيتر العظيم Peter، ومن الاتراك العثمانيين.

ووجد طهماسب الثاني Tahmasp II وهو طموح للمُلك الذي احتله الافغان، وجد في شخص يدعى نادر افشار Nadir Afshar سنداً له لدعمه، ولكن لما هزم نادر الافغانيين استولى على العرش لنفسه في عام ١٧٣٦، ثم حاول الجمع بين القبائل بواسطة حلف وتصالح فيما بينها، وما لبث (نادر) ان غزا ايران مرتين، الاولى في عام ١٧٣٠، والثانية في عام ١٧٤٠ وواجه دفاعاً من قبل العثمانيين في المرتين، وفي اواخر عام ١٧٣٠ قاد حملة كبيرة على الهند حيث استولى على لاهور ودلهي وجعل الامبراطورية المغولية ذليلة له فترة من الزمن، لكن الشقاقات القبلية من الافغان السنة والقزلباش Qizilbash الشيعة اللذين كان يتألف منهما جيشه، ادى الى اغتياله فيما بعد، وذلك في عام ١٧٤٧ فانقسمت الاقاليم التي كانت من قبل تابعة لايران الصفوية، وما لبث ان ظهر الزنديون Zands منتصرين في غرب خراسان.

وقد حكم كريم الزندي (١٧٦٣ ـ ١٧٧٩) واعاد توحيد ايران وكان يهدف الى الاستيلاء على تجارة الخليج الفارسي بواسطة الاستيلاء على البصرة، وهي الميناء العثماني في العراق. ولدى موت كريم خان ظهر اتباع قاجار Qājār واستولوا على السلطة، واسسوا دولى شيعية جديدة حكمت خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين.

وعلى خلاف الهند المغولية، او الامبراطوبة العثمانية، فإن ايران تحت حكم «القاجار» Qājār استعادت السيطرة بانتهاء القرن الثامن عشر على معظم المناطق التي استولى عليها من قبلهم في القرن السابع عشر.

لكن اقتصاد ايران تأخر فترة من الزمن (١٧٢٢ ـ ١٧٩٧)، في الوقت الذي كان فيه اقتصاد روسيا وبريطانيا يتقدم(١٤).

وقد كان لهذه الاتجاهات السياسية تأثير كبير على علماء الشيعة، وقد كان لعلماء الشيعة من المدرسة الاصولية نفوذ كبير تحت حكم آخر حاكم صفوي وهو الشاه سلطان حسين، وكان لهم ايضاً ثراء ومركز.

على ان الاستيلاء الافغاني على اصفهان عام ١٧٢٢ شتت كثيراً من أُسر هؤلاء العلماء، كما ان كثيرا من رجال الدين الشيعة والتجار الشيعة هربوا من ايران خلال الربع الثاني من القرن الثامن عشر واتجهوا نحو الاماكن المقدسة في العراق العثمانية.

ورغم ان عدد سكان اصفهان تقلص من ٢٥٠,٠٠٠ نسمة الى ٥٠,٠٠٠ فقط، الا انها ظلت احدى المدن الكبيرة في ايران ومركزاً للتصوف خلال هذه الفترة.

اما مراكز الاصوليين في ايران فقد ظلت نشطة رغم ان المعلومات قليلة عن هذه

---

(١٤) هذه الحوادث درست في كتاب لورنس لوكهارت: سقوط الخلافة الصفوية والاحتلال الافغاني لايران (كامبردج، مط: جامعة كامبردج، ١٩٥٨)، ونادر شاه (لاهور العرفان، ١٩٧٦)، وكتاب جون ر. بيري: كريم خان الزندي: تاريخ ايران، ١٧٤٧ ـ ١٧٧٩ (شيكاغو: مط. جامعة شيكاغو، ١٩٧٩).

المراكز مثل شيزار وتبريز وغيرها.

واتبع علماء الشيعة في ايران استراتيجيات مختلفة للتعامل مع التقلبات الكثيرة في خلال القرن الثامن عشر، ومنها الهجرة الى الاماكن المقدسة العراقية، والبعض كان يطمح الى استعادة المركز الديني في اصفهان والبعض تزوج من أُسر تجار غنية.

واستقر الكثيرون في مدن ايران الصغيرة وفي بعض القرى الكبيرة حيث تزعم رجال القبلية مع انهيار الحكم المركزي.

واعتلى رجال اسرة المجلسي Majlisi مراكز دينية كبيرة في عدد من المدن.

واخيراً، بحث البعض عن عمل في البنخال (التي كانت تحكمها اسرة من الشيعة منذ عام ١٧٤٠ وحتى ١٧٥٧)، ومنهم منع عمل في الادب او الطب وغير ذلك[١٥].

وفي هذه الفترة كان المرء يجد الملا، ورجل الدين يحاولون ضمان امن اقتصادي لانفسهم عندما خف ارتباطهم بالبلاط منذ عام ١٧٢٢ حتى ظهور الزنديين، وهذا ما ادى الى نمو قوة العلماء في القرن التاسع عشر والقرن العشرين[١٦].

كذلك فقد حدثت تطورات كبيرة في العراق خلال القرن الثامن عشر، فقد حكم (حسن باشا) وهو عثماني، العراق حكماً قاسياً (١٧٠٣ ـ ١٧٢٤)، لكن العراق كابد من غزوات ايرانية بقيادة نادر شاه خلال حكم حسن باشا، وبعد ذلك كون سليمان باشا ابو ليلى باشا (١٧٥٠ ، ١٧٦٢) دولة مملوكية استمرت بعده الى ان استعاد العثمانيون الحكم المباشر عليها في عام ١٨٣١. وقد حصلت الدولة المملوكية على الاستقلال ولكن بالاسم.

اما المدن ذات المقامات المقدسة في العراق والتي كانت تحت الحكم السني العثماني فقد بقيت مراكز للمدرسة الاخبارية الاكثر محافظة، وبانهيار الدور الشيعي في ايران وبسياسة ضد الدين التي اتبعها الحكام الجدد فقد العلماء كثيراً من فرصهم السابقة للقيام بدور حقيقي او اجتماعي فعلي.

وقد ادى انهيار معظم المراكز الدينية الشيعية الكبرى في ايران الى ان تصبح الاماكن المقدسة في العراق اكثر عظمة لبقية العالم الشيعي، وقد حصل نادر شاه من العثمانيين على تعهدات على عدم اخذ ضرائب من الحجاج الذين يزورون هذه الاماكن، وادت تجارة الحجاج الى جلب الثراء للعراق من ايران والهند، ووهب المماليك المدن المقدسة استقلالاً نسبياً بالنظر الى الخوف من غزو ايراني جديد، واعطى كل هذا لعلماء الشيعة في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء كثيراً من الثروة والقوة والاستقلال في الفترة التي تلت هذا في القرن الثامن عشر.

وكان للاتجاه السياسي تأثيرات مختلفة حول الشيعة في اماكن عديدة من الشرق الاوسط، ففي ايران، كان لسقوط الصفويين اثر في التقليل من سلطة علماء الشيعة وفي

---

(١٥) انظر حميد الغار Hamid Algar: التشيع وايران في القرن الثامن عشر، سلسلة دراسات ناف وأوين Naff and Owen، ص٢٨٨ ـ ٣٠٢.

(١٦) هذا التحليل مأخوذ من كتاب آغا احمد بهبهاني: مرآة الاهالي جهان نامة، مخطوط فارسي، Add رقم 24,052 الاوراق ١٧ ـ ٤٣، المكتبة البريطانية لندن، ولدراسة كاملة عن الشيعة في القرن الثامن عشر، انظر ج. ر. أ. كول رجال الدين الشيعة في العراق وايران من ١٧٢٢ ـ ١٧٨٠: الصراع الاخباري ـ الاصولي سلسلة دراسات ايرانية ١٨، ورقم (١)، (١٩٨٥)، ص٣ ـ ٤٣.

فقرهم، اما في العراق فقد كان لمحاولات الايرانيين في الاستيلاء على المدن ذات الاماكن المقدسة اثر على استمرار الحج والتجارة وكان لظهور الحكم الاقليمي المملوكي اثر في استقلال وثراء علماء الشيعة.

السلطة الإخبارية الجديدة 1722 ـ 1763 في العراق

حاول علماء الشيعة في القرن الثامن عشر محاربة بعض ما قيل عن تفسير المذهب الشيعي فقد عاد الصراع القديم بين الاصوليين والاخباريين بشكل جيد إذ ان الاخبارية في القرن الثامن عشر كانت اقل محافظة مما كانت عليه قبل الصفويين، فقد كان معظم الاخباريين في ايران والعراق متقبلين لشرعية صلوات الجمعة في الخفاء Occultation لكن الاخباريين كانوا يفضلون موقفاً اكثر تحفظاً تجاه اصدار الاحكام الشرعية باستثناء الاسلوب العقلاني للاصوليين. والحقيقة ان الصراع الايديولوجي كان يعكس التنافس بين الاسر الشيعية من العلماء وتنافس المناطق والقوى الاجتماعيي والاقتصادية التي تؤثر في دخلها.

لقد كان الشيخ يوسف البحراني ١٦٩٥ ـ ١٧٧٢ م شخصية كبيرة في التطور الفكري للشيعة. وقد نشأ في البحرين في اسرة من رجال الدين الاصوليين الذين كانوا ايضاً يعملون كتجارة اللؤلؤ.

واتجه الى سيراز هرباً من الغزو العماني للبحرين في عام ١٧١٧، ثم عاد الى كربلاء هرباً من الاستيلاء الافغاني لايران، وقد اتبع البحراني المدرسة الاصولية تاركاً مدرسته القديمة في البحرين.

وقد اعتمد كلاجىء من ايران الى كربلاء اول الامر على شخصيات دينية رفيعة من الاخباريين، ولما مضى الوقت، انتقل البحراني من الاخبارية الشديدة الى موضع اخباري ـ جديد له عناصر اصولية، ومع ذلك فقد نبذ المبادىء الاصولية للاحكام الشرعية والمنطق الاصولي الذي أستخدم في تفسير الشرع، كذلك فقد طرح فكرة شرعية الحرب المقدسة خلال Occultation غيبة الامام[١٧]، وبتدفق الايرانيين الى كربلاء من اصفهان وغيرها من المدن الايرانية استخدم المعلمون الاخباريون في المدن المقدسة نفوذهم في اقناع هؤلاء باتباع المدرسة الاخبارية.

ويمكننا ان نلمس الاتجاه نحو الاخبارية في الفترة التي تلت عام ١٧٢٢ وذلك من خلال شخصية اخرى برزت في القرن الثامن عشر، وهي شخصية آغا باقر بن محمد أكمل (١٧٠٥ ـ ١٧٩٠)، وقد ولد في اصفهان وكان ينحدر من ناحية والدته، من اسرة المجلسي الدينية، وقد استطاع ان يؤثر في المجتمع بحيث يصل الى ما هو ابعد من المسجد، فقد كان له اخوة غير اشقاء يعملون في اصفهان وطهران كصرافين، وفي شيراز الزندية كضرائبيين، وقد هاجر اغا محمد باقر الصغير الى كربلاء في عام (١٧٢٢)، وذلك تحت تأثير الاخباريين

---

(١٧) انظر نيكي ر. كيدي: «جذور قوة العلماء او سلطانهم في ايران الحديثة»، في العلماء، الاولياء، المتصوفون: المؤسسات الدينية الاسلامية في الشرق الاوسط منذ عام ١٥٠٠، ن. ر. كيدي، محرر، (الطبعة الثانية ،بركلي ولوس انجلس): مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٨، ص٢١١ ـ ٢٢٩.

هناك فتغير الى هذه المدرسة من الاصولية الاصفهانية[١٨].

وسافر أغا محمد باقر في اوائل عام ١٧٣٠ الى بهبهان Bihbahan على الحدود في المناطق الايرانية وهي خوزستان وفارس، وحيث انتشرت كثير من العائلات الاصفهانية من العلماء في مثل هذه المدن الصغيرة (القصبات) في جنوبي ايران، وقد كانت هذه المدن رغم كونها قريبة نسبياً من المدن المقدسة، فإنها كانت تقدم أماناً كبيراً في هذه الفترة، اكثر بكثير مما تقدمه المدن الكبيرة.

ووجد اغا محمد باقر ان المؤسسات الدينية في بيبهان في المدن المقدسة يسيطر عليها علماء من البحرين، كانوا قد اتبعوا من جديد الاخبارية، ورغم انه سايرهم لفترة الا انه عاد الى الاصولية الاصفهانية التي كان عليها، واشتبك في جدال مرير مع الاخباريين، وقد كان زعيماً أو إماماً كبيراً في الصلاة ومعلماً وظل كذلك فترة ثلاثين سنة[١٩].

وما لبثت الثقافة الاصولية في اصفهان والتي تبددت في المدن المقدسة التي سيطر عليها الاخباريون في ١٧٢٠، ما لبثت ان عانت في عام ١٧٣٠ من عدم تأييدها من قبل نادر شاه (١٧٣٦ ـ ١٧٤٧)، الذي حل بالقوة محل الافغانيين والصفويين، وقد فرض في سياسته على الايرانيين بأن يُعلنوا لعنهم للخلفاء الاوائل للسنة، وهذه السياسة مكنته من اخضاع كل من الافغانيين والفرسان القزلباش، والاقوياء من السنة والذين اتوا بعدهم من الشيعة المتينين.

كما اجبر نادر شاه علماء الشيعة ان يوافقوا على التسوية، وسعى بالاضافة الى ذلك الى اضعاف رجال الدين والحد من اي معارضة لسياسته من قبل رجال الدين، وذلك بواسطة مصادرة الهبات الكبيرة التي كانت تدعم المساجد وحلقات العلماء في اصفهان[٢٠].

حركة احياء الاصولية في الفترة الزندية (من 1763 ـ 1779)

عاد اغا محمد باقر الى العراق لفترة من الوقت في اوائل ١٧٦٠، ووجد البهبهاني وهو اسمه المعروف، ان المدن المقدسة اصبحت مكاناً عدائياً للاصولية، وكان الشيخ يوسف البحراني وهو في الستين من عمره ويصغر البهبهاني بعشر سنوات، مسيطراً على المؤسسات الدينية في كربلاء كمسؤول عن العلم الشيعي، وقد اعتبر البحراني بإخباريته الجديدة ان الاصوليين غير طاهرين من ناحية الطقوس، وكان يمسك بمنديل عندما يحمل كتاباً من تأليفهم (من اعمال الاصوليين) حذراً من النجاسة وكان من يحمل كتاباً للاصوليين في الشارع عرضة للاغتيال ايضاً[٢١].

---

(١٨) البحراني: لؤلؤة البحرين، ص٤٤٢ ـ ٤٤٣، والخوانساري: روضات الجنات، ج(٨) ص٢٠٥.

(١٩) بهبهاني: مرآة الاحوال، الاوراق من ٣٦٠، من ٤٤٠ ـ ٤٥٦.

(٢٠) المصدر نفسه: الاوراق من ٤٥٨ الى ٤٦٨، وكتاب علي ديواني: استاذ الكل أغا محمد باقر بن محمد أكمل بك وحيد البحراني (قم ـ شابخانة دار العلم، ١٩٥٨) ص١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢١) محمد مهدي كواكبي الاسترابادي: التاريخ النادري، تاريخ حياة نادر شاه، ترجمة جوق (لندن، ١٧٧٣)، ص٦٦ ـ ٦٧، وكتاب سيد عبد الله السويدي، مؤتمر النجف، القاهرة: المط. السلفية، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣، ص١٦ ـ ١٧، الجر Alagr: الشيعة وايران: ص٢٩١ وما بعدها.

وكانت السلطة في المدن المقدسة تتألف من مجموعة من المافيا ورجال الدين المتزعمين، وكان على اي شخص بارز من بين العلماء ان يعقد تحالفاً مع الاسياد اصحاب الارض والحراس الرئيسيين. فواجه البهبهاني اول الامر صعوبات كثيرة في كربلاء حتى انه فكر بشكل جدي في العودة الى ايران، لكنه بدأ بتدريس النصوص الاصولية في السر لمجموعة من التلاميذ الموثوق بهم، وكثير منهم كانوا سابقاً تلاميذ البحراني.

وكان الايرانيون في السابق عندما قدموا الى المدن المقدسة في (١٧٢٠)، كلاجئين فقراء، قد اندمجوا في الفكرة الاصولية الاخبارية للعرب الذين كانوا يحسنون لهم، وبعد اربعين سنة اصبح هناك خلية اصولية في كربلاء يتزعمها اعضاء من المجلسيين، وكانت تميز الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي للاحياء الايرانية في الاماكن المقدسة[٢٢].

وكانت عودة الثروات للعلماء في الفترة الزندية ولو جزئياً، قد تزامنت مع النهضة الاقتصادية للتجار او لطبقة التجار التي كانوا مرتبطين بها[٢٣].

وربما كانت ثروة اغا محمد باقر قد أتت عن طريق اقربائه او انسبائه الذين كانوا وكلاء اثرياء في البنغال، فبدأ البهبهاني يشعر الى حد ما بأنه اصبح لديه عدد كاف من التلاميذ، ودعم مالي، وضمان بحيث يمكنه ان يعلن تحديه للبحراني بصراحة، مما ادى الى استقطاب مجتمع العلماء في كربلاء خلال عام ١٧٦٠ وما بعده، وفي عام ١٧٢٢ عندما قضى البحراني، تولى البهبهاني وكان له مركز ذو اعتبار بحيث انه كان هو الشخص الذي صلى على جنازة خصمه العنيف.

وازاحت وفاة الشيخ يوسف اقوى زعيم من الاخباريين من الساحة، واتاحت بذلك للأغا محمد باقر وكان حينئذٍ في الستين من عمره، ان يقضي الحقبة الاخيرة من عمره في تعزيز مركزه، وفي هذه الفترة بدأ البعض بالتخلي عن الاخبارية الجديدة لصالح المدرسة الاصولية[٢٤]، ومن هؤلاء عدد من التلاميذ السابقين للبحراني بما فيهم أبناءهم البهبهاني وهم الطباطبائيين الصغار، وبعض الباحثين العرب او بعض العلماء العرب.

وقد ساعد هؤلاء زعيمهم المسن في تدريب جيل جديد من المجتهدين الشباب الذين قدموا من ايران الى المدن المقدسة في السنوات الاخيرة من الهيمنة الزندية Zand، وفي اوائل ايام حكم قاجار Qājār.

وكانت حركة الاحياء الاصولية من ناحية الايرانيين ظاهرة في الفترة الزندية، ثم جاء اتباع قاجار فيما بعد ليدعموها، وقد كان هناك في المدن المقدسة نفسها نصراً اصولياً رافق نحو القوة الشيعية المحلية وانهيار السيطرة العثمانية المركزية، بحيث ان المبادىء الاصولية، مثل اقامة الصلوات الشيعية كان يمكن تنفيذها بالتدريج وذلك مالم يحتمله العثمانيون عندما كان لهم يد قوية في العراق، وتعززت الاصولية بشكل خاص من قبل العائلات

---

(٢٢) ميرزا محمد تونيقابوي: قياس العلماء (طهران، كتابفروشي «علمية اسلامية»، دون تاريخ، ص: ٢١٠، والخوانساري: روضات الجنات (٢) ص٩٥.

(٢٣) البعد العرقي للصراع الاصولي - الاخباري قد اشار اليه وحيد رفتي Vahid Rafati في (تطور الفكرة الشيخية في الشيعة الاسلامية) رسالة دكتوراه، جامعة كاليفورنيا، لوس انجلس، ١٩٧٩، ص٣٠، وفي كتاب عباس امانات (الايام الاولى للحركة البابية، اصولها وتطورها) (رسالة دكتوراه، اكسفورد ١٩٨١، ص١٣ وما بعدها.

(٢٤) انظر كتاب Ricks: السياسة والتجارة ص٢٦٨.

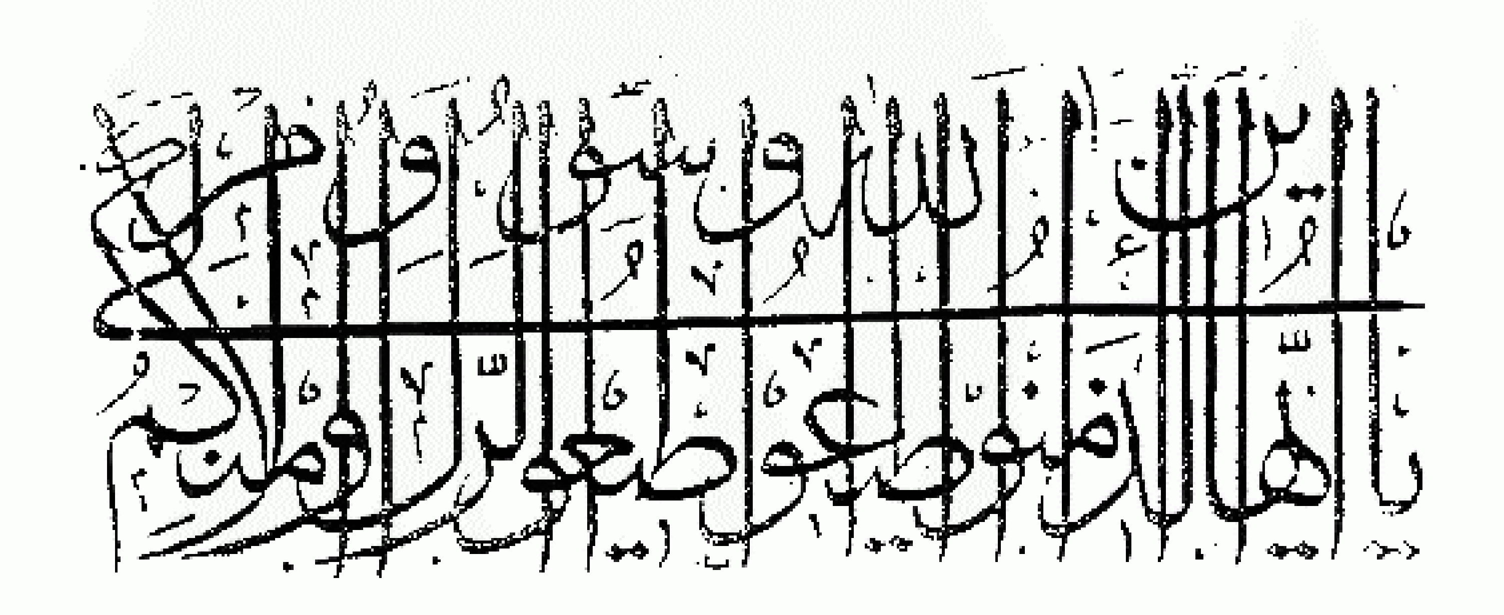
الايرانية النازحة في المدن العربية المقدسة، لكن المدرسة اجتذبت دعم العلماء العرب المحليين ايضاً في ١٧٧٠ وما بعدها، وهيأ الزنديون رعاية جديدة وأمناً اقتصادياً في ايران، وبذلك شجعوا احياء الاحكام الشرعية الاصولية الفعالة.

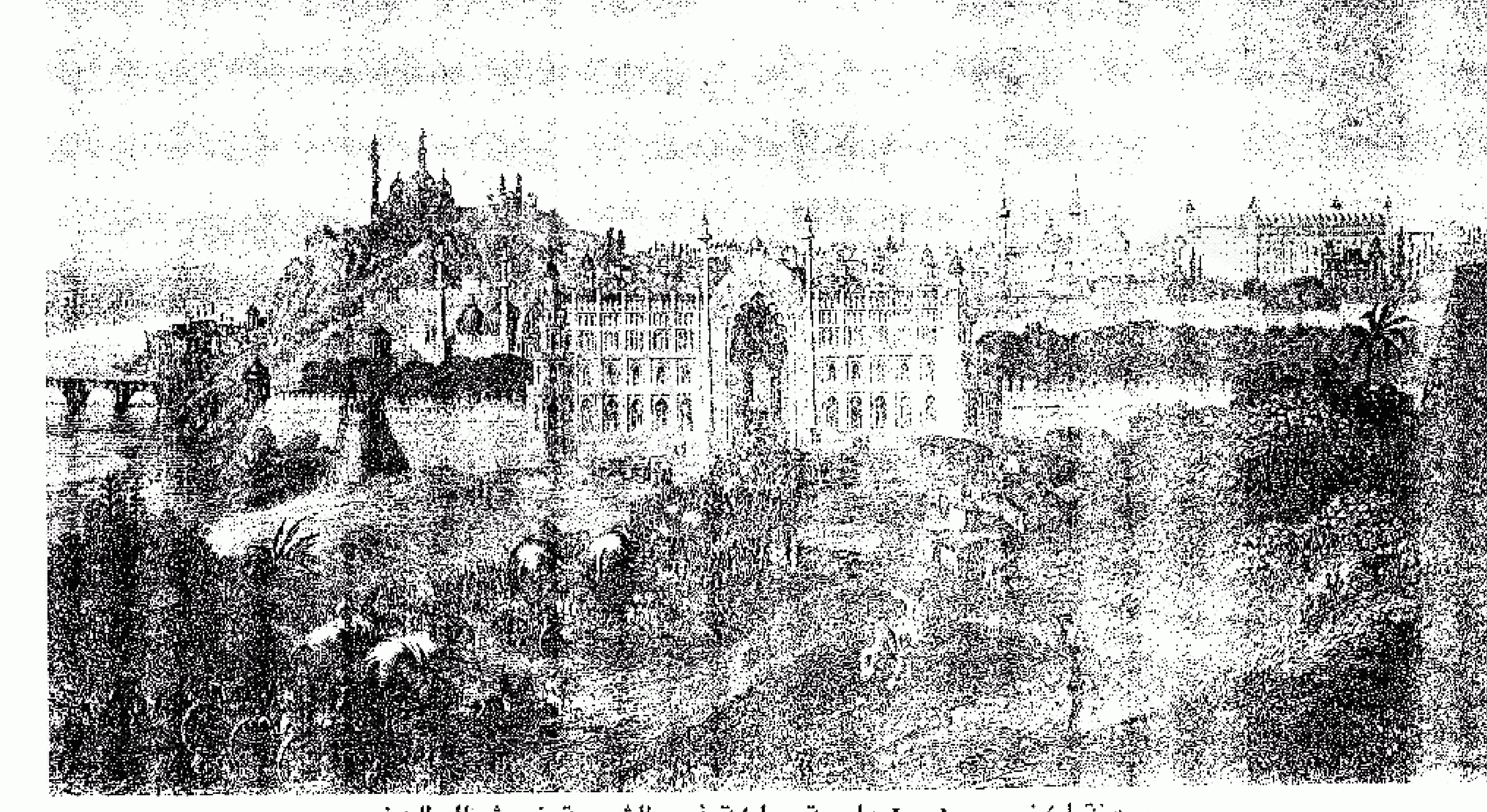
خاتمة

اعتمد الشيعة الامامية في العراق وايران منذ البداية على قوتين، الاولى الطبقة الشعبية من اصحاب البدع وحب عائلة النبي (ص)، وقد ادت الى اتاحة الفرصة لان تبقى الشيعة الإمامية بين اصحاب الحرف في المدن العراقية والايرانية وبين العرب الزاحفين في العراق ولكي تنتشر بين الرعاة التركمان في الاناضول، اما الثانية فهي دعم الطبقة الحاكمة فقد ايدت الدين في الفترة البويهية، وقسم من الفترة المغولية، وتحت الحكم الصفوي والزندي، كما ان اتباع الطبقات الشعبية للدين قد ساعد على انتشاره تحت ضغط الحكومات المعادية مثل الاتراك السنة او المغول، رغم انه عانى من بعض النكسات في مثل هذه الحالات، وفي القرن السابع عشر اتاح الدعم من قبل الطبقة الحاكمة في جنوبي الهند للشيعة الامامية تطوراً ملموساً في المؤسسات الدينية، لكنه فشل في كسب ولاء الجماعات الهندوسية والسنية.

وشهدت الفترة الاخيرة من القرنين السابع عشر واوئل الثامن عشر نكسات سياسية بالنسبة للشيعة الامامية، فقد خلع المغول السنة، الملوك الباقين من الشيعة في جنوبي الهند، وجكم العثمانيون المناطق الشعبية في جنوبي لبنان وجنوبي العراق، وهزمت بعض القوات من مسقط البحرين الشيعية، وزحف السنة الافغان الى ايران وخلعوا الصفويين.

وكانت الشيعة الامامية في كل مكان تلقى كعقيدة مهاجمة، وذهب ثراء العلماء، ولم يبق حياً سوى الايمان من قبل عامة الشعب، على ان النصف الثاني من القرن الثامن عشر شهد انقلاباً فقد انعكس الامر، إذ ضعف المغول وسمحوا لحكامهم الشيعة في أود والبنغال بالاستقلال الذاتي، واسترجع الزنديون الحكم للشيعة في ايران، كما ان العثمانيين الذين انهاروا سمحوا للماليك السنة ان يستولوا على السلطة في العراق، مما ادى الى اعطاء حرية كبرى للمدن ذات الاماكن المقدسة، واستفاد علماء الشيعة من المناخ السياسي الذي تحسن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وذلك للتعبير عن فكرتهم الدينية للشيعة الاصولية.

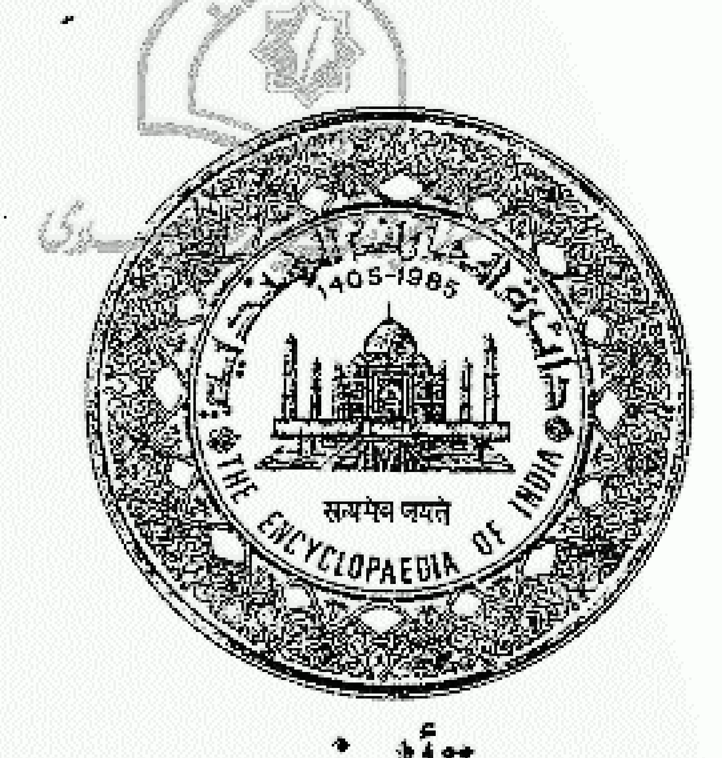




مدينة لكنو Lucknow عاصمة مملكة أود الشيعية في شمال الهند
(لقطة من أيام نهضتها وازدهارها)

مملكة أود الشيعية في الهند

(1722 ـ 1859 م)



تأليف

J.R. Cloe

تعريب خاص

﴿من القسم السادس الى آخر الكتاب﴾

القسم السادس

المشرعون الجدد والصراع على الزعامة الدينية

The New Jurisprudents and the struggle for Religious Leadership

قسم ويبر عالم الاجتماع المؤسسات الحاكمة بين اثنتين الأولى هي سياسية والثانية هي دينية، وكلاهما في نظره تسعيان الى الحصول على السلطة والهيمنة[١].

وقد كانت المؤسسة الدينية الجديدة مدعومة من قبل منح الأراضي التي تهيء دخلاً للعلماء وهؤلاء كانوا مختلفين عن كافة الناس باعتبارهم رجال دين متخصصين في الشؤون الدينية.

وأدى الظهور التدريجي للمؤسسات الدينية الشيعية في أود مع ظهور الدولة الشيعية الى التفكير في السلطة ونوع السيطرة الذي ستستعمله هذه (هيروقراطية - العقيدة الدينية).

ففي أواخر القرن الثامن عشر بدأ رجال الدين الرسميون من الشيعة ومعظمهم من صغار ومتوسطي أصحاب الأراضي من «القصبة»، بدأوا في ممارسة مهامهم في إمامة الصلاة وفي الفتوى غير الرسمية وفي الإشراف على الزكاة الدينية، وكانت المؤسسات التي ساعد الأفراد من هؤلاء على تأسيسها، تحوي بذورّ المجتمع الديني المعقد ببيروقراطيته الخاصة وسيطرته على الثروة.

وكان الفكر الأصولي الذي اتبعه هذا الفريق الجديد والذي استعمل في إيران وجنوبي الهند، ليبرر السيادة الدينية على السلطة العقائدية، كان هذا الفكر كثيراً ما يترابط بعدوان تجاه المنافسين[٢].

وقد تطور المذهب الأصولي على يد رجال الدين الذين كانوا ينشدون التكيف مع السلطة الحاكمة، التي أخذت تنمو قوتها في إيران الصفوية، كما كَيّف الأصوليون أنفسهم وفقاً للواقع الذي يفرضه سلطان الحكومات ذات السلطة الشيعية؛ محاولين إيجاد مؤسسة احتكارية دينية تحيط بالمجتمع الشيعي

---

(١) ماكس ويبر: الاقتصاد والمجتمع الاول(بركلي ولوس انجلس: جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٨) ص ٥٣ - ٥٤، ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٢) ر.م. ايتون: صوفيون في بيجابور Bijapur ١٣٠٠ - ١٧٠٠ (برنستون مط. جامعة برنستون، ١٩٧٨) ص ٦٢ - ٧٠.

بأكمله[٣]، وقد أدى البحث عن السيادة الى صراع أو نزاع الأصوليين مع القادة أو الزعماء الشيعيين الآخرين ومعظمهم من المتصوفين والإخباريين، وكان الأصوليون يعتقدون أنهم يمكن أن يبعدوهم عن السلطة.

فكيف يمكن تفسير هذا الصراع بين الجماعات الدينية؟ إن التفسير أو التحليل الماركسي للموضوع يمكن أن يقود للبحث عن النزاع بين الطبقات الاقتصادية كأساس لتلك الصراعات الآيديولوجية. ومن ناحية أخرى فإن تفسيراً مثل تفسير ويبر عالم الاجتماع (Weber) ربما يجد أن النزاع هو بين طبقات أو جماعات، وبالتأكيد هذا الأخير هو التفسير المفيد على اعتبار أن الصراع يدور حول الزعامة الدينية في أود.

وقد ميز (ويبر) بين ثلاثة أنماط من السيطرة الشرعية وهي الصوفية والتقليدية، والعقلانية، وقد عرف أن أياً من هذه لن تظهر بشكلها النقي وسوف تكون مختلطة ببعضها البعض[٤].

أما بالنسبة للمشايخ الصوفيين فقد كانوا يرون أن حقهم في السيطرة الشرعية يرتكز أساساً على معرفتهم الصوفية وقدرتهم على تقديم الكرامات، وأما بالنسبة للإخباريين العلماء فقد كانوا يرون أن هذا الحق هو إرثي وتقليدي، حيث ورد ذلك في الأحاديث الشفوية للإمامية. وأما بالنسبة للأصوليين العلماء فقد كانت حجتهم هي سيطرتهم على نمط ما قبل الحديث من التكنيك في الشرعية ـ العقلانية مؤكدين أن خبرة المجتهد في استنباط الأحكام الشرعية تعطيه هذه السلطة (ولا يمنع هذا من أن الصوفيين والأصوليين على حد سواء كانا يبنيان ادعاءاتهما على أسس تقليدية وسيادية).

وقد نشأ الصراع بين المتصوفين، وبين الجزاء في الحديث الشفوي، والقضاة العقلانيين ولو الى حد ما بسبب الأنماط المختلفة من التشريع التي استخدموها في ممارسة سلطتهم الدينية، ويبقى هناك سؤال هو هل دخل في هذا الصراع، نزاع بين الطبقات الاجتماعية أم لا؟.

الصراع مع التصوف

واجه المجتمع الشيعي وفيه المدرسة الأصولية الجديدة منافساً عل المؤسسات الدينية ويتمثل هذا المنافس في المشايخ الصوفيين، وقد كان الأشراف أو نخبة القوم في أود لا يوقرون المجتهدين توقيراً كبيراً بل يؤثرون عليهم المشايخ من المتصوفين، وكان الصوفيون يعتقدون في العقيدة الميتافيزيقية التي تقول بوحدة الوجود، وكان مشايخ الصوفيين يدعون بالكرامات والمعجزات وبأنهم منحوا القدرة على الكشف من الله تعالى.

(٣) انظر وليام سراتوس: السيادة، القبول، النبذ: نموذج متداخل من نظرية الطائفية ـ الكنيسة «مجلة الابحاث الدينية» ع رقم ١٦ (١٩٧٥)، ص ١٧٤ ـ ١٨٥.

(٤) ويبر، الاقتصاد والمجتمع، الاول ص ٢١٥ ـ ٢١٦، وللنقاش حول فشل ويبر في التعرف على الامكانيات العقلانية المتوارثة في الاصولية. انظر: S.A. Arjomand, The shadow of God and the Hidden Imam (chicago: Univ. of chicago press, 1984), PP.234-37.

أما المسلمون في الهند فكانوا في قسم كبير من المتصوفة بمن فيهم المسلمون من لكنو حيث كانوا يقضون الوقت في التأمل وفي حلقات الإنشاد وذلك ليصلوا الى حالات صوفية (الوجد والحال). إلا أن العلماء الدينيين كانوا يعترضون بأن الموسيقى والمرح كانا يصحبان هذه الحلقات أو الاجتماعات وكان كثير من الأشراف يحضرونها ويعتقدون بأن التصوف طريق للراحة النفسية أو الروحية. وكان لكثير من الأطباء الكبار في البلاط الحاكم في فايزآباد، أبناء تابعوا تعاليم الصوفية والإخبارية[٥].

بل إن مشايخ المتصوفين كثيراً ما استفادوا من سخاء الحكام الإماميين في أود، إذ منح آصف الدولة اثنتي عشرة قرية مجاناً تقدر بـ ٣٠ ألف روبية الى مشايخ سالون Salon بشكل دائم، وكان المشايخ يساعدون الدراويش الجوالين والفقراء من الهنود دون تمييز بين عقائدهم الدينية ممن كانوا يمرون في سالون، وكان يجتمع حوالي أربعة آلاف من الزوار في المدن الإسلامية الكبيرة، وكانت الهبات السنية الصوفية الأخرى في مدينة بهارداسا Bhardasa بالقرب من فايزآباد، وقد قدمها آصف الدولة منها أراض تقدر بـ ١٥ ألف روبية في السنة، وأخرى في مانيكپور Manikpur في پارتابغار Partabghar بحوالي ٤ آلاف في السنة[٦].

وكان لبعض المشايخ الصوفيين تعاطف نحو الشيعة، فقد روى (مير تقي مير) كيف أن والده وهو شيعي ناقش موضوع الأمويين (أعداء علي) مع أحد المشايخ المتصوفين الذي قال بأنه لم يذكر أسماء هؤلاء الأمويين والحمد لله[٧]، وقال رجل الدين الأصولي إن الصوفيين اتبعوا المذهب الشيعي شكلياً فقط، وأن المتصوفين كانوا يتبعون مشايخهم من أجل المنفعة. والى جانب الطريقة الصوفية كان كثير من الأشراف في أود قد شجعوا الفلسفة الصوفية لدى بعض مفكري الشيعة مثل ملا صدرا الشيرازي Mulla Sadra Shirazi الذي نبذه المشرعون الأصوليون باعتباره من الهراطقة أو أصحاب البدع[٨].

وربما كان اتباع المتصوفين للمذهب الشيعي في أود بغرض كسب رعاية السلطة إلا أن بعض المتصوفين الشيعيين طوروا ثقافتهم وآدابهم، وتأثروا بطريقة الشيعي نعمة الله، التي انتشرت في حيدرآباد وتركزت هناك نظراً للاضطهاد الذي مارسه الأصوليون في إيران الصفوية، أما الحلقات الهندية لهذه الطريقة فقد ساعدت على ظهور حركة إحياء ديني في إيران في أواخر القرن الثامن عشر، ولقيت اضطهاداً عنيفاً من الأصوليين الذين نظروا الى المشايخ الصوفيين كمنافسين لهم على السلطة[٩].

---

(٥) عين الحق نامة، الورقة ب ٥٩ ـ أ٤٥، وسيد محمد حسين نوكانوي، تذكرة بي بها في العلماء (دلهي، مط جيد برقي، دون تاريخ)ص ٥ ـ ٦.

(٦) سليمان: رحلة خلال مملكة اود في (١٨٤٩ ـ ١٨٥٠) الثاني (لندن: رتشارد بنتلي، ١٨٥٨م) ص ٣٣ ـ ٣٤، وسجل أود العام رقم ١٥٥٧.

(٧) مير تقي مير: ذكرى مير، تح. مولوي عبد الحق (اورنك اباد: مطبعة انجمن اردو، ١٩٢٨) ص٥.

(٨) محمد فيض بخش: تاريخ فرح بخش، ترجمة وليام هوي، مذكرات دلهي وفايز اباد.مجلدان (اله اباد، مط. الحكومة، (١٩٨٨ ـ ١٩٨٩) الاول: من iii - iv.

(٩) انظر زين العابدين شرواني، بستان السياحة (طهران، دون ناشر، ١٨٩٧) ص ٨١ ـ ٩٣، ٢٢٣ ـ ٢٢٦، ومحمد معصوم علي شاه شيرازي، طرائق الحقائق، ٣ مجلدات (طهران كتابفروشي باران، ١٣٤٥) الثالث ص ٩٤ ـ

وروى المتصوفون في أود حكاية هي أن الشخصية الشيعية القديمة الشريف الرضي كان يصلي خلف شقيقه الكبير المرتضى علم الهدى عندما غادر المسجد فجأة، وعندما عوتب أجاب بأنه وجد إمام المصلين مغطى بالدم فلم يستطع الاستمرار في الصلاة بسبب فسادها، ولما سئل علم الهدى حول هذا أجاب بأنه كان يفكر ملياً بقضية تتعلق بالدم ووافق على أن الراضي كان لديه الحق في هذا التصرف.

وفي هذه القصة يبدو علم الهدى ممثلاً لاولئك الذين يهتمون بالمظاهر الخارجية، بينما الرضي يمثل أولئك المتصوفين الذين كرسوا أنفسهم لعالم الباطن، كما أن هذه القصة تعتبر أن العلماء الدينيين الرسميين يهتمون بالشرع بينما يبدو المتصوفون أرقى إذ أن الصلاة ليس لها معنى ما لك تكن من القلب أيضاً[10].

المتصوفون وصلاة الجمعة

نجم عن إقامة صلوات الجمعة في عام ١٧٨٦ مشكلة، فقد كانت إقامة الصلاة الرسمية جماعة في قصر حسن رضا خان تتطلب معياراً للاشتراك في الصلاة، كذلك فقد أثار حسن رضا خان وغيره من الأشراف التوتر بمنحه الرعاية لكل من المتصوفين ومنافسيهم من الأصوليين، وكان تعيين إمام للصلاة من الأصوليين سعياً للخلاف والشقاق نظراً لأن الصلاة خلفه كانت تقتضي قبولاً منهم لزعامته الروحية، وكان لدى الصوفيين حلقات تأمل تتضمن غناءً ورقصاً، وذلك أيام الجمع في نفس الصالة التي كان الشيعة يتلون فيها صلوات الجمعة جماعة. ولم يكن المتصوفون يشتركون في الصلوات، البعض يقولون إن الصلاة أمام الناس كانت للتفاخر، والإنسان الذي يشعر بطهارة داخلية لا يحتاج لمثل هذه الطقوس[11].

ومنذ عام ١٧٨٠ وما يليه اشتد الصراع بين المشرعين والمتصوفين، وفي إحدى المرات أخبر المتصوف شاه خير الله راعيه، حسن رضا خان بأنه لم يذهب الى كربلاء خوفاً من آغا محمد باقر بهبهاني الذي اتهمه بأنه يبتز الأموال من الحجاج الهنود من أجل المزار المقدس للإمام الحسين. إلا أن (ناصرآبادي) الذي درس في تلك المناطق احتج بأن مثل هذه المخاوف لا أساس لها[12]. وقد هاجم سيد ديلدار في خطبة له بعد البدء بإقامة صلاة الجماعة بأربعة أشهر أي في عام ١٧٨٦، هاجم المتصوفين، الذين يدعون معرفة الله ومشاهدته، وهم في نفس الوقت لا يفقهون شيئاً عن الشريعة الإسلامية واتهمهم بالبدع والهرطقة، وعرف البدعة بأنها ما يمارس نقيضاً لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمثلاً قال إن هناك حديثاً عن الرسول هو أن مَنْ بكى على الحسين دخل الجنة، ومن

---

١٧٠ وليام رونالد رويس: مير معصوم علي شاه ومنافسة نعمة إلاهي (١٧٧٦ - ١٧٧٧) الى ١٧٩٦ - ١٧٩٧: دراسة للصوفية وخصومها ايران أواخر القرن الثامن عشر (رسالة دكتوراه، جامعة برنستون، ١٩٧٩).

(١٠) عين الحق نامة، الورقة ٦١a - ٦٠b.

(١١) نفس المرجع الورقة ٦٠a - ٥٩b.

(١٢) سيد ديلدار ناصر ابادي: فوائد آصفية ومواعظ حسنية: حديث شيعة، مخطوط رقم ١٥٢، الورقة ١٨آ المكتبة الناصرية.

هنا فإن جلسات الحداد على الحسين التي يقوم بها الشيعة ليست من البدع رغم أنها بدأت في عصر بعد الرسول (إلا أن المنتقدين من السنة يرون أيضاً أن مثل هذه الجلسات من البدع). وقد انتقد ناصرآبادي المتصوفين على عزلتهم، وقال إن الالتقاء بالمؤمنين والاشتراك في الصلوات والطقوس الدينية أفضل، وعزز أقواله بأحاديث عن النبي والأئمة (ع)[١٣]، كما انتقد بعض أفكار الصوفيين[١٤]. وقد كان الشيخ المتصوف شاه علي أكبر مودودي وهو من الطريقة الششتية (توفي ١٧٩٥)، وهو أيضاً منافس (ناصرآبادي) كان معتمداً وعلى دعم حسن رضا خان، كان هذا الشيخ يترأس حلقات صباح الجمعة التأملية إلا أنه كان هو وأتباعه كانوا يرفضون الاشتراك في الصلاة الجماعية، لكنهم كانوا يصلون وراء مودودي كإمام للصلاة في الأمكنة الأخرى، وشعر شاه علي أكبر بألم كبير بسبب لعنات ناصرآبادي ضد المتصوفين، فأرسل من منبر الوعظ الجديد له، رسالة الى حسن رضا خان يقول له فيها: هل يصح أن يعتلي شخص الآن المنبر ويصب اللعنات على الشخص الذي أوجد الصلاة الجماعية[١٥]؟ ولكن عندما بحث حسن رضا خان الأمر مع سيد ديلدار علي أجابه بأنه لم يقصد أن يكون (مودودي) من بين أولئك الذين يلعنهم. فإذا كان يعد نفسه شيخاً للمتصوفين فليس هناك إذن لوم على ناصرآبادي، وكان مودودي يعتبر نفسه متصوفاً مطيعاً للشرع ويلح على أن أتباع الشريعة المقدسة كان قبل البدء بالتصوف كما أن مبادىء المعرفة الإلهية ترتكز على القرآن الكريم والسنة[١٦]. ولذلك فقد اعترض بشدة على اعتباره من الهراطقة.

وكان الوزير لا يرى تناقضاً بين شريعة الأصوليين وبين المعتقدات الصوفية لدى المتصوفين واقترح أن يلتقي سيد ديلدار علي بشاه علي أكبر شخصياً، لكن ناصرآبادي رفض ذلك وقال إنه بعد أن اعتلى المنبر ولعن المتصوفين في صلاة الجمع فمن الصعب أن يعبر عن رغبته في الالتقاء بأحد مشايخهم[١٧].

وفي أوائل عام ١٧٩٠ قام حسن رضا خان في إحدى الأمسيات بإحضار شاه علي أكبر إلى الإمام بارة الكبيرة وذلك قبيل غروب الشمس، وكان المسجد المخصص لصلاة الجمعة إلى جانب الإمام بارة، وكان المؤمنون يستعدون لأداء صلاة المغرب، وأمر ناصر أبادي لدى غروب الشمس بأن تضاء القناديل في تلك الإمام بارة احتراماً للنصب التذكارية للإمام هناك، وهنا خف التوتر بهذا اللقاء الظاهري بين الأصولي والصوفي.

وكان الوزير يأمل بأن يصلي شاه علي أكبر وراء المجتهد، إلا أن المباحثات أخفقت، وقام مودودي بإمامة المتصوفين في صلاة الغروب في الإمام بارة، أما حسن رضا خان فقد توجه في صلاة الجمعة ليؤدي هذه الصلاة خلف ناصر أبادي مع الأصوليين، واعتذر سيد

---

(١٣) نفس المرجع الورقة 43b - 40b.

(١٤) نفس المرجع الورقة ٥٣أ ومابعدها، الورقة 80b - 79b.

(١٥) عين الحق نامة، الورقة ٤٦أ.

(١٦) سيد علي اكبر مودودي، الفوائد المودودية مجموعة دلهي، المكتب الهندي، مخطوط رقم س ٩٥٣ الورقة ١٢٠أ و ب ١٠٧.

(١٧) عين الحق نامة، الورقة ٣٢أ - ب ٣١.

ديلدار من الوزير عن لقاء المتصوف، وشعر شاه علي آكبر بالإعياء واضطر للرحيل، وهنا أحس ناصر أبادي بالرضا لأنه تجنب لقاء الرجل[١٨].

وهكذا فإن المتصوفين من الشيعة قد استبعدوا عن الصلاة الجماعية الرسمية وفقدوا الفرصة لكسب رعاية الأشراف، وربما كان المتصوفون الشيعيون قوة عامة طالماأن للمشايخ منهم أتباع من السنة أو حتى من الهندوس.

الجدل الأصولي ـ الصوفي

تُبيّن لنا الخلافات الفكرية بين الأصوليين والشيعة المتصوفين في أود، بشكل جيد التطورات في العقائد الدينية، إلا أن المواقف تجاه الطقوس الدينية كما أظهرنا، ربما كانت في حد ذاتها ذات تأثير على شكل المجتمع.

لقد كان ناصر أبادي يبذل جهداً لاستبعاد الصوفيين من اجتماعاته وتهجم عليهم هجوماً فكرياً. وقد وضع كتاباً بيَّنَ فيه أوجه الخلاف بين الفقهاء والمتصوفين، وذلك باللغة العربية وأهداه إلى حسن رضا خان الذي لقبه بمؤسس صلاة الجمعة ووجهه بصورة مباشرة إلى العلماء.

وهاجم الكتاب المتصوفين من الطبقة العالية من المفكرين وهاجم أيضاً مشايخ الطرق الصوفية بطقوسهم، وجاء بأحاديث شفهية للأئمة ودحض نظرية وحدة الوجود[١٩] كما دحض وهاجم السيد حيدر الآملي الذي كان مفكراً شيعياً ومعجباً بالمتصوف الأندلسي ابن عربي، وقد كان هذا في مؤلفه مدافعاً عن مفهوم وحدة الوجود بالقرينة الشيعية[٢٠].

وركز ناصر أبادي على إظهار عقيدة المتصوفين بأنها غير شرعية، وبدأ بالكشف وقال إنه يتضمن رؤية أنوار روحية وسماع أصوات، على أن سيد ديلدار علي اعترض على هذا وقال بأنه لا يمكن أن نثق بالأشخاص الذين يقولون أنه يحدث لهم ذلك، وقال أيضاً لا يمكن أن نجزم بأن ما يقولون عن هذا الإلهام أو الكشف قد أتى من الله أم من الشيطان[٢١].

وهذا القسم من الكتاب نظير العلاقة الوثيقة التي كان يبينها الإمام (ناصر أبادي) ما بين التصوف وبين السنة. ومعظم هجومه على المتصوفين كان في الأصل هجوماً واسعاً ضد النقشبنديين من السنة في دلهي[٢٢].

وانتقد ناصر أبادي ما يمارسه الصوفيون من رياضات للوصول إلى حالة (الوجد)،

---

(١٨) نفس المرجع، الورقة ب ٣٢ ـ أ٣٢.

(١٩) سيد ديلدار علي ناصر أبادي: الشهاب الثاقب. مخطوط عربي رقم ٢١٨٢ ص ١١a مكتبة المكتب الهندي.

(٢٠) انظر سيد حيدر الأملي: جامع الاسرار ومنبع الانوار، تحقيق هنري كوربان وعثمان يحيى (طهران: المعهد الفرنسي الايراني للابحاث، ١٩٦٩)، وللتحليل انظر كتاب بيتر آنتس Peter Antes: حول الفكر الديني الشيعي (فرايبورجFreiburg، ١٩٧١).

(٢١) ناصر ابادي: الشهاب الثاقب، الورقة أ٧٨ ومابعدها.

(٢٢) مثلا، سيد ديلدار علي ناصر ابادي، ذو الفقار، (لودهيانا: مطبعة مجمع البحرين، ١٢٨١ هـ / ١٨٨٥م، ص ٣ ـ ٩ ـ فيها هجوم على شاه عبد العزيز كصوفي.

وشجب بعنف ما يفعلوه من ارتمائهم على الأرض وطلبهم الشفاء من شيوخهم، ثم رقصهم وضربهم على الطبول وغنائهم، وقال إن الخلفاء السنيين مثل الخليفة الأموي معاوية كان يشجع بعض الممارسات التي تعود إلى ما قبل الإسلام من أجل صرف انتباه الشيعة عن معارضتهم السياسية له، وقد أورد بعض الأقوال من كتب المتصوفين من بعض الذين كانوا يمارسون الرياضات الصوفية مثل الوجد المصحوب بالموسيقى، وهو ما كان مشرعوا الشيعة يدينوه بشدة[٢٣].

واستشهد بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لا رهبانية في الإسلام، فقد كان المتصوفون يمارسون بعض الرياضات الصوفية مثل الاقتصار على الطعام النباتي والاستغناء عن الثياب الناعمة، والعزلة من أجل التأمل، وكل هذا يشبه الرهبانية.

كما أنه اعترض على انتقادات المتصوفين للثراء واستشهد بأحاديث الأئمة التي تقول بأن السماح للإنسان بأن يصبح ثرياً كوسيلة تجنبه صنوف الخطايا التي يمكن أن يسوقه إليها الفقر[٢٤]. ولم يدافع عن الفقر فحسب بل إنه اتهم المتصوفين بأن شعرهم في الحب الإلهي كان في الحقيقة موجهاً إلى نساء حقيقيات أو أرقاء من الصبيان، وجاء ببعض الأحاديث الإمامية التي تُدين المتصوفين.

كذلك فقد هاجم أو انتقد (الذِكر) الذي كانوا يقومون به في ترديدهم «لا إله إلا الله» بصوت عال وقال إن أحاديث الأئمة تمنع رفع الصوت خلال العبادة، كذلك فقد كان الأصوليون يمانعون ضد (البيعة) الطاعة التي كان يقدمها المريدون لشيخهم الصوفي، وكذلك (الخرقة) التي كانوا يستلمونها منه بدورهم[٢٥].

وأخيراً قال إنهم من أهل البدع وقد نهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الاجتماع بالهراطقة أو أهل البدع، وفي نهاية الكتاب ذكر صيغة للندم في محاولة لرد المتصوفين من الشيعة إلى المذهب الأصولي[٢٦].

ورد المتصوفون بشدة على ناصر أبادي وكتبوا بالفارسية، وهناك مخطوط مجهول مؤلفه، يدحض هذه الإدعاءات، ويقول البحث إن انتشار التصوف بين المتشيعين كانت له جذور قوية، إذ أن كبار المفكرين من الإمامية كانوا في مؤلفاتهم الموسوعية يتقبلون التقسيم الذي يجعل الشيعة من أصحاب (الظاهر) والمتصوفين من أهل (الباطن)، وقال إن كل المتصوفة عليهم مسحة شيعية بسبب احترامهم للمعرفة الصوفية لدى علي، ويعتبر النقشبنديين فقط سنيين حقيقيين، ويقول إن المعرفة الصوفية التي وردت في أحاديث الأئمة هي الطريقة الصوفية وأن كثيراً من علماء الشيعة يمنعون انتقاد مشايخ المتصوفين، كما قال إن المتصوفين أو (العارفين) هم أكثر شرفاً من العلماء لأن الله منحهم الكمال[٢٧].

---

(٢٣) ناصر آبادي: الشهاب الثاقب، الورقة أ١٧٧ - أ١٥٣.
(٢٤) نفس المرجع، الورقة ب١٨٧ - أ١٧٧.
(٢٥) نفس المرجع السابق الورقة ب٢٠٥ - أ١٩٣.
(٢٦) نفس المرجع «الورقة ب ٢٣١ - أ٢١٦.
(٢٧) رد الشهاب الثاقب، مجموعة دلهي، مخطوط فارسي رقم ١١٩٠٥، الورقة ب ١٧٦ - ١٧٢، المكتب الهندي.

وأكد المؤلف الصوفي المجهول، أن كثيراً من الأئمة الكبار كانوا متصوفين بمن فيهم المفكرين البارزين في العصر الصفوي، وهاجم شتم الصوفيين ودافع عن أبي يزيد البسطامي الذي عرف من أقواله في بعض شطحاته «سبحاني!»، وفسر ذلك بأن البسطامي لم يؤكد ألوهيته كذلك فقد أورد المؤلف بعض الأحاديث عن الأئمة التي تدعم عقيدة وحدة الوجود[٢٨]. كما أن الكتاب ذكر أن الأصوليين قد أخطأوا في محاولتهم التمييز بين أولئك المفكرين الصفويين الذين اتبعوا التصوف بالفعل وبين أولئك الذين كانوا يؤيدونه.

وقد دافع المؤلف الصوفي في خاتمة الكتاب عن الاستماع إلى الموسيقى، وقال إنها كانت ممنوعة أصلاً بين الشيعة نظراً للحاجة إلى التقوى في وقت كانت الأغاني تعرّض المتقين للخطر[٢٩]، بينما في دولة أود التي يحكمها الشيعة أصبح بإمكان الشيعي أن يغني بحرية.

وفي عام ١٨٠٣ اصطدم صوفي إيراني يدعى مولوي سامي مع أحد الأصوليين في لكنو، وهو السيد ديلدار علي الذي قد أصبح في الخمسين من عمره، وكان قد عمل إماماً للصلاة في أود لمدة سبعة عشر عاماً وأصبح من أهم الشخصيات الدينية المؤسسة في أود.

وقد هاجمه مولوي سامي وأرسل له عدة أسئلة، وكانت تدور حول السعي لكسب مودة الحكام إذ أن التقي بحق في رأي مولوي سامي هو ذلك الذي يتجنب الحكام.

وحاول ناصر أبادي أن يجعل قضية الطبقة الاجتماعية قضية محايدة، وقال إن المجتهد من الطبقة العليا أو (المرجع) إذا حاول أن يتجنب الحكام فعندئذ يجب استشارته والرجوع إليه، ومن ناحية اخرى إن سعى رجل الشريعة إلى الغنى فلن يرفض الشخص العلماني أن يتبعه بسهولة بسبب ثرائه، وأردف قائلاً: ومهما يكن من أمر فإن كثيراً من الأنبياء والمفكرين الكبار كانوا أثرياء[٣٠]. وقد أورد مولوي سامي بعض الكتابات التي تدين الطغيان وتمنع المسلمين من تأييد الظالمين، وقال إن كلاً من الفقهاء والصوفيين يعرفون جيداً بأن أفراد الطبقة الحاكمة في الهند لا يُراعون الحدود التي وضعها الشرع الإلهي، فهل من الصواب أن نقول عن هؤلاء الحكام أنهم من الطغاة أم لا؟ قال ناصرا أبادي إن الأحاديث الشفوية للأئمة تؤيد ذلك، لكنه قال إن القرآن أنكر أن هذا ليس له تأثير على المؤمنين، وربما كان الإمام يعني عدم السماح لاي كان بأن يوافق في قلبه على الطغيان، أو على كلمة «الطغيان»، وعلى انها تعني إلحاق الأذى بآل البيت[٣١]، وقد أيد سيد ديلدار علي بحذر التعاون مع حكومة سادات علي خان التي بسبب تشيعها فقط دعمت آل البيت.

وسأل الصوفي سيد ديلدار عما إذا كان من الصواب قبول المنح والمال والأرض من السادة الأشراف، فأجاب بأن المرء بإمكانه قبولها إذا لم تكن مالاً أو أرضاً

---

(٢٨) نفس المرجع، الورقة ١٧٨أ ـ ب ١٧٦.

(٢٩) نفس المرجع، الورقة ب ١٨٧ ـ أ ١٨٨.

(٣٠) سيد ديلدار علي ناصر ابادي: رسالة دررد مذهب صوفيه «كلام، شيعة، مخطوط فارسي رقم ١١١، الورقة ب ٤ ـ أ ٤١، المكتبة الناصرية لكنو.

(٣١) نفس المرجع الورقة ٥أ.

مغتصبة[٣٢]، وكان السيد ديلدار بدوره قد قبل المنح النقدية والأراضي حيث كان الفلاحون الهنود يحملون على دعم مركزه الشيعي، ثم عاتب مولوي سامي الأصوليين لأنهم لعنوا المتصوفين وقال إن كثيراً من المفكرين الصفويين تحدثوا حديثاً طيباً عن هؤلاء المتصوفين.

إلى أن سيد ديلدار ناصر أبادي قال إن الزهد مسموح به كزهد رفيق الإمام علي، وهو أبو ذر، وقال أيضاً إن المتصوفين يكنّون العداء للأئمة، ومعروف جيداً لعن المفكر الصفوي المجلسي الثاني لهم، وكان ناصر أبادي قد نبذ المفكرين الصفويين الذين أعجبوا بالمتصوفين كأتباع لابن عربي.

وقد تذكر مولوي سامي بعض الشيعة في شمال الهند مثل الشيخ علي الحزين وحسين خان عظيم أبادي الذين كان لهم رأي جيد في التصوف وأشار إلى كتابات شاه نعمة الله ولي كرماني (توفي ١٤٣٧) مؤسس الطريقة النعمة اللهية، كنماذج على المتصوفين من الشيعة، إلا أن ناصر أبادي استمر في اعتراضاته على البدع التي كانت لدى المتصوفين واعتبر المتصوفين من السنة خصوماً للشيعة[٣٣].

وكان الهجوم الأصولي على التصوف يتركز على البدع والطقوس، وكان كلاً من الفقهاء والصوفيين يتجادلان على أمور دينية صرفة في العقائد والطقوس، بل أيضاً حول قضايا اجتماعية.

الخصومة الاجتماعية بين الفقهاء والصوفيين

لقد أدى الخلاف فيما بين الفقهاء والمتصوفين إلى إزاحة المشايخ الصوفيين عن مراكز النفوذ في المجتمع بالإضافة إلى مراكزهم في الناحية المتاندية.

ويمكن أن نتتبع هذه الخلاف وأثره في المجتمع، ونجد أن المجتهدين في أود لم يحكموا على أي متصوف بالموت كما حدث في إيران، إلا أن الأصوليين كانوا يشتمون المتصوفين علناً، وقد أعلن ناصري أبادي أن الشيعة الذين يعتقدون في نظرية وحدة الوجود لدى المتصوفين أشخاصاً نجسين ومن ثم فمن غير المناسب الأكل معهم[٣٤].

وكان على الأصوليين أن يلعنوا حتى السادة والمؤمنين الحقيقيين في العقيدة الشيعية فيما لو كانوا يعتقدون معتقدات الصوفية ويدينون بالولاء إلى أحد المشايخ الصوفيين بدعوى أن من خلال الممارسات الصوفية أو الرياضات الصوفية يصبحون قريبين من الله تعالى.

لكن ناصر أبادي لم ينبذهم نهائياً، بل قال يمكن أخذ طعام من أحدهم، كما يمكن للمرء أن يساعد أحد أقربائه من المتصوفين إذا كان بحاجة للمساعدة، وليس على الأصولي أن يشتم الشيعي فقط لأنه لبس خرقة الصوفي ولكن يجب عليه التأكد من عقيدته أولاً[٣٥].

---

(٣٢) نفس المرجع الورقة ب - أ٥.

(٣٣) نفس المرجع الورقة ب ٣٤ - أ٦١: (كرماني)Kirmani ربما لم يكن من الشيعة.

(٣٤) هذا والاحكام الباقية هي من سيد ديلدار علي ناصر أبادي: نجاة السائلين، فقه شيعي مخطوط رقم ٢٥٦، الورقة ب - أ ٤، ب ٢٠، ١٢ ب، ٢٤ أ، المكتبة الناصرية لكنو.

(٣٥) عين الحق نامة، الورقة أ٣٩، ومحمد مهدي لكنوي كشميري: نجوم السما: تكملة، مجلدان (قم، مكتبة

وقد كان سيد نجف الكشميري قد وصل إلى فايز أباد في أواخر عام ١٧٠٠، وكان يميل إلى الطبقة العالية المتصوفة في مدرسة أصفهان، لكنه لم يرتبط بأي طريقة صوفية[٣٦].

وقد كانت له كتابات أو تعليقات على كتب صوفية للمفكرين الصفويين بالإضافة إلى ميله للزهد كل هذا أدى إلى اتهامه من قبل أعدائه بأنه متصوف، فاضطر لإنقاذ سمعته أن يشتم المتصوفين، وقد كان بعض العلماء الطموحين في فايز أباد كلما رأوا أن أحد العلماء حاز الشهرة كعالم، اتهموه بأنه إما صوفي أو أخباري[٣٧].

ويقول الشخص الذي ترجم لحياة ناصر أبادي، إنه في عام ١٨١٦ خفت اجتماعات المتصوفين في أود بين الشيعة منهم إلى حد أصبح الكبار والصغار يعارضون الصوفية، وفي جونپور Jaunpur كانت أسرة دينية يحتفظ أفرادها بمركز صوفي (خانقاه) بناه المفتي سيد مبارك جونپوري (توفي سنة ١٦٨٧)، وفي أواخر ١٧٦٠ تخرب البناء، وكانت الأسرة في ذلك الحين قد أصبحت ذات مذهب شيعي وقد بنوا إمام بارة، وفي المركز الصوفي في سالون أيضاً Salon أقام شخص يدعى صديق علي شاه إمام بارة في عام ١٧٩٦[٣٨].

وتابع أبناء ناصر أبادي الحملة ضد التصوف في فترة العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر، وبقيت هذه الأحداث قضية هامة في المجتمع الشيعي.

وقد قال المجتهدون أو الفقهاء بأنه طالما قدم الأئمة وكبار الشيعة الكرامات فإن تلك الأعمال أو المكرمات التي نسبت إلى المتصوفين كانت أكاذيب[٣٩].

ومنعوا الزواج بين امرأة شيعية وشيعي من المتصوفين، كذلك فإن التحولات نحو التشيع من المذهب السني أثارت التساؤلات، وكان بعض السنة يدعون أنهم ينتسبون إلى المتصوف عبد القادر الجيلاني الذي عاش في العصر الوسيط، وذلك في عام ١٨٦٠ إلا أنهم رفضوا أن يشتموه.

[illegible] كره الأصوليين المتصرف إلى أمور في الكتابة الأدبية، فمثلاً كانوا يمنعون [illegible] [illegible] أو عبارة (عشق) وهي كلمة لدى المتصوفين في التعبير عن الحب الإلهي.

وكانت قضايا الزهد والتصوف تشتمل على أمور متعلقة بالطبقة الاجتماعية إلى حد ما، وقد كان هناك شخص يدعى آخوندملا محمد رضا كشميري، وهو معاصر لناصر أبادي و [illegible] كبير ومن الإخباريين، وكان هذا الشخص يملك طاحونة صغيرة[٤٠]، وكان يقوم بنفسه في

بصيرتي، ١٢٩٧هـ / ١٩٧٧، الاول ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٣٦) نوكانوي: تذكرة، ص ٤١٩ ـ ٤٢٢، كشميري: نجوم، الاول ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥، وسيد نجف علي كشميري: العقائد النجفية في الاصول الدينية، مخطوط عربي، عقائد رقم ٦٣، خاتمة الورقة ١٠ ب [illegible]، المكتبة الناصرية في لكنو.

(٣٧) آغا أحمد بهبهاني: مرآة الاحوال جهان نامة، مجموعة بوهار buhar مخطوط رقم ٩٦، الورقة ب ١٦٢، المكتبة الوطنية، كالكوتا.

(٣٨) كشميري: نجوم، الاول ص ١٠ ـ ١٢، ومعجم مقاطعة أود الثاني ص ٩٦.

(٣٩) هذه وبقية الاحكام من مشرف علي لكنوي، (تحقيق): بياض ـ مسائل، ٣ مجلدات، (لكنو، ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ ـ ١٨٣٦م)، الثالث ص ١٦ ـ ٢٢، ٢٥، ٣٥.

(٤٠) كشميري: نجوم، الثاني ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤، ونوكانوي: تذكرة، ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢.

بعض الأحيان بطحن القمح الذي كان الناس يحضروه إلى المطحنة، أو يقوم خادم لديه بذلك، كما كان كريماً متصدقاً على الفقراء. وهناك حكاية تروى عنه، فقد زاره ذات يوم أحد السادة الأشراف من بلاط آصف الدولة وكان يركب أحد الفيلة، لكن الملا التقي لوح له من البوابة وأخبره بأنه فقير ويجب أن يلتقي بالفقراء، وقد كان للملا محمد رضا هيبته واحترامه لدى الناس، وكان الإخباريان تاج الدين حسين خان وسبحان علي خان وهما من المزارعين الذين طردهم نواب سادات علي خان، كان هذان قد توسلا إلى (ملا محمد رضا) ليصلي من أجلهما وأخيراً وافق، فقاما بتقديم مكافأة له مقدارها عشرة آلاف روبية لكنه رفض قبولها.

وبينما كان بعض أصحاب الأراضي الصغار مثل ناصر أبادي أو بعض المزارعين مثل سبحان علي خان يعتمدون على الحكومة فإن صاحب مطحنة بسيط مثل كشميري كان بإمكانه الاعتماد على نفسه بشكل أكبر. وذلك من خلال تعاطفه مع الفلاحين الذين كانوا يحضرون إليه القمح ليطحنه، وتفضيله صحبة الفقراء على الأغنياء، وعلى الرغم من أنه لم يَكن عضواً في أي طريقة صوفية فإن أسلوب حياته كان قريباً من أسلوب حياة المتصوفين مثل مولوي سامي، أكثر مما كان قريباً من أسلوب العلماء الأصوليين.

واستمر أشراف أود في منح رعايتهم للمتصوفين، وقد ذكر (روبرتس) في أوائل ١٨٣٠ أنه كان متصوف فقير يدعى شاهجي Shahji قدم له حاكم أود منحاً مالية[٤١].

وكانت حملة الأصوليين ضد الصوفيين وطقوسهم ونبذهم من المجتمع الشيعي، تهدف إلى السيادة والسلطة الدينية، وقد نجح الأصوليين في إضعاف شرعية المتصوفين ضمن الطبقة الحاكمة في أود.

النزاع ما بين الأصوليين والإخباريين

قدمت المدرسة الإخبارية في الفقه أفكاراً بديلة عن الأفكار الأصولية داخل المجتمع الشيعي، رغم أن تأثير الإخباريين الذي كان أقوى في البداية قد بدأ يخف خلال العقود الأولى من القرن التاسع عشر.

أما الاخباريين فقد بنو معرفتهم للشريعة على الأحاديث الشفهية للأئمة ولم يسمحوا بالتفسيرات العقلانية وتحدوا الأصوليين.

وكان النزاع بين الأصوليين والصوفيين يعكس نزاعات اجتماعية، وكانت الجماعات المتنازعة تتبع إيديولوجية واحدة كسلاح تتخذه.

وبدأ العلماء الإخباريين كأغلبية عظمى بين رجال الدين الشيعة في أود، وقد أُحضر الإخباري ملا محمد عسكري إلى فايز اباد من قبل شجاع الدولة، كما أن الوزير الأول حسن رضا خان كان راعياً للعلماء الإخباريين، وقد كتب أحدهم ويدعى سيد مرتضى في عام ١٧٨٨ كتاباً له، حول «صلاة القلب» وتحدث هذا العالم كإخباري عن القرآن، وقال إنه

(٤١) ايماروبرتس Emma Roberts : مشاهد من هندوستان، مجلدان (لندن، ١٨٣٥)، الثاني ص ١٦٧.

لا يجب تفسيره بالرجوع إلى الأحاديث الشفهية للأئمة[٤٢]، كذلك فإن كثيراً من العلماء الذين نزحوا من كشمير هرباً من الأفغان السنة وبعدهم الحكم السيخي، هؤلاء اتبعوا المدرسة الأصولية، والبعض الإخبارية.

ووصل الملا محمد مقيم كشميري إلى لكنو في عام ١٧٨٦ كلاجيء، واكتسب سمعة واسعة كإخباري وصانع للكرامات[٤٣].

وكان سيد ديلدار في البداية يقبل الطلاب الإخباريين على أمل إقناعهم باتباع الأصولية، ومع ذلك فقد بقي بعض تلامذته على مذهبهم الإخباري، وقد كتب مولانا سيد مرتضى لكنوي الذي درس على سيد ديلدار علي كتب ضد استخدام القياس كأساس في المذهب الأصولي، ثم فيما بعد هاجر إلى حيدر آباد الدكن، ربما بسبب تناقص شعبية المدرسة الإخبارية في القرن التاسع عشر في أود[٤٤].

ولدى عودة ناصر آبادي من المدن العراقية المقدسة في عام١٧٨١، قرر دحض المدرسة الإخبارية التي كان قد اتبعها هو نفسه قبل ذلك بعامين، ووضع كتاباً بعنوان «أساس الأصول» وضح فيه مركز الأصوليين ودحض باختصار الكتاب الذي أصدره الاسترابادي بعنوان «الفوائد المدنية»، الذي يعود إلى القرن السابع عشر، وسرعان ما انتشر كتاب ناصر أبادي وأحدث خلافاً عنيفاً فيما بعد[٤٥].

وقد كان مركز ناصر أبادي كإمام للصلاة في لكنو بعد عام ١٧٨٦ مساعداً له في تدريس كتابه لكثير من تلاميذه، وقد ترجمه أحدهم من العربية إلى الفارسية الأكثر سهولة، وناقش فيه القضايا الرئيسية في المنهج التشريعي بين المدرستين الرئيستين، وقدم براهين على كلامه، وسوف نبحث هنا في النواحي المتعلقة بدور العلماء في تفسير الشريعة. قال ناصر أبادي في كتابه أشرف العلوم بعد دراسة عقيدة التوحيد، هي أصول الشريعة، وإن هجر هذه الأصول هو خطيئة[٤٦].

وكان الأصوليون يتقبلون مصدران آخران للشرع، إلى جانب القرآن والأحاديث الشفهية للأئمة، وهما الإجماع والاجتهاد، وسلطة العلماء في تفسير الشرع تنحصر في هذين المبدئين، وقال ناصر أبادي إن الاجماع كثيراً ما تكون طريقة لا تعوض لمعرفة أحكام الإمام بشكل غير مباشر[٤٧]، أما الإخباريون فقد طرحوا هذا المبدأ وقالوا إنه لو عارض مائة من

---

(٤٢) عين حق نامة، الورقة آ٣٦، كشميري: نجوم، الاول ص ٤٢٣ - ٤٢٤، نوكانوي: تذكرة، ص ٣١٩ - ٣٢٠، وسيد اعجاز حسين كنتوري: كشف الحجب الاستار عن الكتب والاسفار، تحقيق محمد هدايت حسين (كلكته، الجمعية الاسيوية).

(٤٣) كشميري: نجوم، الاول ص ٤٦٥ - ٤٦٦، الثاني ص ٤٢٧، ونوكانوي تذكرة ص ٣٢٤، وكنتوري: كشف الحجب، ص ١٣٧، ٣٦١، ٥٣٦.

(٤٤) عين الحق نامة، الورقة آ٤٣ - ب ٤٢، كشميري: نجوم، الاول ص ٤٣٧ - ٤٣٨، وقد ذكر اخباري آخر بعد ترك أود، هذه المرة الى كربلاء، وكان اسمه بابر. علي أكبري (توفي ١٨٣٢م). انظر عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، ٨ مجلدات (حيدر اباد، ١٩٥٩) السابع ص ٩٧.

(٤٥) عين الحق نامة، الورقة أ٥٠ - ب ٤٩.

(٤٦) سيد ديلدار ناصر ابادي: اساس الاصول (لكنو: مط. محمدي، ١٢٦٤ / ١٨٤٨م. ص ٣.

(٤٧) نفس المرجع ص ١٣٣ ومابعدها.

المشرعين الإمام فإن كلمته ستظل هي الصحيحة.

وأعطى الأصوليون مصدراً رابعاً للشريعة وهو العقل[٤٨]، وقال ناصر أبادي إن الأعمال الطوعية سواء كانت للخير أو للشر فإنها تدرك بالعقل، وهو موقف عقلي وافق عليه كل من المعتزلة والإمامية والهندوس، لكن السنة الأشعرية رفضته، واعتبر الأصوليون أن القياس ضروري للمشرع لكنهم قبلوا شيئان شرعيان، أولاً النص المكتوب أو الكتاب المنزل، فإذا كان القرآن يأمر المؤمنين بألا يسبوا أحداً فيجب أن يمتثلوا لذلك، ثانياً، العلة، فمثلاً إذا كان النبيذ يسبب فقدان الحواس فإن النبيذ يحرم على هذا الأساس، إلا أن المجتهدين من الأصوليين قد منعوا من التخمين لسبب من أسباب الشرع أو لاختراع قياس على أساس حكمهم الخاص[٤٩].

وقال ناصر إبادي إن الاجتهاد هو حكم شرعي في قضية ما، كالحاجة مثلاً إلى الصلاة خمسة مرات في اليوم، وحيث ليس هناك دليل قاطع، وأكد ناصر أبادي أن الله دائماً يرشد الإنسان إلى الحكم الصحيح في أي قضية، وتلح المدرسة الإخبارية على أن أي شخص يعطي فتوى ما ليس فيها شيء من الكتاب المنزل، فهو مسؤول عنها أمام الله إذا أخطأ أي خطأ[٥٠].

ووصف سيد ديلدار علي نوعان من المجتهدين، الاجتهاد المطلق والاجتهاد الجزئي، فالمجتهد المطلق يمكن أن يأتي بأي حكم شرعي من القرآن في حين أن الاجتهاد الجزئي هو اجتهاد في أمور معينة لا في كل الأمور.

ولما كانت الهند في أوائل ١٧٨٠ خالية من أي مجتهد مطلق فقد انتشرت المدرسة الأصولية بإتاحة الفرصة للمجتهدين المتجزئين كي يصدروا الأحكام.

وقد نقل عن الأئمة أحاديث شفهياً، وقال إن المجتهد عليه أن يستعمل خبرته فإذا وجد أن هناك حكمان في أمر ما متساويان في الإقناع فعندئذ عليه أن يختار واحداً منهما[٥١]. ولكن إذا كانت استنتاجاته في المرة الثانية مختلفة عن الأولى فعليه أن يعتمد الحكم الثاني. أما بالنسبة للتقليد فقد عرفه سيد ديلدار علي وقال إنه [illegible] ظناً لما قاله [illegible] دون برهان [illegible] أنه اتباع أقوال الرجال [illegible] المسلمين التي تبين [illegible] وأن آيات القرآن الكريم [illegible] إلى [illegible] وقد نقل عن العلامة الحلي أنه أكد أن العوام بإمكانهم تقليد المجتهدين في الأمور [illegible] من الشرع، بل إن بعض المتعلمين يمكنهم ذلك إذا كان لديهم بعض الخبرة في أحكام الشريعة، وقدم ناصر أبادي أسباباً كثيرة لذلك، أولها أنه لم يأمر كل فرد في المجتمع بتعلم الشرع الإسلامي ومبادئه أحكام الشريعة أو الفقه، وإذا كان كل فرد يقضي سنوات ليصبح مجتهداً فالنظام الاجتماعي سوف ينحل، كذلك فلن يتخذ العامي الدراسة وسيلة فقط إذا طلب إليه

(٤٨) نفس المرجع ص ١٥٤ ـ ١٦٣.

(٤٩) نفس المرجع ص ٢٠٩ وما بعدها، انظر أيضاً: ناصر ابادي: نجاة السائلين الورقة ٣أ ـ ٢أ.

(٥٠) ناصر ابادي: اساس الاصول، ص ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٥١) نفس المرجع، ص ٢١٩ ـ ٢٢٨.

معرفة شيء ما[٥٢].

وناقش سيد ديلدار علي مسألة وجود طبقة متخصصة من رجال الدين يدين لها كل العوام، حتى الأشراف المتعلمين، بالطاعة المطلقة، ثم ناقش سيد ديلدار علي مميزات المفتي لديه الشيعة، على أمل تعزيز مركزه، وقال إن المفتي يجب أن يتميز بميزتين: أولاً القدرة على تقديم الآراء الشرعية المستقلة (الاجتهاد)، ثانياً الورع، ويجب أن يختاره المؤمنون وقال ناصر أبادي أيضاً إن العامي إذا بدأ بتقليد مجتهد ما في أمر من الأمور فيجب ألاّ ينصرف إلى مجتهد آخر من أجل إصدار حكم في نفس القضية، ولكن بالنسبة للقضايا الأخرى فيمكنه أن يبحث عن مجتهد آخر، كذلك فلا ينبغي أن يقلد مجتهداً قد توفي، وانتهى ناصر أبادي بأن الاجتهاد لم يبدأ أصلاً بالعلامة الحلي كما قال الإخباريون، لكنه يعود إلى أصحاب الأئمة[٥٣].

(وفي الواقع لم يكن الاجتهاد مقبولاً من قبل الفقهاء الإماميين قبل القرن الثالث عشر للميلاد، وقد كان للإخباريين وضع أقوىّ في هذه الناحية، تاريخياً)[٥٤].

ولقي الموقف العقلي الأصولي لناصر أبادي اعتراضاً من قبل كثير من السادة الأشراف من الشيعة في أود، ومن العلماء الإخباريين.

إلا أن دعم الحكومة له ولغيره من الأئمة، قد أدى إلى نشر هذه الأفكار.

وكان هناك خصم لناصر أبادي من بين العلماء الإخباريين هو (ميرزا محمد نيسابوري أكبر أبادي) المعروف بالإخباري (١٧٦٤ـ١٨١٧) من أجرا Agra، وكان منهكاً في الأمور السياسية حيثما ذهب في شمال الهند والعراق وايران، ويعد ميرزا محمد : سابوري من أكبر المفكرين الذين أنجبتهم الهند في أواخر القرن الثامن عشر ومن كبار العلماء الإخباريين وله مؤلفات في عدة مجالات، وكان والده ويدعى ميرزا عبد النبي، وهو من خراسان، يعمل في التجارة البعيدة مع شمال الهند، وقد تزوج ابنة معصوم علي خان، وكان موظفاً لدى الوزير الأول المغولي نجف علي خان، وكان ميرزا عبد النبي يعمل في التجارة باله آباد حيث قضى ابنه محمد فترة من شبابه[٥٥].

ولما أصبح في سن العشرين أي في عام ١٧٨٤ تقريباً، توجه ميرزا محمد إلى المدن العراقية المقدسة حيث درس على العلماء الأصوليين، مثلما كان ناصر أبادي يدرس قبل ذلك ببضع سنوات، ولم يكشف عن أنه إخباري عندما كان في العراق، وبعد ذلك ببضع سنوات عاد إلى أود حيث وصلت شهرته إلى أسماع آصف الدولة وحسن رضا خان، ولما التقى بالنواب بدأ يشتم كل العلماء من (المتكلمين) والمجتهدين واعتبرهم ضيوف الشيطان، وجعل آصف الدولة والوزير يشكّون في العلماء الأصوليين.

---

(٥٢) ناصر ابادي: اساس الاصول ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٥٣) نفس المرجع ص ٢٣٣ ومابعدها.

(٥٤) انظر نورمان كالدر Norman Calder: بنية السلطة في احكام الشريعة الشيعية الامامية (رسالة دكتوراه، معهد الدراسات الشرقية والافريقية، ١٩٨٠).

(٥٥) عين الحق نامة، الورقة أ ١٠٦ ـ أ ١٠٥.

أما سيد ديلدار فكانت له علاقات متوترة مع حسن رضا خان بسبب هجومه على الصوفيين المفضلين لدى الوزير الأول ولم يكن في وضع قوي من الرد على (ميرزا محمد). وقد ذكر المؤلف الذي ترجم لحياة ناصر أبادي أنه امتنع عن الإجابة على الإخباري ميرزا محمد الإخباري لأنه كان ضيفاً ومسافراً، ومع ذلك فقد أرسل بعض أبحاث الإخباري إلى المدن المقدسة ليطلع سيد علي طباطبائي على آرائه(٥٦).

وأخيراً غادر الإخباري البلاط في أود بعد فشله في إزاحة شخص أصولي مثل سيد ديلدار علي وعاد إلى كربلاء(٥٧).

ولما كان معروفاً في العراق كإخباري فقد اصطدم مع النخبة المهيمنة من الأصوليين، ولم يكن يتناقش معه نقاشاً صريحاً إلا سيد علي طباطبائي، وأخيراً اضطر لمغادرة المدن المقدسة مع أسرته إلى إيران حيث قضى زمناً في فارس وخراسان وجيلان وهي مقاطعات في إيران، وفي عام ١٧٩٢ ألف معجماً للتراجم في لوريستان Luristan وركز فيه على تراجم الإخباريين، واستقر في طهران.

وفي عام ١٧٩٠ أصبحت له شهرة هناك، وكان يحكم في تلك الفترة منذ عام ١٧٩٧ فتح علي شاه قاجار وأخذ ميرزا محمد يتودد إلى البلاط الحاكم، مثلما فعل في أود عندما حاول التأثير على آصف الدولة هناك.

إلا أن تأثيره على الشاه أثار غيرة كثير من السادة الأشراف في البلاط وكثيراً من العلماء الأصوليين الأقوياء، وقد كتب الشيخ جعفر النجفي المعروف بكاشف الغطاء في تلك الفترة منشوراً عن أفكار ميرزا محمد وأعلن فيه عن تكفيره وعن أن دمه وأمواله حلال لمن يرغب في أخذها، ولما أدرك (فتح علي شاه) أن وجود ميرزا محمد أكبر أبادي يشكل خطراً على الدولة نظراً لكون الأشراف والعلماء الأصوليين ضده، فقد طرده(٥٨).

وبعد ذلك عاش في بغداد والكاظمية حيث قتله أحد الأوغاد في شباط عام ١٨١٧، وقال الشيرواني عنه وقد كان يعرفه شخصياً، إن العلماء الأصوليين حرضوا(٥٩) الشعب ضده، وربما كان ميرزا محمد قد فكر في العودة إلى أود قبل وفاته بقليل، وكان قد أهدى منشوره عن عمل ناصر أبادي في عام ١٨١٤، إلى نواب سادات علي خان، وهذا العمل لناصر أبادي في موضوع مبادىء أحكام الشريعة، وذلك على أمل رضاء الحاكم عنه واستدعائه إلى لكنو.

وكان أكبر أبادي قد دون هجومه على مؤلَّف سيد ديلدار علي في عام ١٧٩٢ في إيران، حيث كان متألماً من احباطه المتكرر في لكنو وكربلاء، وقد اعترض على قول ناصر أبادي بأن مبادىء أحكام الشرع كانت أعظم شيء بعد عقيدة التوحيد، مؤكداً على أن للتفسير

---

(٥٦) عين الحق نامق، الورقة ٩٥أ ـ ب ٩٤.

(٥٧) الشيرواني: بستان السياحة ص ٢٨١، روضات الجنات ٦/ ١٣٩.

(٥٨) عين الحق نامة: ورقة ب ١٠٣، ب ٩٥، شيرواني: بستان السياحة، ص ٥٨١. خوانساري: روضات الجنات، الثاني ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥، والسابع ص ١٢٩.

(٥٩) شيرواني: بستان السياحة، ص ٥٨١، وسبير: ناسخ التواريخ الاول ص ٨٣.

والفقه الصدارة[٦٠]. ولما كان ميرزا محمد أكبر آبادي كإخباري يرتكز على الأحاديث الشفوية للأئمة والقرآن الكريم فقد شعر بأن التفسير هو أكثر أهمية من العلوم الأخرى، وكان الأصوليون قد عظموا أهمية مبادىء الشريعة وهي الأساس الفكرية للاجتهاد.

وكان الإخباريون كمحافظين يعتقدون أن كل الأحاديث الشفهية المنسوبة إلى الأئمة في المجموعات الأربع أحاديث صحيحة، كذلك فقد عارض الاعتماد على (الظن) في الأحكام الشرعية، والاعتقاد بأن العلم يمكن اكتسابه من نصوص الأحاديث المتعلقة بالأئمة، وكان ناصر أبادي يشكو من جهل وضعف إيمان الناس في الهند، في حين أن ميرزا محمد أكبر أبادي كان يلح على انه يوجد بين الهندوس علماء ذوي ذكاء وزاهدين يعملون في وسط ثقافي أو تراثي غير إسلامي، وأن السنة والاسماعيليين من الهنود كانوا غزيري الملم، بل إن المجتمع الإمامي الصغير كان يحوي علماء، ولعل فخر ميرزا محمد بتراثه الهندي يفسر التصاقه الشديد بالإخبارية، في حين أن ناصر أبادي كان يحترم العراق وإيران[٦١].

وقد ربحت الأصولية في أود، مثلما في إيران، فكانت الفكر المفضل من قبل العلماء والدولة، وحاول كثير من تلاميذ ناصر أبادي أن يدحضوا الإخبارية، إلا أن كثيراً من العلماء في القرن التاسع عشر كانوا يفضلون الإخبارية، وظل أشخاص من أسر السادات الأشراف مثل، Kanbuh Barélavis، بمن فيهم إداريون مثل سبحان علي خان وتاج الدين حسين خان، ظل هؤلاء مستمرين في اتباعهم للمذهب الإخباري، وكانوا يستخدمون هذا المذهب كوسيلة لتأكيد استقلالهم من الناحية الفكرية عن العلماء الأصوليين، الذين اعتقدوا أنهم يسعون للقوة والسيطرة على العوام[٦٢].

وكان هؤلاء الإخباريون ذوي مناصب عالية في دولة أود ولهم دعم سياسي حتى من قبل الأشراف الذين كانوا يحضرون صلاة الجمعة، وفي عام ١٨٢٣ منح الوزير الأول آغامير معتمد الدولة الرعاية لحسين علي خان بريلوي وذلك ليكتب مؤلفاً دينياً حول الشيعة، وفيه هاجم الأصولية ووجه اللوم لعمر بسبب تقديمه الاجتهاد[٦٣].

وفي عام ١٨١٨ أصدر حسين علي خان نقداً واسعاً للمذهب الأصولي حيث أقر بأن الأفكار الأصولية قبلت وانتشرت، وقد سخر من العقيدة الأصولية فقال إنه طالما أن المجتهد هو أكثر الناس كمالاً ومعرفة في عصره فلابد من تواجد مجتهد واحد في كل عصر، إلا أنه أنكر وجود مثل هذه المعرفة بين الأصوليين بالفعل في عام ١٨١٨، ورفض ما يدعيه الأصوليون من أن العلماء يمثلون الإمام الغائب الثاني عشر، واتهم المجتهدين بشغفهم

(٦٠) كينتبري: كشف الحجب، ص ٥٣٣، أبو احمد محمد النيسابوري أكبر ابادي: معاول العقول، مخطوط عربي رقم ٥١٤، ليس هناك ترقيم للصفحات، مكتبة جامعة البنجاب بلاهور.

(٦١) انظر ايضا ميرزا محمد نيشابوري اكبر ابادي: فتح الباب على الحق والصواب (النجف المط. العلوية، ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٣، وكتاب الاكبر ابادي: معاول المعقول.

(٦٢) انظر كشميري، نجوم: الاول ص ٣٥؛ ٥٩ - ٦١، حسين علي خان باريلاڤي: مدهمات الاجتهاد، مخطوط فارسي الورقة ٢٣أ في مكتبة راجا محمود آباد بلكنو.

(٦٣) حسين علي خان بريلوي: معتمد الشيعة، مخطوط في كلام الشيعة، مخطوط فارسي رقم ٢٠٦، الورقة ب١٤٥ - ب١٤٤، المكتبة الناصرية بلكنو.

بالمراكز العالية وبالسيطرة على الآخرين، رغم أن الأئمة فقط هم الجديرون بالطاعة، وقال إن بعض الأصوليين قد ذهبوا بعيداً إذ أنهم أعلنوا بأن الصيام والصلاة تكون غير مقبولة إن لم تكن مجازة من قبل أحد مجتهدي العصر، وأنكر مسألة وضع الهبات الدينية (من زكاة وخمس وصدقة) بين أيدي المجتهدين، وقال إن هذا دليل آخر على أطماعهم. وقال أيضاً إن الأصوليين كانوا يسعون إلى الزعامة من خلال مهاجمتهم للإخباريين ووضعهم مع السنة والصوفيين[٦٤].

وفي عام ١٨٢٥ كتب سيد محمد ناصر آبادي، وهو المجتهد الأول في أود دفاعاً عن الأصولية ضد الإخبارية، فقال إن الأصوليين يضاهون الأحياء بينما الإخباريين يتبعون الأموات، وكان إلحاح الاخباريين على استنباط الأحكام الشرعية فقط من خلال الأحاديث الشفوية يجعلهم يصدرون أحكاماً محدودة، وأشار سيد محمد إلى أنه لو وجد العلماء ذوو الخبرة مثل هذا صعباً فكيف يتبعه النساء والأطفال، وتساءل كيف يمكن للنساء والأطفال أنفسهم أن يستشيروا أو يرجعوا إلى الأحاديث الشفوية للأئمة الموجودة في كتاب «الكافي»؟ وبالتأكيد سوف يرجعون إلى عالم إخباري وهل يسمى هذا (غير تقليد)؟

ولما كان كل من الأصوليين والإخباريين يقولون إن العوام يجب أن يرجعوا الى الاختصاصيين في الأمور الدينية فالنزاع بينهما كان نزاعاً (لفظياً)، وقال آبادي أيضاً إنه لو أن الإخباريين كانوا يعطون أحكاماً طبقاً لمعرفة جازمة وشيء محدد (قطعي) فلن يختلفوا مع بعضهم البعض بالنسبة للأحكام الشرعية، لكنهم في الحقيقة كانوا كذلك، وقال أيضاً طالما أن كل الأحكام التي يعطيها العلماء الشيعة من كلا المدرستين الأصولية والاخبارية كانت مبنية على القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة فليس من المهم إذا كان بعض (الإخباريين) يسمون هذه المعرفة الأكيدة (علم) بينما بعض (الأصوليين) يسمونها معرفة محتملة (ظن)[٦٥].

وقد سئل حسين علي خان بريلوي حول إتيان أتباع كلا المدرستين بنفس الأحكام وقالوا إذن ليس هناك خلاف، لكنه عندما أجاب أنكر أن كلا المدرستين كذلك، وقال إن أشكالهما تختلف كلياً، وقال إن النوع الأخير في اتخاذ الأحكام غير المختلف[٦٦].

وأشار مفكر آخر من الاخباريين من طبقة الأشراف ويدعى ميرزا محمد زكي خان، إلى أنه لو تأكد أحد العوام من شيء ما حول حكم شرعي في الإسلام من خلال حديث أحد الأئمة فإن الإخباريين يسمحون له بالتصرف وفقاً لهذا الحكم حتى لو لم

---

(٦٤) حسين علي خان بريلوي: مقدمات الاجتهاد ورسالة في الاحكام مخطوط في أصول الفقه الشيعي. مخطوط عربي رقم ٣٢، الورقة أ٥، المكتبة الناصرية بلكنو.

(٦٥) سيد محمد ناصر ابادي: احياء الاجتهاد، مخطوط في اصول الفقه رقم ١، الورقة ب٦ ـ أ٢ في المكتبة الناصرية بلكنو.

(٦٦) حسين علي خان بريلوي: رسالة دربيان فرق بين اخباري واصولي، مخطوط عن كلام الشيعة، مخطوط رقم ٢٠٦، الورقة ٢٥٨ ـ ٢٥٧، المكتبة الناصرية بلكنو نسخ عام ١٢٤٠ / ١٨٢٤ ـ ١٨٢٥، لطبيب يدعى ميرزا علي حكيم.

كذلك[٦٧].

وكان الخلاف بين الإخباريين والأصوليين ايضاً في مسائل تتعلق بالملكية، فقد كان الشيعة من كلا الفريقين يقولون بأنه طالما أن المسلمين فتحوا الهند، فإن أرضها أصبحت ملكاً للأئمة، لكن الأصوليين كانوا يعتقدون أنه باستطاعتهم الحصول على الأرض بطريقة شرعية بواسطة شراءها.

لكن الأصوليين قالوا بأن الهنود الاخباريين لم يسمحوا بالملكية للأراضي المستولى عليها أو المفتوحة، وقالوا أيضاً إنها ملك لله وحده عز وجل، لكن سيد محمد أشار بسخرية إلى أنه إذا كان الإخباريين يحظرون ملكية الأرض فعندئذ يمكن لأي كان أن يغتصب ملك الإخباريين وهذا ما يدعو للخراب، لكن معظم الإخباريين انكروا أن عقيدتهم تقترح المُلك المشاع كما أشار سيد محمد، رغم أن بعض الحرفيين ربما نبذوا شرعية الملكية الخاصة للأرض[٦٨].

وليس هناك معلومات كافية عن الحركات الطائفية بين الشيعة في السنوات الأخيرة من أود المستقلة، ولكن هناك رسالة مخطوطة تزيح الستار عما حدث باختصار، ففي عام ١٨٤١م كتب شيعي يدعى محمد النجفي إلى سيد محمد ناصر آبادي من المركز البنغالي القديم (مرشد أباد)[٦٩]. وكان يشكو من أنه جاء في الأصل إلى الهند لكنه اضطر أن ينفق معظم وقته مع الجهلاء، وقد جاء شخص تركي من أذربيجان يدعى ملا باقر وكان قد وصل إلى مرشد أباد منذ بضع سنوات. وكان ينتمي إلى المدرسة الإخبارية وندد بكل من يؤمن بالاجتهاد ويحاول اجتذاب العامة والضعفاء إلى عقيدته، إلا أن النجفي طرد الإخباري كرجل فارغ من العلم وغير مؤهل إلا للدراسة البدائية.

وهذه الأمثلة التي أوردناها تعطي نموذجاً للطائفية الشعبية التي أظهرت الاعتراض على المجتهدين من الطبقتين العليا والمتوسطة ومن يرعاهم، أما قضية (ملا باقر) فهي تبين مرة أخرى أن الإخبارية كإيديولوجية يمكن أن تفيد عدة إفادات، فهي تروق للسادة الأشراف الذين رفضوا زعامة المجتهدين من أصحاب الأراضي المتوسطين، وللحرفيين وأصحاب المهن الذين اغتاظوا من توطيد النواب والمقربين إليه من الأصوليين، ومثل هذا يمكن أن يظهر في حكاية في أود مأخوذة من تاريخ حياة سيد حسين ناصر أبادي، إذ أنه في إحدى الأيام وكان يوم جمعة مرض وفي المساء وصل بعض الأشخاص من الشيعة العاملين ذوي المظهر الخشن، وطلبوا منه أن يتلو صلاة الميت من أجل صديق لهم توفي، فرد بأنه مريض، لكنهم قالوا لو كان صديقنا من الأشراف لقبل، إلا أن سيد حسين ناصر آبادي اضطر

---

(٦٧) ميرزا محمد زكي خوانا: مجموعة رسائل مسلك اخبارية وأصولية، مخطوط في اصول الفقه، رقم ١١٣ رقم ب ٢، المكتبة الناصرية بلكنو.

(٦٨) سيد دلدار ناصر ابادي: نجاة السائلين، الورقة ١٧أ، والفتوى في مشرف علي لكنوي، تحرير، بياض مسائل: الاول ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٦٩) سيد محمد عباس شوشتري، الظل الممدود، مخطوط عربي في مكتبة راجا محمود اباد، لكنو، ص ١٥٠ ـ ١٥٧، وهذه مجموعة نادرة من الرسائل الشخصية المكتوبة من قبل مجتهدين كبار في لكنو والعراق.

للموافقة على إقامة الصلاة، ويظهر من هذه الحكاية أن عامة الشيعة كانوا يرون أن المجتهدين يتملقون الأغنياء[٧٠]. وأما الأصوليون العلماء وهم جماعة ذات طموح فقد كانوا يؤثرون العقلانية ويقيمون أحكاماً جديدة ومستقلة[٧١]، وقد نبذوا مسألة تقليد المصادر الماضية وألحوا على أنه حتى الأشراف الذين يقلدونهم يختلفون معهم في أمور ذات تفسيرات شرعية، وكان الأصوليون يقرون حاجة المؤمنين إلى إطاعة الفقهاء أو المشرعين الاختصاصيين بالقول بأن بنية المجتمع سوف تتفتت فيما لو سمح للأطفال والطبقات العاملة في التجارة، والطبقات العامة أن تأخذ أحكاماً شرعية مباشرة من الكتب الدينية[٧٢].

وقد قاوم العلماء الإخباريون طويلاً إدعاء العلماء الأصوليين من الطبقات البسيطة والمتوسطة من أصحاب الأراضي، بالسيادة على المعرفة المتخصصة للفقه الشيعي.

خاتمة:

الطبقة الاجتماعية، الدرجات الدينية والسلطة

كان الصراع بين الجماعات (المتصوفون، الاخباريون، الاصوليون) هو صراع فكري على السيطرة على التوطيد الديني النامي في أود، إلا أن الأبعاد الاجتماعية للصراع واضحة من خلال تكرر المناقشات بين الخصوم حول الشر والخير وطبيعة الملكية والثروة، وقد حدث النزاع بين الصوفيين، الاخباريين والأصوليين على ثلاثة مستويات اجتماعية.

أولاً: كان هناك بعض الشخصيات الدينية التي تنافست فيما بينها على الزعامة الروحية في مدن أود وبين العائلات من أصحاب الأراضي المتوسطين.

ثانياً: كافح البعض من أجل الحصول على رعاية السادة الأشراف وللسيطرة على ثقافتهم الدينية أيضاً.

ثالثاً: كانت بعض الشخصيات الدينية الرسمية من طبقة أصحاب الأرض تتنازع مع أشخاص من الطبقات التجارية.

وكانت بعض النزاعات بين الصوفيين والأصوليين تشتمل على مناقسة بين العلماء من الطبقة الواحدة، وكان الأشخاص يختارون طريقهم تبعاً للأسرة، والثقافة المحلية، والطموح أو الميل الشخصي.

وقد تنافس علماء الشيعة ومشايخ سالون Salon مع بعضهم البعض من أجل رعاية السادة الأشراف لهم، وكان في انهيار دلهي المغولية ونهضة الحكم الشيعي في لكنو تحدياً للسنة من المتصوفين من المالكين المتوسطين، وكان بعض الشيشتيين مثل شاه علي أكبر

---

(٧٠) سيد محمد عباس شوشتري: اوراق الذهب، مخطوط ادبي عربي، رقم ٤، الورقة ب - أ ١٤، المكتبة الناصرية بلكنو، وهو ترجمة حياة سيد حسين ناصر ابادي وهي ترجمة مختصرة.

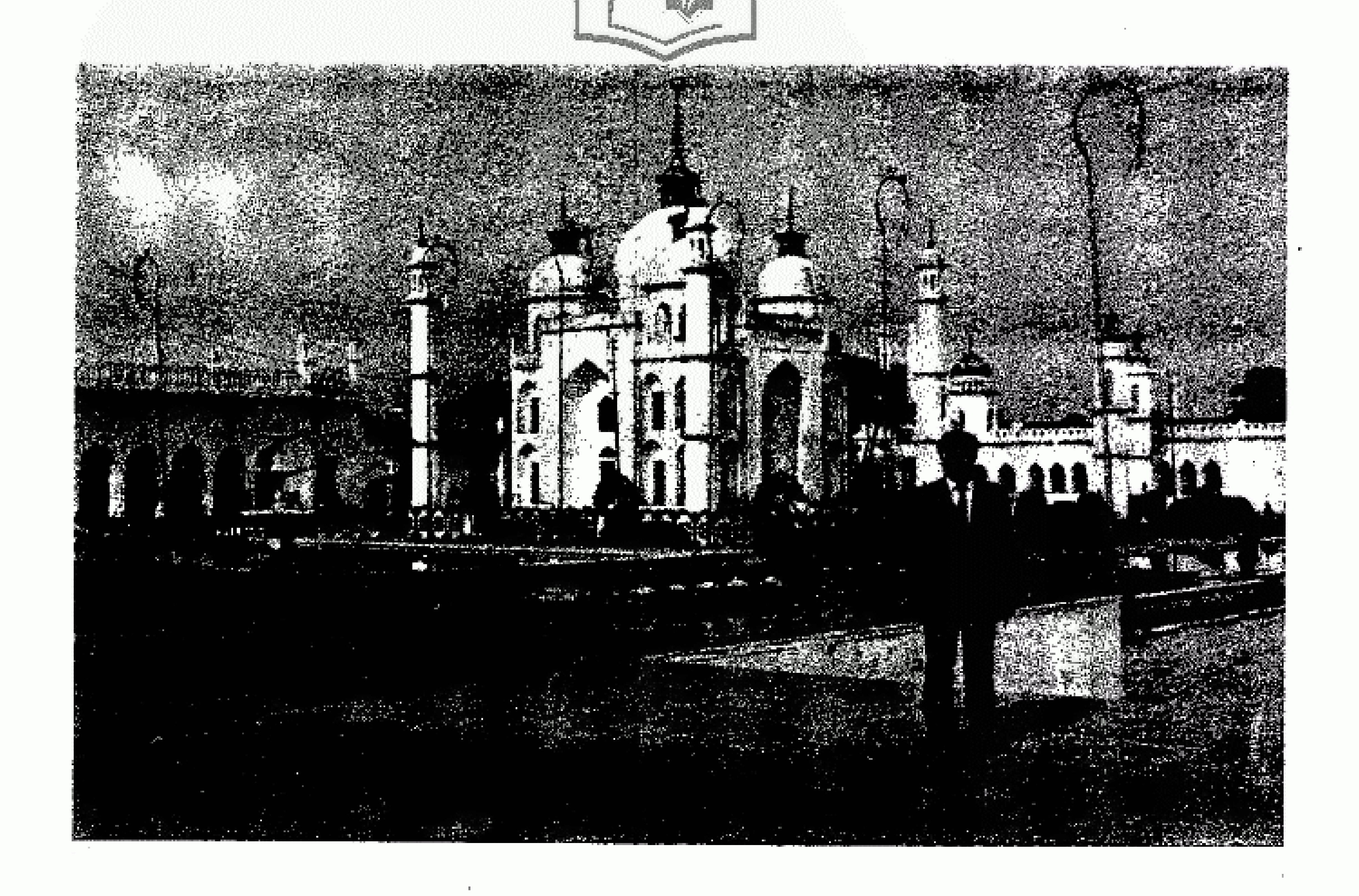
(٧١) سيد محمد ناصر ابادي: احياء الاجتهاد، مخطوط في اصول الفقه، رقم (١)، الورقة ١٥ب، المكتبة الناصرية بلكنو.

(٧٢) محمد عباس شوشتري: نور الابصار في رد اهل الاخبار، مخطوط في اصول فقه الشيعة مخطوط عربي رقم ٦٥، الورقة ب ١٠ - أ ١٠، المكتبة الناصرية بلكنو.

مودودي وهو نفسه من دلهي، يسعون لكسب ود الاشراف الشيعة. إلا ان الفقهاء اظهروا عداءً للصوفيين(٧٣)، أما العلماء من الإماميين فكانوا يفضلون الصوفيين بسبب معرفتهم الخاصة بالفقه الجعفري، ولم يستطيعوا أن يمنعوا أشراف أود من رعاية المتصوفين.

وكان كل من الإخباريين والمتصوفين لهما مصادرهما التشريعية، وكانت النّزاعات ما بين ملا محمد رضا كشميري وبين الأصوليين لا بسبب التنافس على الرعاية من قبل الأغنياء ولكن بسبب رغبة الأصوليين في السيطرة على المؤمنين ككل، وقد أصبحت الأصولية الإيديولوجية المسيطرة(٧٤).

وهناك ثلاث أسباب أدت إلى انتصار الأصولية، الأول: هو اجتذابها لجيل جديد من الشيعة العلماء، وقد أعطت المجتهدين الحق الوحيد لتفسير الشرع وطلب طاعة العوام كما كانت لهم فرص كثيرة للمناصب في الدولة الشيعية النامية، وأما السبب الثاني: فهو أن استراتيجية الأصوليين اشتملت على نوع من الاعتراف بشهادات من الأصوليين المؤهلين للمناصب الدينية(٧٥)، أما السبب الثالث: فهو تفضيل الدولة النامية في أود للفكر الأصولي.



(٧٣) انظر ويبر: الاقتصاد والمجتمع، الثاني ص ١١٦٦ ـ ١١٦٨.

(٧٤) انظر N.Abercrombie و س. هيل، و ب تورنر: النظرية الفكرية المسيطرة (لندن، ١٩٨٠).

(٧٥) الاسيوية، ١٣٣٠ هـ/ ١٩١ م، ص ١٠٤

القسم السابع

الدين، الدولة والجيل الأصولي الصاعد

Religion, stste, and the Second Usūli Generation

في المرحلة الاولى من تشكيل النخبة من رجال الدين، كوّن العلماء الأصوليون تحالفاً ناجحاً مع الطبقة الشيعية من السادة الأشراف في أود، وقد أوجدوا أو أسسوا نفوذهم على صلاة الجمعة الجماعية، وكانت هذه الصلاة رمزاً للاستقلال الاقليمي للبلاط في أود عن المغول في دلهي، وكذلك الدور القيادي لأئمة الصلاة من الأصوليين.

وسرعان ما أحرز العلماء الاصوليين نجاحاً في السيطرة الدينية وكسب الحقوق الشرعية الشيعية الخاصة، وبهذا زادوا في ثرائهم، كذلك فقد جاهدوا لاستبعاد منافسيهم على السلطة الدينية مثل الصفويين والزعماء الإخباريين من الشيعة.

أما المرحلة الثانية من تشكيل النخبة من رجال الدين، والتي سوف نلتفت إليها في هذا البحث فتترافق مع نشأة المرحلة الثانية من توصل العلماء الاصوليين الى مراكز النفوذ، فقد كانوا يسعون إلى تثبيت مكانتهم في البلاط في أود ولرعاية السادة الأشراف لهم، وقد واجهوا تحدي في ظهور مملكة شيعية مستقلة تماماً، وكان عليهم أن يقرروا ما إذا كانوا سيساهمون في تشريعاتها، وكان منافسوها في هذه الفترة من العلماء الايرانيين المهاجرين ومن المدرسة الشيعية الجديدة في المشيخة، والتي انتشرت من المدن العراقية المقدسة، إلا أن التهديد الكبير كان من نمو الديكتاتورية الدينية، فقد ادعى أو طالب الملك الثاني لأود بالسلطة الدينية والدنيوية، واصطدم مع النخبة الاصولية في صراع شديد.

تتويج غازي الدين حيدر

دخلت أود مرحلة جديدة في تشكيل الدولة وذلك بانقضاء عقدين من القرن التاسع عشر، وكان صعود نواب غازي الدين حيدر في عام ١٨١٩[1] من منصب الوزير الاول في الدولة المغولية الى الملكية، مشيراً للتساؤل عن الدور الذي لعبه العلماء من الشيعة في

(١) مايكل نيشر: التتويج الامبراطوري في عام ١٨١٩، أود، البريطانيون والمغول، مقال في مجلة الدراسات الآسيوية الحديثة ع (١٩) سنة ١٩٨٥، ص ٢٣٩ - ٢٧٧.

الدولة المستقلة في أود.

فقد كانت أود في عام ١٨١٩ ضعيفة من الناحية العسكرية ومحاطة من ثلاثة جوانب بالبريطانيين وكانت الزراعة الجيدة والمحاصيل الغذائية قد جعلتها «حديقة الهند»، ورغب الحاكم العام هاستينجز Hastings في إضعاف البنية المتبقية للامبراطورية المغولية القديمة كوسيلة لتقسيم الهند والسيطرة عليها، إلا أن محاولاته في تشجيع الإمارات مثل النظامية في حيدر آباد والإعلان عن هذه الإمارات كإمارات مستقلة قوبل بالصد في كل مكان عدا أود، وربما كان السبب في اتباع مشورة اللورد هاسينجز، بالنسبة لغازي الدين حيدر هو الأسرة النيشابورية الشيعية، وأن البريطانيون سينظرون نظرة تفضيلية إلى أود المستقلة.

وبدأ غازي الدين بعد ذلك في إظهار عدم ولائه[٢]، فبعد خمس سنوات أعلن نفسه ملكاً شيعياً مستقلاً في احتفال للتتويج وقد وصف هذا الاحتفال فيشر في مقاله «التتويج الملكي في ١٨١٩، أود، البريطانيون والمغول».

وكان العاشر من أكتوبر عام ١٨١٩ وهو يوم التتويج يصادف يوم احتفال الشيعة بتصريح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الشفهي بأن يكون علي هو خليفته في غدير خم وفي الصباح توجه غازي الدين حيدر ووريثه ناصر الدين حيدر، والوزير الاول آغا مير معتمد الدولة راكبين على الأفيال المغطاة بقماش خاص مطرز بتطريزات ذهبية فخمة وتوجهوا في موكب كبير يقوده السادة الأشراف من كل أنحاء أود إلى مقام العباس حيث أدوا صلاة الشكر[٣]، ثم اتجه الموكب الى بناء مجاور للاحتفال يدعى Barahdri حيث احتفل بتتويج غازي الدين حيدر. وقد كان لكل من غازي الدين حيدر، الوزير الاول، والمقيم البريطاني وسيد محمد ناصر آبادي (١٧٨٥ ـ ١٨٦٧) دور في الاحتفال، وكان والد سيد محمد المسن والمريض (سيد ديلدار علي، قد توفي بعد ذلك ببضعة أشهر)، أما سيد محمد فكان عمره في ذلك الوقت أربع وثلاثون عاماً وقد شغل مناصب إمام الصلاة في العاصمة ورئيس السلطة الدينية الشيعية.

وبعد اعتلاء غازي الدين حيدر للعرش، وضع الوزير الاول التاج في يد ناصر ابادي الابن الذي وضعه بدوره على رأس غازي الدين حيدر، ثم عانق الملك الجديد المقيم البريطاني وأطلق الرصاص احتفالاً وقرأ ناصر ابادي أسماء العرش، ووزع المال والمجوهرات على الحاضرين[٤].

ويرجع الدور الذي يقوم به المجتهد الاول في حفل التتويج الى ايام الدول الصفوية في ايران، فقد كان يربط خصر الملك بسيف الدولة، ولكن كان شيخ الاسلام وهو الذي يؤدي هذا الدور بالنسبة لكل من الشاه صفي (سليمان) ١٦٦٧ ـ ١٦٩٤، والشاه سلطان حسين ١٦٩٤ ـ ١٧٢٢، وقد قلد شيخ الاسلام سليمان بالسيف والخنجر ووضع التاج فوق رأسه، وفي عام ١٦٩٤ قام شيخ الاسلام الجديد محمد باقر بتقليد آخر الملوك الصفويين، ولما كان

(٢) رسالة المقيم بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٨١٤.

(٣) رسالة المقيم، ١٢ اكتوبر ١٨١٩.

(٤) نفس المرجع.

ملوك أود قد اعتبروا أنفسهم أوصياء على المجد والتراث الصفوي فإن سيدنا محمد ناصر آبادي أعاد إحياء دور المجلسي[٥].

وفي عام ١٨٢٢ ذكر المقيم البريطاني أن الملك قام بوضع التاج لنفسه، وفي العام الذي تلاه قام المقيم البريطاني ويدعى موروونت ريكيتس بوضع التاج وثوب الملكية على غازي الدين حيدر في التتويج، وقد لعب المقيم هذا الدور فيما بعد، ولم يكن المجتهد الرئيسي مستبعداً عن الاحتفال، وأصبح من المعتاد بالنسبة للملك أن يصلي صلاة الشكر مع سيد محمد ناصر آبادي وذلك قبل استلام التاج من أيدي المقيم البريطاني[٦]، وكان في انتقال نواب أود الى الملكية أموراً شكلية كبيرة، لا أن الأسر الحاكمة الأخرى في الهند وخاصة في دلهي المغولية كانت تغضب لهذه المظاهر الجديدة من النشابوريين[٧].

وقد كان المضمون الثقافي والرمزي للنخبة الشيعية الحاكم عاملاً في إحداث مشاكل بالنسبة لإعادة تفسير دور العلماء الشيعة الإماميين في علاقتهم مع الدولة، وبدأ حكّام أود في مظاهر الاستقلال مثل ضرب العملة، وإقامة الصلوات في الجمعة، والتي كانت تقرأ خطبها باسمهم[٨].

لكن مفكري الشيعة التقليديين مثل ابن المطهر الحلي كانوا يمنعون قراءة الخطب في الجمع باسم حاكم ويعدون هذا من بدع السنة.

إلا أنه على مدى قرنين من الزمان خلال حكم الصفويين في ايران، كان العلماء الشيعة يقرؤون خطبة الجمعة باسم الملوك، الذين كان يقال لهم (ظل الله)[٩]، وكانت إقامة صلاة الجمعة في عام ١٧٨٦ رمزاً لاستقلال أود، وفي عام ١٨١٩، كان إدخال اسم الحاكم النيشابوري في الخطبة إعلاناً عن استقلال البلاد.

الذاتية والقيادة

بعد وفاة ناصر آبادي في عام ١٨٢٠، وطّد ابنه (سيد محمد ناصر آبادي) العزم على حل الخلاف او التوتر بين الرموز الاصلية الطائفية في الشيعة الامامية بين المعوقات الجديدة للشيعية، ورغب أيضاً في توطيد زعامته، وقد روى رؤيا كان والده قد رآها عندما كان هو طفلاً صغيراً[١٠]، فقد رأى أن هناك جماعة كبيرة من الشيعة مجتمعين حول تل عالٍ بفرح

(٥) آن. ك. س. لامبتون: الدولة والحكومة في الإسلام في العصر الوسيط (أوكسفورد: مط. جامعة أكسفورد، ١٩٨١) ٢٧٨ ـ ٢٧٩، وكتاب لورنس لوكهارت Laurence Lockhart، سقوط الخلافة الصفوية والاحتلال الأفغاني لإيران (كامبردج: مط. جامعة كامبردج، ١٩٥٨)، ص ٣٨.

(٦) فيشر: التتويج الملكي.

(٧) عبد الحليم شرار كذشته لكنو: Guzashtah Lakhnou: مشرقي تمدن أخيري ناموناه (لكنو، ١٩٧٤)، ص٥٣ ـ ٥٤، الترجمة الانجليزية ص ٥٤ ـ ٥٥.

(٨) زين العابدين شرواني: رياض، ٣ مجلدات (موسكو، ١٩٧٤)، الثالث ص ١٠٥١ ـ ١٠٥٢.

(٩) انظر هنري لاوست: نقد السنة لعقيدة الحلي، مجلة الدراسات الاسلامية ع ٣٤ (١٩٦٦): ص ٥١ ـ ٥٢، وكتاب لامفتون Lamfton: الدولة والحكومة، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(١٠) محمد مهدي لكنوي كشميري: نجوم السما، تكملة، مجلدان، قم، مكتبة بصيرتي،

كبير، وسأل وقد أخذته الدهشة، عن سبب هذا، فأجابه أحدهم بأن الإمام الثاني عشر قد ظهر هناك في تلك المنطقة، وعندئذ عانق الامام سيد ديلدار علي، فوق قمة التل، وطلب منه المجتهد أن يحتني بابنه ويقوم بتدريبه على يديه، فوافق الإمام، واستدعى خادمته وأمرها بإرضاع الطفل سيد محمد، وبهذا أدخله في عداد أهل بيته، وكان سيد محمد فيما بعد يتباهى بأنه كان في ذلك اليوم من آل البيت، ولما عزم سيد ديلدار على المغادرة، أخذ يفكر في مسألة استغنائه عن ابنه الأكبر، لكن الإمام أكد له مرة أخرى أنه يمكن أن يشاهد سيد محمد في تلك الأرض البعيدة، ولما تحدث سيد محمد عن هذا الحلم بعد سنوات قال إن الابن المتبنى مثل الابن الحقيقي، وأكد بأنه طالما وافق الإمام على تنشئته وتعليمه، فإن هذا العلم قد أتى من الإمام نفسه، وقد كان والده مجتهداً وممثلاً عاماً للإمام المهدي، على أنه كان أفضل ممثل للإمام في تعليم ابنه.

وكانت الشخصيات الدينية السنية تستخدم الرؤيا كثيراً لتوطيد سلطتها الدينية، فقد أسس كل من بحر العلوم من فرنجي محل وسيد أحمد راي بريلوي (وقد نوقش هذا في القسم ٩)، طريقة صوفية على اساس رؤيا صوفية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه، ومهمايكن من أمر فإن الادعاء الذي جاء به سيد محمد بأنه الابن المتبنى للإمام الثاني عشر قد جعل منه الشخص الذي تعلم من قبل المهدي وأصبح من آل البيت.

وقد كانت توقعات الشيعة لظهور الامام ومثل هذه المعتقدات أحدثت توتراً بين الجماعة الدينية ومن البنية والقيمة للمجتمع الأكبر، وكان هذا التوتر بالنسبة للإخباريين قوياً، إلا أنه بالنسبة للأصوليين كان تعيين المجتهدين كوكلاء عامين للإمام عاملاً مساعداً على التخفيف من التوتر.

وأصبح بإمكان المجتهدين أن يمنحوا تشريعات معينة، وذلك بالتفويض، لأي مؤسسة في المجتمع الإسلامي، مثلما حدث بالنسبة لدورهم في تتويج غازي الدين حيدر، كذلك فإن في ادعاءات سيد محمد ناصر آبادي المبالغ فيها، بعلاقة خاصة مع الإمام الغائب، كانت تهدف الى تحويل السلطة الدينية من الخفاء الى الحاضر.

العلماء ورعاية الحكام

كانت السلطة النامية والمركز الاجتماعي لرجال الدين الاصوليين آتية من رعاية ودعم الطبقة الشيعية الحاكمة لهم، وقد أسس العلماء، قاعدة اقتصادية جديدة لنشاطاتهم، والرعاية بالنسبة للحكام تعني الدعم الاقتصادي الذي قدمه البلاط الحاكم في أود والسادة الأشراف للطبقة المثقفة من المسلمين ورجال الدين.

على أن هذه الرعاية اختلفت قليلاً في القرن الثامن عشر، عما كانت عليه في الفترة المغولية، وقد أثار عالم الاجتماع مايكل جيلسينان سؤال حول علاقة العلماء بالسادة الأشراف المحليين، وقال إن بعض الرواة وهم في لبنان الشمالي الحديث، حدثوه بأن سلطة

(١٣٩٧ هـ/١٩٧٧)، الأول ص ٢٢٦ - ٢٣٢.

الإله مستمدة من القوة والسيطرة في حين أن العلماء يستمدون سلطتهم من الكتب المقدسة وهم في الغالب من نسل أو من سلالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أمتعوه بقصص حول العلماء في الدين ومعارضتهم للسادة الاشراف المتكبرين، وكانوا يتواضعون أمام عامة الناس، وتقبل جيلسينان Gilsenan باديء الامر هذه القصص[١١]، كما سنرى فيما بعد، كذلك هناك بعض الحوادث التي تؤخذ من قبل المؤرخين عن علماء الشيعة ممن كانوا يتقبلون هذه القصص (التي كان يرويها من ينتسبون الى العلماء)[١٢].

كما ان مفتاح العلاقة المتبادلة بين السادة الاشراف وبين العلماء يكمُن في علاقتهم الاقتصادية، وقد تغير نمط الرعاية الاقتصادية في أود، كما بينا، بمرور الزمن، فقد كان آصف الدولة يحكم دولة قوية وكان يمنح هبات من الأراضي خالية من الضريبة، الى السادة الاشراف والمقربين من البلاط، وكان أئمة الصلاة في كل من لكنو وفايز آباد يستلمون هبات من الأراضي، ومع ذلك فبعد أن استولى البريطانيون على نصف أود في عام ١٨٠١، أصبح نواب سادات علي خان غير راض عن تحويل الممتلكات.

كما أن غازي حيدر خالف والده في منح الأراضي إلى كبار مالكي الأراضي (تعلقدار) وإلى السادة الأشراف، لكنه بدأ بتحويل رجال حاشيته الى اصحاب دخل يعيشون على فوائد الديون التي تقدمها أود الى شركة الهند الشرقية[١٣].

وقد كان معظم علماء الشيعة غير أثرياء بأنفسهم، بل كانوا يعتمدون بعد عام ١٨٠١ على الهبات التي كان يمنحها لهم السادة الاشراف مثلما كانوا يعتمدون على بعض الضرائب الطوعية الدينية، وكان هؤلاء العلماء يتقبلون المال من الحكومة، وكانت الحكومة بدورها تكسبه من ديونها الى البريطانيين.

وقد كان ديلدار علي ناصر آبادي باعتباره إماماً للصلاة في العاصمة، يستلم منحة معفاة من الضريبة هي تسعة قرى، ومعاش سنوي مقداره ٥ آلاف روبية. وقد عين سيد ديلدار علي ابنه الأكبر سيد محمد خلفاً له[١٤].

وذكر سيد محمد فيما بعد أن القرى تابعة له[١٥] (انظر الجدول [٣]).

وهناك سجلات أخرى تبين أن غازي الدين حيدر لدى توليه السلطة في أود، قد أمر بمنح ٥ آلاف روبية سنوياً كمعاش للمولوي ديلدار علي ووريثه وذلك دون طلب سند

(١١) ميشيل جلسنان: ضد العلاقات، لندن داكورث، ١٩٧٧) ص ١٧٠ ـ ١٧٢.

(١٢) انظر حميد الجر Hamid Alger، الدين والدولة في ايران من ١٧٨٥ ـ ١٩٠٦ (بركلي ولوس أنجلس، مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٩)، مثلاً الصفحات ٢١ ـ ٢٥.

(١٣) ر.ب. بارنيت: شمال الهند بين امبراطوريتين (بركلي ولوس أنجلس، مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٨٠)، الفصل (٦).

(١٤) سيد عباس أرديستاني: الحصن المتين في أحوال الوزراء والسلاطين، مجلدان، مخطوط رقم 235a-235b، الاول ص ٣٠، الأرشيف القومي الهندي، نيودلهي.

(١٥) حول قائمة القرى المعفاة من الضريبة انظر الوثيقة المؤرخة في ٦ ديسمبر ١٨٦١ Bord of Reveue, Lucknow File 1767.

منه[١٦]. وربما كان قد قرر معاشٌ قبل ذلك، وقد فاق دخل سيد محمد ناصر آبادي ذلك الدخل المأخوذ من الفلاحين الهنود من قراه والمعاش الذي كانت تزوده به حكومة اود.

وقد منحه السادة الاشراف الهبات من المال والهدايا خاصة عندما كانوا ينشدون أحكامه الشرعية غير الرسمية أو عندما يطلبون منه أن يكتب شيئاً ما.

وقد أعطت (مسز علي) مثالاً لكيفية جمع ناصر آبادي وابنه للثروة بهذه الطريقة[١٧]، وذكرت أنه في عام ١٨٢٠ وما تلاه كتبت أرملة النواب الشيعي لفروخ آباد Farrukhabad، ولايتي بيجوم، وصية تركت منها لسيد محمد ناصر آبادي مبلغاً جيداً من المال لاستعماله الخاص.

ودهش سيد محمد ناصر آبادي أول الأمر لأن مثل هذه المنحة أتت له من خارج أود فاستفسر عن الامر ليتأكد أن المبلغ له وليس للتوزيع على الفقراء، وقد تأكد أيضاً من أنها أدت كل التزامتها الدينية في حياتها مثل دفع الزكاة للفقراء، وقبل أخيراً الثروة التي تركتها له، ولكن رغم هذا فلم يكن لديه سوى عشر قرى معفاة من الضريبة ومعاش، وقد ظل من مالكي الأرض الصغار.

على عكس بعض الاثرياء من العلماء الذين قدموا من ايران، فإن الناصرآباديين لم يتزواجوا مع طبقة الاشراف وفضّلوا الزواج من بنات أعمامهم البسيطات على الطبقة العالية في لكنو[١٨].

ولقد أصبحت بنية الرعاية في العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر أكثر سلاسة وهناك نوع من المنح الكثيرة الوقفية في العائلات كما يمثلها سيد حسن رضا زنجبوري Hasan Rida Zangipuri (١٧٧٩ ـ ١٨٦٢)، وهو من بلدة صغيرة في غازيپور Ghazipur، وكان قد درس في فايز آباد، ولما أصبح مجتهداً سافر لمدة خمسة سنوات في ايران واستلم ثوب الشرف ومنحة نقدية من الحاكم القاجاري Qajar فتح علي شاه، وفي لكنو كانت زوجته قد أسست صلات مع احدى زوجات غازي الدين حيدر، مبارك محل Mubarak Mahall الذي قدم لها معاشاً وخصص مبلغ (١٦٠) روبية أيضاً في الشهر لزوجها العالم[١٩].

ولم يكن كل العلماء مرتاحين من قبول المنح التي كان يقدمها لهم الاغنياء، فقد أصر سيد علي بيك پور Bhikpur من بيهار أن يعيش على مرتبه الخاص ورفض قبول (النذر) التي كان يقدمها السادة الاشراف، وفي الحقيقة كان معظم العلماء يعيشون عيشة أقل زهداً وكانوا يتوقون للمنح والهبات، وقد كان سيد علي في الاصل صوفياً اعتنق المذهب الشيعي الاصولي. ودرس في لكنو مع سيد حسين ناصر آبادي، وكان يتلقى كطالب مبلغاً قدره (٥)

---

(١٦) من الأرشيف (FDFG).

(١٧) مسز مير حسن علي: ملاحظات حول مسلمي الهند (لندن: مط. جامعة أكسفورد، طبعة معادة، ١٩١٧) ص ٣٦٠ ـ ٣٦٣.

(١٨) هاشم علي رضوي: مرآة البلاد، مخطوط رقم 2551، مكتبة المخطوطات الحكومية، اله آباد، ص ٢٣٣.

(١٩) سيد محمد حسين نوكانوي: تذكرة بي بها في تاريخ العلما (دلهي، مط. جيدبرقي، دون ناشر)، ص ١٢٩ ـ ١٣١.

روبية في الشهر[٢٠]. وعندما كانت تغيب هبات الاشراف كان دخل سيد علي يبقى قليلاً، وأخذ يُدرِّس أطفال السادة الاشراف مقابل معاش شهري مقداره (١٠) روبية، ثم ارتفع إلى (٣٠) في الشهر، أما مهدي قمي كشميري الذي وصل الى لكنو في اواخر العشرينات او الثلاثينات من القرن التاسع عشر، فقد رفض قبول الرعاية من الاشراف على هيئة منح أو هبات من الاراضي فقد أحسَّ ان هذا سيحد من استقلاليته، لكنه اكتفى بأخذ الهبات النقدية (نذر)[٢١].

كذلك فلم يكن كل العلماء بحاجة الى المعاشات من الاشراف الكبار، فقد كان كثير من رجال الدين البارزين في لكنو من أسر ريفية ذات أراضٍ، وكان سيد أحمد علي محمد آبادي (توفي ١٨٧٨) من أسرة اقطاعية (زامندار) بالقرب من جونبور Jaunpur وقد تمرس في العلوم الدينية على يد الأئمة الاصوليين في فايز آباد ولكنو. وكان يأخذ معاشات وهبات من ملك أود من أجل كتاباته الدينية، واستمتع محمد آبادي بدوره في لكنو كعالم، وأثبت تفوقه في هذه الناحية، ولما أراد العودة الى أرضه، قدم الزامندار التي تخصه الى ابنه[٢٢].

وكان المراس في العلوم الدينية الاصولية مدخلاً الى البلاط ووسيلة للسيادة في المجتمع، وقد أتى الى لكنو مولوي عماد علي كيرانافي (توفي ١٨٧٣)، وكان ذلك أوائل عام ١٨٣٠ وأظهر مهارته في تلاوة الكتابات النثرية في رثاء الامام الحسين.

وكانت أسرته من الاطباء في مظفر نـگـر Muzaffarnagar، وقد درس في لكنو في حلقة يقوم بالتدريس فيها حكيم مهدي علي خان خلال ولايته القصيرة كرئيس وزراء، من ١٨٣٠ ـ ١٨٣٢، وكان يستلم معاشاً وقد تلقى شهادة في إمامة الصلاة من سيد حسين ناصر آبادي[٢٣]، وبالتدريج أصبحت له اتصالات بالبلاط الحاكم، وكان في اثنائها يقوم بتلاوة بعض المراثي الصباحية في صالونات الملك وزوجاته، وقد سر منه ناصر الدين حيدر فأصبح يقوم بهذا بشكل دائم، وقدم له إحدى الفتيات التي نشأت في بيته ودفع له كل تكاليف الزواج، وهكذا أخذ كيرانافي Keranavi مناصب ادارية في القصر، وهناك قصة نرويها عن أحد المهاجرين من كشمير، تظهر كيف أن أشخاصاً من عائلات من الاشراف يظهرون أنفسهم كعلماء خلال اسلوب في الحياة، بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية، فقد استُدعي ميرزا صديق علي كشميري (توفي ١٨٧٣) الى لكنو في أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر الى لكنو، من قبل عمه، ووجد أن عمه قد انغمس في الحياة الصاخبة التي كان يعيشها الاشراف في لكنو، فأصيب بصدمة لهذا، وما لبث أن التحق بخدمة إمام الصلاة للشريف الكبير حكيم مهدي علي خان، ومن ناحية أخرى كان العلماء يستسلمون لتقييم أولئك الذين

(٢٠) نفس المرجع، ص ٢١٧ ـ ٢٢٠.

(٢١) مقابلات مع سيد غلام مرتضى وسيد محمد جعفر: سلطان المدارس، لكنو، ٢١ حزيران، ١٩٨٢.

(٢٢) سيد إعجاز حسين كينتوري: شذور العقيان في تراجم الأعيان، مجلدان، مجموعة بوهار Buhar، مخطوط ٢٧٨ ـ ٢٧٩، ج١/ ٥٢أ، المكتبة الوطنية كلكته. نوكانوي: تذكرة، ص ١٣ ـ ١٥.

(٢٣) نوكانوي: تذكرة ص ٣٤٠ ـ ٣٤١، ولهذه الحلقة القصيرة العمر، انظر راجا راتان Raja Ratan: زخمي «Zakhmi» Singh، سلطان التواريخ، مخطوط فارسي: رقم 3961 الورقة 186b ـ185. مكتبة المكتب الهندي والسجلات.

هم راعون لهم، فمثلاً كان أبو القاسم ساماني الذي استقر في باتنا، كان يعطي أحكاماً تبيح الشراب والقمار، فسر منه الأشراف وجعلوه مرشداً لهم، وقد دحض (سيد نجف علي نوناهروي Naunahruri) (١٧٩٣ ـ ١٨٤٥)، وهو تلميذ لسيد ديلدار علي، ساساني بالالتزام بالأصولية[٢٤].

أما عالم الاجتماع مايكل جيلسينان Micheal Gilsenan فقد دهش بما أخبره به البعض عن الاشراف والعلماء[٢٥]، كذلك فقد كان العلماء الاثنى عشريين في أود يعتمدون من اجل دعم مركزهم الاجتماعي على رعاية الاشراف، وكان للعلماء اسلوبهم الخاص في الحياة كجماعة لها مركز نبيل لدى الطبقة الحاكمة، إلا أن هؤلاء العلماء كانوا في أود أكثر منهم في ايران يشكلون جزءاً فرعياً من الطبقة الحاكمة، وفي ايران أسس بعض العلماء الاثرياء استقلالية عن الحكومة، ولكن في اود لم تكن الحالة كذلك فقد كان معظم رجال الدين يعتمدون على الاشرف من الشيعة.

التحديات أمام السيطرة الهندية الاصولية

في النصف الاول من القرن التاسع عشر ظهر ثلاثة منافسين جدد للاصولية الهندية، وقد هدد هؤلاء المؤسسات الدينية وبالاضافة الى ذلك الدخل الذي كان يأتي من البلاط الحاكم ورعاية الاشراف، وكان التهديد الاول هو المنافسة من قبل العلماء المهاجرين من ايران الذين كانوا يفتخرون بأنهم أتوا من مراكز العلم والثقافة الشيعية، كذلك فقد كان هناك تهديد من قبل المدرسة الروحية الشيخية للشيعة التي كان لها السيادة في مدينة كربلاء وانتشرت من هناك الى الهند.

أما التهديد الثالث فقد أتى من قبل الذين يطلبون السلطة الدينية مثل الملك الثاني لأود ناصر الدين حيدر.

وقد ظل العلماء الايرانيون المهاجرون من ايران ومعظمهم من المدرسة الاصولية منافسون رئيسيون من اجل رعاية الاشراف منهم.

وقد اختلفوا مع الهنود رغم أنهم يتبعون نفس المدرسة التشريعية، ولم يكن هذا النزاع بسبب اشكال بديلة من الاحكام الدينية التشريعية ولا في التوترات والنزاعات بين الطبقات الاجتماعية، على عكس الصراع بين الاصوليين من جهة والإخباريين والصفويين من جهة اخرى. بل إن النزاع نشأ من نوع آخر من الإنغلاق الاجتماعي المتمركز حول العرقية، وقد نتج عن المنافسة التي حدثت بين سيد ديلدار علي ناصر آبادي وبين آغا أحمد بهبهاني في أوائل القرن شيء من المرارة بين الهنود والايرانيين، وقد كان في السيرة الذاتية للسيد ديلدار علي، نقد دائم للعلماء الايرانيين الذين قدموا الى لكنو كأشخاص طامعين في المال.

وقد كتب الايراني عبد العظيم حسيني أصفهاني رداً على هذه الاتهامات وقدمه الى

---

(٢٤) كشميري: نجوم، الثاني ص ١٢٩ ـ ١٣٠، والاول ص ٤٥ ـ ٤٧.

(٢٥) جيلسينان Gilsenan: ضد العلاقات، ص ١٧٢.

نواب غازي الدين حيدر[٢٦]، وأشار إلى أن الحكام في أود كانوا يوفرون رعاية وفيرة للشخصيات الدينية الشيعية، وقال إن كل شخص اليوم هو مولوي ديلدار وإن التلاميذ الذين كانوا يدرسون الدين أصبحوا يتلقون مبلغ ٥٠٠ روبية أو ألف روبية، وقد اعترض بأن ناصر آبادي كان يحذر الناس من أن يصبحوا من الشيعة المولوية وأن هذا أصبح مربحاً بالنسبة لهم. وقال أصفهاني إن ناصر آبادي أراد أن يمنع الناس من استضافة العلماء الذين يأتون من خارج لكنو، وقد كان تلاميذ ناصر آبادي يردون الهجوم من قبل تلاميذ ناصر آبادي، ولا يرد اسم كثير من العلماء الايرانيين الذين استقروا في لكنو في معاجم السير، وهؤلاء ممن حصلوا على مراتب دينية عالية بعد عام ١٨١٤، وجاء الكثيرون كزوار وغادروا بعد تسلم الهبات من النواب، وجاء كثير من الايرانيين كأطباء، وشعراء ومهندسين، وكان بعض أولادهم أو أحفادهم يتجهون الى الامور الدينية.

وهناك استثناء وحيد وهو الملا مهدي أسترابادي (توفي عام ١٨٤٣)، وكان تلميذاً للسيد علي طباطبائي في كربلاء وعاش فترة من الزمن في كرمانشاه Kirmanshah، وقد وصل الى لكنو في عام ١٨٢٤، وقد كان يتلقى رعاية من كثير من افراد العائلة الحاكمة، مثل زوجة غازي الدين حيدر البيجوم بادشاه، ومن حكيم مهدي علي خان، الوزير الاول في فترة الثلاثينات من القرن التاسع عشر، ومن ناصر الدين حيدر (١٨١٧ ـ ١٨٣٧)، ولكنه حتى أسترابادي رفض أن يلتحق بالحلقة الاجتماعية للعلماء الهنود المحليين، وعاش في لكنو، وتوفي استرابادي عام ١٨٤٣ تاركاً مقاطعة تقدر بعشرة آلاف روبية، وقد أجرها المجتهدون في لكنو الى نجف Najaf لكي يوزعها على ورثته[٢٧].

وقد شعر الايرانيون ان الأصوليين كانوا يحاولون تضييع فرصة الرعاية لهم من قبل الحكام، ومما يدعو للدهشة ان العلماء الهنود نجحوا في ذلك، فقد حفظوا الوظائف الجيدة في أود من أجل الهنود، وهكذا فإن عدداً محدوداً من العائلات الاصولية المولودة في الهند استمرت في السيادة على الوظائف الدينية.

الشيخية

كان هناك قلة ممن يعتمدون في زعامتهم الدينية على التصوف فكانوا ينظمون الطرق أو يعتمدون على المعرفة الباطنية، إلا أن الاصوليين عارضوا كلا النوعين وأكدوا على الشرع المستمد من النصوص المكتوبة، وكان زعماء بعض الفرق الدينية كالاسماعيلية وهي فرع من الشيعية، يمارسون تفسير النصوص الدينية أكثر مما يمارسه الاثنى عشريين.

ولكن ظهر تحدي آخر أمام الاصوليين يرتكز على رؤية محدودة للشيعة الاثنى عشرية،

(٢٦) عبد العظيم حسيني اصفهاني: المقامة الحيدرية، مجموعة دلهي، مخطوط رقم 1190c، الورقة 1896b-2456b، المكتب الهندي.

(٢٧) محمد علي كشميري: نجوم السما في ترجمان العلما (لكنو: مط جعفري، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٧، وسيد محمد عباس الشوشتري. تحقيق، الظل الممدود، مخطوط في مكتبة راجا محمود آباد، لكنو، ص ٧٠ ـ ٧١، ٢٣٠ ـ ٢٣٢، ٣٣٣.

وذلك في اواخر القرن الثامن عشر على هيئة مشيخة.

وقد كان للحركة الشيخية تأثير على أود في فترة الثلاثينات والاربعينات من القرن التاسع عشر، وكان قد أسس هذه الحركة الشيخ أحمد الاحسائي (١٧٥٣ - ١٨٢٦) وهو عالم ملهم. وكان قد درس على يد الاصوليين في المدن العراقية المقدسة في أواخر القرن الثامن عشر (١٧٩٠) تقريباً، ثم فيما بعد أسس لنفسه مركزاً كعالم ديني في ايران زمن (فتح علي شاه).

وقد أثار الاحسائي الجدل بما قاله من الرؤى التي شاهد فيها الأئمة وأن هذه المعرفة قد أتيحت له بواسطة (الكشف)، وفي أواخر حياته أثارت فلسفته معارضة علماء الفقه، الذين أصدر بعضهم أحكاماً تقول بتكفير أو بارتداد الشخص عن الاسلام فيما لو اعتقد أن الانسان يعود بروحه لا بجسمه يوم القيامة.

وبعد وفاة الاحسائي، خلفه تلميذه سيد كاظم الرشتي (توفي ١٨٤٤)، وذلك في كربلاء، فطور عقائد أستاذه وأسس مدرسة جديدة للشيعة الإمامية تختلف إلى حد ما عن الاصولية.

وقد التقى في عام ١٨٢٨ مرتين بجماعة من الاصوليين الذين حاولوا إجبار الرشتي على بعض التعاليم، وأصبح الشيعة في كربلاء بشكل تدريجي بين مبدأين متناقضين، الاقلية الشيخية والأكثرية الاصولية، التي كان يتزعمها ابراهيم القزويني، وفي عام ١٨٣٠ حاول المنافسون الاعتداء على حياة سيد كاظم، إلا أن المدرسة وزعيمها قد بقيت[٢٨].

وقد كان للسيّد كاظم باعتباره زعيماً للشيخية كان فيما مضى في كربلاء، تأثير على شمال الهند، طالما أن الكثير من العلماء الشيعة والسادة الأشراف كانوا يسافرون بين أود والعراق.

وقد درس الابن الثاني لسيد ديلدار علي وهو سيد علي ناصر آبادي (١٧٨٦ - ١٨٤٣)، على يد سيد كاظم الرشتي[٢٩]، وكان سيد علي ناصر آبادي عالماً بارزاً في لكنو ومعروفاً بتلاوته للقرآن وكواعظ ديني أكثر مما هو مجتهد، لذلك فقد كتب دفاعاً عن الشيخية ضد أعدائها.

وفي عام ١٨٢٩ وصل الى كربلاء حيث عامله العلماء وخاصة سيد كاظم الرشتي معاملة حسنة، رغم وجوده في الهند لفترة، وقد درس عاماً كاملاً مع زعيم الشيخية ونال شهادة منه وربما كان سيد علي غير عالم بمعتقدات الرشتي، وربما كان الرشتي بدوره يقوم بمحاولات لنشر تعاليمه في الهند، وفي السنة التي تلت وصوله الى العراق اتجه سيد علي مرة أخرى إلى أود حيث كرس نفسه لإصدار تفسير شيعي بالأردية للقرآن الكريم، وطبع في عام ١٨٤٠، ثم بعد ذلك عاد الى كربلاء وقضى فيها بقية حياته.

(٢٨) للدفاع المبكر عن الشيخية: انظر كاظم الرشتي، دليل المتحيرين، مخطوط في مجموعة Curgon فارسي، رقم ٨٣١، مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكته، انظر أيضاً، م.م. كشميري: نجوم السماء، ص ٣٧٦ - ٣٧٤، ٣٩٧ - ٤٠٢.

(٢٩) م.م. كشميري: نجوم السما، ص ٤٠٢ - ٤٠٥.

وقد كان أكبر مدافع عن الشيخية في أود هو ميرزا حسن عظيم ابادي (توفي ١٨٤٤). وهو من أسرة في دلهي استقرت في باتناPatna[٣٠]، وقد وصل وهو شاب إلى لكنو حيث تابع دراسته في العلوم الدينية الشيعية مع سيد حسين ناصر آبادي، وكتب في عام ١٨٢٠ وما يليه بحثاً ناقش فيه إقامة صلوات الجمعة الجماعية وقال انها واجب فردي أكثر منها التزام اختياري، وقد أخذ يقلّ التردد نحو هذه الصلوات فيما بعد في أود.

وتوجه ميرزا حسن للحج في مكة ثم لزيارة الأماكن المقدسة في العراق، وقد اختار الإقامة في كربلاء حيث أصبح فيما بعد صديقاً مقرباً لسيد كاظم الرشتي، وفي عام ١٨٣٦ عاد عظيم آبادي إلى لكنو حيث عمل كواعظ، وعمل على نشر عقيدة الشيخ أحمد الأحسائي وسيد كاظم الرشتي، وقد ترجم أحد أعمال الأحسائي العقائدية من العربية إلى الفارسية وكتب موضوعاً حول الشيخية.

وقد أخذ الخصوم من الأصوليين يقولون بأن ميرزا حسن تحدث عن (المنامات) التي كان يراها في نومه، وقال إنه كان يتلقّى (الكشف) من الأئمة وقد أظهر نفسه كصانع للكرامات، وقد حاول سيد حسين ناصر آبادي في أول الأمر أن يتجاهل سلوك ميرزا حسن، إلا أنه لما نجح الأخير في جمع بعض الأتباع حوله من عامة الناس، وجد المجتهد الأصولي نفسه مضطراً لدحض تلميذه السابق ملا مهدي أسترابادي الذي ربما كان قد اصطدم بالشيخية في كرمانشاه Kirmanshah، وانغمس في الهجوم على تلميذ الرشتي[٣١].

وكانت عقيدة الشيخية تقول بأن لله نوعان من المعرفة الأساسية والفعلية[٣٢]. بينما كانت العقيدة الشيعية التقليدية تقبل تقسيم صفات الله إلى فعلية وأساسية، فمعرفة الله كانت صفة أساسية، أما كلامه فهو فعلية[٣٣]. لكن الأصوليين اتهموا الأحسائي بالهرطقة لأنه قال إن لدى الله نوعان من المعرفة.

وكان هناك خلاف آخر في الرأي حول الأسماء، فقد عرف مفكرو الشيعة التقليديين مثل ابن بابويه الصفات الأساسية مثل معرفة الله بأنها تحديد للجوهر الإلهي، وكلمة «المعرفة» عندما تستخدم بالنسبة لله عز وجل لا تشير إلا إلى الفحوى أو الجوهر، وقد استعار

---

(٣٠) كشميري، نجوم السما، الاول ص ٤٢ - ٤٣، وحسن عظيم آبادي: مجموعة رسائل مخطوط في فقه الشيعة رقم 200، المكتبة الناصرية بلكنو.

(٣١) ترجمة حياة النفس في خاطرات القدس، ترجمة حسن عظيم آبادي، مخطوط فارسي من مجموعة Curzon، رقم 1057 مكتبة الجمعية الآسيوية، كلكته (وتوجد خطبة ميرزا حسن الأصلية بالعربية ضمن قوائم المكتبة الناصرية ولكن ليس لها رقم في الفهرس، ولم يكن الموظف قادراً على إيجادها)، كذلك انظر كتاب سيد محمد عباس الشوشتري: المعادن الذهبية، مخطوط عربي رقم 4446، ص ٧٦ - ٧٧، مكتبة رضا، رامبور، وانظر م.م.كشميري: نجوم السما، ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٣٢) أحمد الأحسائي: حياة النفس، ترجمة فارسية، سيد كاظم الرشتي (كرمان: مط. سعادات، ١٣٥٣ هـ/ ١٩٧٥ م)، ص ٢٦ - ٣١.

(٣٣) أبو جعفر بابويه: عقيدة الشيعة (رسالة الاعتقادات، ترجمة آصف أ.أ.فيضي، كلكته: مط. جامعة أكسفورد، ١٩٤٢)، ص ٢٥ - ٣٠، وحسن ابن المطهر الحلي، الباب الحادي عشر: رسالة في مبادىء الفكر الشيعي، ترجمة وليام م.ميلر (لندن: الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا وإيرلندة، ١٩٥٨)، ص ٩ - ٣٩.

الشيعة هذا من المدرسة المعتزلية، وفيما بعد شعر المفكرون مثل محمد باقر المجلسي (توفي ١٦٩٩) بأن صفات الله كانت أعلى مرحلة في فهم وحدته المطلقة[٣٤]، واتخذ الشيخ احمد الأحسائي رأياً أقرب إلى رأي ابن بابويه والمعتزلة، وقد ركز سيد حسين ناصر آبادي في هجومه على النظرية الشيخية على هاتين العقيدتين وكان يهدف إلى إعادة التأكيد على الصفات الأساسية الايجابية ويدحض التسليم لكل من المعرفة الأساسية والفعلية[٣٥].

وبقي عظيم آبادي ملتزماً بالمدرسة الشيخية، وعمل على تطويرها لمواجهة المعارضين، وفي عام ١٨٤٤ غاد فاتجه نحو المدن المقدسة في العراق، لكنه لم يبتعد قليلاً عن إله آباد حتى وقع فريسة للمرض وتوفي، وكانت وفاة ميرزا حسن في سن مبكرة قد حرمت الشيخية في شمال الهند من أحد أعضائها الفعالين، وفيما بعد تركز الهجوم على الشيخية من قبل الأصوليين في منطقة الدكن حيث كان نفوذ الشيخية لا يزال قوياً[٣٦].

وفي أوائل السبعينيات من القرن التاسع عشر قدم الشريف الشيعي مولوي غلام نبي الله أحمد خان مدراسي (توفي ١٩٠٦) إلى لكنو، حيث لعنه سيد بنده حسين، وهو ابن وخليفة سيد محمد ناصر آبادي وقال إنه كافر بسبب استناده إلى آراء الشيخية، وكان جد مدراسي Madrasi من السادة الأشراف في بلاط الحاكم الهندي الجنوبي تيبوسلطان الذي كان ضد البريطانيين وذكر نوكانوي Nauganavi أن الشيعة في الدكن كانوا خاضعين أكثر لنفوذ الشيخ بابي ونصيري[٣٧].

العلماء والدولة (من ١٨٢٧ - ١٨٣٧)

كان ويبر Weber عالم الاجتماع يرى ان هناك منظمتين حاكمتين الأولى منهما سياسية والثانية هيروقراطية، وكلا منهما تمارس السيطرة التشريعية على مختلف الهيئات في المجتمع. إلا أن احتمال الصراع بينهما كان موجوداً بشكل دائم، وقد اقترح ويبر دراسة من ثلاثة أجزاء للعلاقات بين الدولة والدين، ففي النموذج الاول الهيروقراطية Hierocracy. ويكون فيها رجال الدين هم المشرعين للحاكم، وفي النمط الثاني الثيروقراطية أو الحكومة الدينية ويكون فيها الحاكم هو أعلى رجل دين، وفي النمط الثالث السلطة المدنية الدينية وفيه يكون الحاكم المدني هو المسيطر على السلطة الدينية، وله تشريع لا يعتمد على رجال الدين[٣٨].

---

(٣٤) محمد باقر مجلسي: رسالة صفات ثبوتية وسلبية، مخطوط فارسي في عقائد الشيعة رقم 41 المكتبة الناصرية بلكنو.

(٣٥) سيد حسين ناصر آبادي: الفوائد الحسينية، مخطوط عربي في عقائد الشيعة رقم 101 المكتبة الناصرية بلكنو.

(٣٦) من أجل آراء سيد حسين، انظر الشوشتري: المعادن الذهبية، ص ٥٥، ومن اجل الجدليات الأخرى، انظر: نثار حسين عظيم آبادي: رد الإجابة الشيخية (حيدر آباد: مطبعة هزاردستاني، سنة ١٣٠٥ هـ/١٨٨٧ م.

(٣٧) نوكانوي: تذكرة، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٣٨) ماكس ويبر: الاقتصاد والمجتمع (بروكلي ولوس أنجلس: مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٨)، الثاني:

ويبدو ان تمييز النمط الذي يمكن أن توصف به أود أمر واضح، فمنذ إقامة صلاة الجمعة في عهد آصف الدولة في عام ١٧٨٦، حتى تتويج غازي الدين حيدر في عام ١٨١٩ كانت الدولة الشيعية في أود قد طورت نمطاً من الهيروقراطية حيث كان المجتهدون هم المشرعون للحاكم النيشابوري.

وفي عام ١٨٣٠ وما تلاه أخذ ملك أود ناصر الدين حيدر يجرب نمطاً آخر أقرب إلى السلطة الدينية وقد تبين (ويبر) عالم الاجتماع صعوبة حصول الحاكم بنجاح على السلطة الدينية وخطورة هذه المحاولة، ولكن هذه الحركة أثارت في أود عداء العلماء الأصوليين وكثيرين من الأفراد في الطبقة الشيعية الحاكمة الذين كانوا مترابطين من الناحية الاجتماعية مع القيم الاصولية، ثم هناك أسباباً أخرى أيضاً فإن تطلعات الحكام للسلطة الدينية قد أثارت الرعب في قلوب البريطانيين وهم أصحاب القوة السياسية، ولقد كان حكم ناصر الدين حيدر فترة كانت فيها خلافات بين الملك والعلماء الكبار، وقد كانت معتقدات غازي الدين حيدر وأسلوب حياته أيضاً هي التي جعلت منه مكروهاً من قبل العلماء الأصوليين من جهة والمقيمين البريطانيين من جهة أخرى.

وكانت قد ربته مربية تدعى بادشاه بيجوم وهي زوجة قوية لغازي الدين حيدر، وكانت سيدة قوية فقد ابتكرت أنماطاً من الطقوس الشيعية التي محورها احترام الأئمة الاثنى عشر[٣٩].

فكانت تقيم احتفالات بمولد الأئمة مثل تلك التي كانت السيدات الهنديات المسلمات يقمنها لدى مولد طفل في العائلة، وكانت تحتفظ في منزلها أيضاً بفتيات جميلات أحضرن من عائلاتهن ليقمن في قصرها على أساس أنهم زوجات للأئمة الاثني عشر من آل علي وفاطمة، ولم يكن يسمح للفتيات بالزواج طالما أنهن كرسن للإمام، ويقال بأنه ذات مرة ذكرت إحداهن أنها شاهدت الإمام في حلمها وقد طلقها وبذلك نجت من هذا التكريس والتقيد. وكانت هذه السيدة أيضاً تقيم احتفالات وجلسات حداد لا على الحسين فقط بل من أهل الأئمة أيضاً، وكانت تؤكد بأنها تتنبأ بالمستقبل.

ولما وصل ناصر الدين حيدر إلى العرش استمر في هذه الطقوس، وكان يجلس في ثياب النساء في أيام عيد مولد الأئمة وكان الناس يوافقون على هذه الاحتفالات طالما كان الملك نفسه يبذل الأموال الطائلة لإطعام الفقراء خلال هذه الأيام الدينية المقدسة[٤٠].

وقد كتب جون لو John Lew إلى كلكته في عام ١٨٣٦ بأن الملك أنفق مبلغاً كبيراً يبلغ مئات الألوف من الروبيات في العام بما يقارب ستة ملايين جنيه استرليني[٤١].

وقد كانت هذه الخطوات مفزعة للعلماء الشيعة كذلك بالنسبة للمقيم البريطاني، وفي

ص ١١٥٨ - ١١٦٣.

(٣٩) تاريخ بادشاه بيجوم (دلهي: طبعة معادة، ١٩٧٧) ص ٨ - ١٣ ترجمة Abdul- Ahad Rabit Ametavi, Vaqai-idilpazir, Ahmad.

(٤٠) أردستاني، الحصن المتين، الثاني ص ٧٢.

(٤١) رسالة من المقيم، الهند ٢٣ سبتمبر ١٨٣٦.

إحدى المرات جمع ناصر الدين حيدر شاه مجموعة من السادة الأشراف ومعهم السيد محمد ناصر آبادي وذلك للاحتفال بذكرى وفاة أحد الأئمة، وقد أراد الملك من سيد محمد أن يقرأ الصلاة على روح الامام؟، وعندما وصلوا الى القصر طلب بعض السادة الأشراف من سيد محمد أن يُضحِك الحاكم، إلا أن ناصر آبادي أجاب بأنه لا يستطيع أن يشترك في مثل هذا، ولما جاء الملك بثياب الحداد ونادى للصلاة، وعندئذ أخبره سيد محمد بصلابة بأنه لا يستطيع أن يقرأ الصلاة على روح إمام من الأئمة سوى إمام مثله، وقد خلفت هذه الحادثة شيئاً من المرارة(٤٢).

وقد اتفق كل من المقيم البريطاني والمجتهد الكبير في انتقاد بعض تصرفات الملك مثل استعماله القوة لاغتصاب زوجات الآخرين، ومعظمهن من عائلات فقيرة، وكان المقيم قد علم بأن الملك قام علناً بإجبار زوج على تطليق زوجته وطرده بعيداً عن المدينة وأصر على الزواج من السيدة (التي كانت في ذلك الوقت حاملاً)، وذلك دون الانتظار حتى يتم الطلاق(٤٣).

وقد أمر ناصر الدين حيدر (سيد محمد) بتزويجه من تلك السيدة لكن المجتهد رفض ذلك لانه لم يثبت ان طلاقها قد تم من وليتزوجها زواجاً شرعياً، ثم رتب لها زوجها الأول وفقاً للشريعة(٤٤).

ثم فيما بعد قدم الملك (٥٠٠ ألف) روبية ليتنازل له عن روجته وليتزوجها زواجاً شرعياً، ثم رتب لها كي تسقط الجنين، وبعد فترة فسخ هذا الزواج المؤقت.

ولم يكن ناصر الدين حيدر يشعر بحاجته للعلماء كي يشرعوا له حكمه، وما لبث أن اتخذ خطوة نحو ادعاء السلطة الدينية لنفسه وذلك بادعائه المركز الذي طالب به العلماء الأصوليين وهو كونه نائب عن الإمام الغائب الاثنى عشر، وقد برر له أحد رجال بلاطه وهو أحد الهنود الذين اعتنقوا المذهب الشيعي بهذا وقال: «طالما ليس هناك مفر في أي عهد من أن يكون هناك صاحب زمان، فإن الملك على عرشه هو الجدير بأن يكون ممثلاً لهذا الشخص ذي القدسية»(٤٥).

وفي عام ١٨٣٠ بدأ بإصدار العملة التي نقش عليها: الملك ناصر الدين حيدر ظل الله وممثل المهدي أو نائب المهدي، وملك العملة بالفضة والذهب باسم الله(٤٦)، ولكن الحكام القاجاريين Qajar في ايران لم يتوسموا بمثل هذه الادعاءات بانهم نواب عن الإمام(٤٧).

وحاول الملك أن يجد رجال دين يحلون محل الأصوليين، وقد شهد عام ١٨٣٠ [illegible]

(٤٢) كشميري: نجوم، الأول ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٤٣) من رسالة للمقيم بتاريخ ٢٣ أيلول، ١٨٣٦.

(٤٤) كشميري، نجوم، الاول ص ٢٥٣.

(٤٥) سينك: سلطان التواريخ الورقة (١٧٥ أ ـ ب).

(٤٦) براون C.J. Brown: بحث ملوك أود، نشر في مجلة الجمعية الآسيوية للبنغال ٨(٢)(١٩١٢) ص ٢٤٩ ـ ٢٥٣.

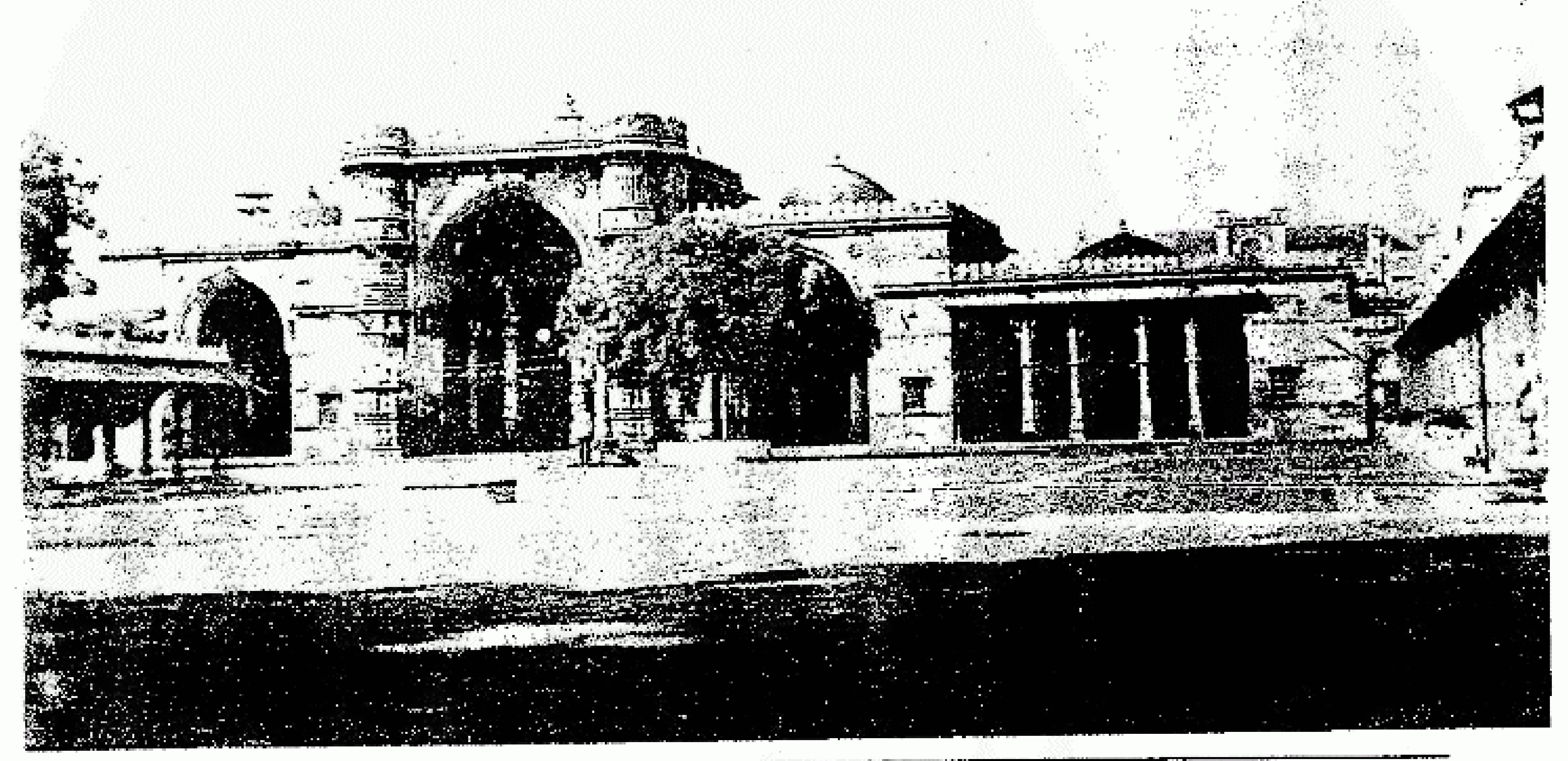
(٤٧) سعيد اميرارجموند: «The shiite Hierocracy and the stste in pre- modern Iran, 1785- 1890». Archives europeenes de sociologie 22(1981): 55-56

تلاه إحياءاً لتقريب المتصوفين من البلاط، ورافقته ظاهرة مشابهة في ايران، وكتب لو (Low) فقال: لقد دعى جلالة الملك مؤخراً بعض الفقراء إلى القصر ذات مساء، وارتدى ملابساً تشبه ملابسهم وبعد أن استمع لحكاياتهم، حمّلهم بالهدايا[٤٨].

ولما سألهم عما يفعل كي ينجب ولداً، قالوا له يجب أن تخلي سبيل عشرين أو ثلاثين سجيناً من السجن، ففعل ذلك مما افزع البريطانيين الذين الذين عملوا جاهدين للقبض على المتمردين من الفلاحين[٤٩].

خاتمة

حاول ناصر الدين حيدر أن يُخضع الأصوليين في أود لسلطته المطلقة كنائب عن الامام الثاني عشر لكنه فشل، وقد نبذ هذه الايديولوجية في السلطة الدينية كثير من أقرباء الملك في الأسرة المالكة، ولم يتبع أحد من خلفائه هذا، ولكن كان رجال الدين الأصوليين أيضاً قد ربّوا وهيأوا جماعة من العلماء المتمرسين في عقيدة الشيعة[٥٠]، وعلى المدى الطويل نجح العلماء في جعل السيادة للوظائف الدينية في المجتمع الشيعي، واستمروا في الاشتراك في حفلات التتويج وفي إقامة خطب وصلاة الجمعة باسم ملك أود، وعلى الرغم من ان العلماء خالفوا تصرفات حاكم أود في فترة الثلاثينات من القرن التاسع عشر فقد استمروا في أداء صلاة الجمعة باسمه، وفي بعض المجالات استمروا في دعم الملك ضد البريطانيين، وربما ظهر في فترة الأربعينات من هذا القرن زعماء دينيون جدد يتبعون سياسات دينية ويدفعون العلماء نحو مركز ثراء ونفوذ في شؤون أود.



(٤٨) Resident to sec: Gov. Gen., 21 Oct 1832, FDPC, 26 Nov.1832 nos.33- 37.

(٤٩) المصدر السابق.

(٥٠) انظر ويبر: الاقتصاد والمجتمع، الثاني ص ١١٦١.

القسم الثامن

الملكية الدينية والبنية الشيعية

Clericalist Monarchy and shi-c-i Institution Building

شهدت فترة الاربعينات من القرن التاسع عشر ذروة التأثير للعلماء وللثروة في أود فقد نبذت الحكومات فيها السياسات التي كانت غير دينية وذلك في عام ١٨٣٠ وما تلاه، وقد زاد هذا التأثير او النفوذ الشيعي في لاكنو وفايز اباد وفي المدن الصغرى التي سيطر عليها الشيعة مثل سيتابور وناصر اباد وكينتور.

بل ان نفوذ المجتهدين في اود امتدّ ايضاً الى مجتمعات اخرى غير شيعية في شمال وشرقي الهند الذي كان يحكمه البريطانيون، لكن معظم المجتمعات الريفية في اود ظلت بعيدة عن التغيرات التي حدثت في البلاط الشيعي في لكنو، وكان معظم العاملين في الفلاحة يقيمون في القرى الصغيرة وهم في عالم ريفي متدين يتركز حول شخصيات دينية مثل (رام) و (كريشنا)، اما الاسلام السنة، والتصوف فقد كان يؤثر في ثقافة المدن، وقد عانت اود الريفية من ايام صعبة وذلك في اواخر الثلاثينات واوائل الاربعينات من القرن التاسع عشر، بسبب النقص في القمح.

وكانت السياسات الشيعية تؤثر في حكومة اود في فترة الاربعينات من القرن التاسع عشر، تأثيرا كبيرا، خاصة على المجتمع في المدينة.

وكانت سياسة الرعاية الدينية هي التي جعلت من السهل على الشيعي الفقير ان يتلقى العون من حكومته، وذلك لتشجيع الاعتقاد بالمذهب الشيعي بين المحتاجين ولزيادة سلطة المجتهدين بين العامة، طالما ان فئة العلماء هذه هي التي توزع المساعدات.

وقد اسست الدولة جهازا قويا من اجل تدريب العلماء على هيئة حلقة شيعية، فبعد عشرين عاما من حكم غازي الدين حيدر اصبحت دولته مملكة شيعية مستقلة. وبدأ حكام أود ينظرون بشكل جدي الى استقلالهم عن المغول والسنة المغول.

وسوف نناقش في الفصل التالي هذه السياسات، وهنا نتساءل: ماهو المغزى البعيد لذي رمت اليه الرعاية الحكومية من تأسيس المؤسسات الشيعية في أود؟

تحويل الأموال الى العراق بواسطة العلماء

بعد وفاة ناصر الدين حيدر الفجائية قام البريطانيون بتنصيب محمد علي شاه (١٨٣٧ ـ

١٨٤٢) على العرش، وقد اهتم هذا الحاكم، اهتماما دقيقا بالاعمال العامة ذات الطابع الديني.

وبدأ ببناء مبنى جديد لمراسيم الحداد على الائمة، ومسجد جديد ايضا، وبهذا اوضح تكريسه للمذهب الشيعي وزاد الوظائف للعلماء، كما ان ثروة اود اتاحت تقديم مبالغ للمجتهدين في كل من النجف وكربلاء، ففي رسالة مؤرخة بعام ١٨٣٩ (١٢٥٥ هـ) اخبر رجال الدين في شمال الهند، العلماء في العراق، بأن ملك أود الجديد نظرا لحبه للمقامات المقدسة، ولكل من يسكن في جوارها، فهو يرغب في اصلاح القنال الآصفية في النجف التي سمع انها جافة، فأمر بارسال مبلغ (١٥٠) الف روبية للمدينتين بواسطة الممثل السياسي في بلاد العرب التي كان يحكمها الاتراك، فاخبر هذا الشخص العلماء بان يعلموا لكنو بوصول المال. وبأن ينفق على الهدف المطلوب[١]، وتبين السجلات البريطانية حدوث هذا أو ارسال المبلغ على دفعتين، وفي عام ١٨٤١ ارسل ملك أود مبلغ (٢٦) الف روبية الى كربلاء لاهداف دينية[٢]، وقد زاد هذا الشيء من نفوذ العلماء في اود وفي العالم الشيعي.

السلطة النامية للعلماء من الناحية السياسية

كان اكثر حكام أود جدية في تعامله مع الاصولية الشيعية هو أمجد علي شاه (١٨٤٢ - ١٨٤٧) الذي جاء الى العرش بعد وفاة ابيه، وقد ابدى اعجابه الكبير بالمجتهدين الى ان ينعم عليهم بزيادة في المهام والمسؤليات ذات الصبغة الحكومية فأدخلهم بشكل لم يسبق له مثيل في دولة أود.

وقد كان علماء أود يتقبلون الهبات المالية والعروض الوظيفية من الحكومة بفرح، على خلاف الصورة التي كانت لهؤلاء العلماء بأنهم يشعرون بالعداء تجاه الحكومة، وبهذا فقد شارك عدد كبير من المجتهدين الشيعة في حكومة اود، اما بالنسبة للملك الشاب فقد اتخذ اسلوبه في الحياة كملك هندي مسلم له عقيدة أورتدين شيعي، وكان له حريم يتألف من ٤ زوجات و ٤٠٠ من السرايا، لكنه تجنب الفجور والفضائح التي كان يرتكبها من سبقوه في القصور الملكية، وكان حريصا جداً على استعمال اموال الدولة حتى انه لم يكن يصلي في ثياب من اموال الحكومة، وكان يأخذ من والدته نفقة ليشتري بها ثيابه الخاصة[٣]، وقد كتب هذا الحاكم الطويل ذي الانف الكبير على النقود انه ظل الله على الارض[٤]، الا انه مع هذا

(١) سيد محمد عباس شوشتري، تحقيق: الظل الممدود، مخطوط في مكتبة راجا محمود اباد، لكنو، ص ٢٧٤ - ٢٧٩، وحول اثر العراق في هذه الاموال انظر ما كتبه ج. كول بعنوان «النقود الهندية والاماكن الشيعية المقدسة في العراق من ١٧٨٦ - ١٨٥٠»، مقال في مجلة دراسات الشرق اوسط ع ١٩٨٦.

(٢) رسائل من المقيم الى الحكومة الهندية منها بتاريخ ١٥ حزيران، ١٨٣٩ وغيرها.

(٣) سيد عباس اردستاني: الحصن المتين في أحوال الوزراء والسلاطين، مجلدان، مخطوط الارقام، ٢٣٥b - ٢٣٥a، الارشيف القومي الهندي، نيودلهي، الثاني ص ١٤٤ - ١٤٣، وكتاب «ليوبولدفان اورلخ: رحلات في الهند بما فيها السند والبنجاب، ترجمة هـ. إ. لويد، مجلدان (لندن، لونجمان، ١٨٤٥، الثاني ص ١٠٨.

(٤) مقال بقلم س. ج. براون: اموال ملوك أود (في مجلة الجمعية الاسيوية للبنغال ٨، رقم ٦ (١٩١٢)، ص ٢٥٣ - ٢٥٤).

لم يتجنب الحياة التي كان يعيشها كأحدالسادة الاشراف في أود فكان يقضي الوقت في الاستماع الى الموسيقى والغناء ويقضي قسما كبيرا من وقته ايضا مع الحريم وكانت الابنية في لكنو تطلى باللون الابيض او بالالوان وبمناظر تمثل الحياة الهندية[٥].

وقد ابدى أمجد علي شاه مراعاة كبيرة للمجتهدين الاصوليين، فكان هذا دليلا على الطريق التي يمكن بها لرجل الدين ان يؤثر على افراد من الطبقة الحاكمة، واقترح اصدار ختم لسيد محمد ناصر ابادي الذي دعاه بسلطان العلماء، وهذا يبين انه موضع ايمان أمجد علي شاه، الا ان سيد محمد شعر بأن الملك قد خجل وطلب تغيير العبارة الى «موضع الجود» وكان الملك قد اعتاد ان يزور منزل المجتهد تواضعا.

ولما قوي نفوذ رجال الدين امر الملك بأن تغلق الحانات الكثيرة ودكاكين الحشيش في لكنو وامر بإبادة كل المنتجات المماثلة، كما انه امر بإغلاق كل اماكن اللهو والفجور[٦]، وقد عين أمجد علي شاه محمد ناصر أبادي كرئيس لقسم الضرائب، واعلن عن الغاء الربح من المشروبات الممنوعة، وقد حاول الكثيرون الانتقام من الاصوليين بسبب تدخلهم في حياتهم الخاصة ولهوهم، وكتب احد الماجنين فقال: إن من لايشرب الخمر ايها المؤمنون، سيدخل النار[٧].

كما ان الهجوم على مخازن المخدرات والحانات كان له ايضا دافع اقتصادي، فقد كان سيد محمد مستاءاً من سيطرة الهندوس على تجارة أود، ورغب في البدء بإدارة اسلامية للمخازن الهندية[٨].

دفع الحكومة للصدقات

كان الشيعة في أود يدفعون الحقوق الشرعية للفقراء، بل انه حتى في عهد شجاع الدولة، ففي فايز أباد كان الطبيب الاخباري مؤلج خان Mualij Khan يوزع الهدايا والهبات بواسطة رعايا الاغنياء على الفقراء، وفي فترة العشرينات من القرن التاسع عشر لاحظت «المسز علي» ان الاثرياء المسلمين كانوا كثيرا ما يدفعون ١/ ٤ دخلهم السنوي الى الفقراء كزكاة و ١/ ١٠ الى السادة الفقراء كخمس، وذكرت ايضا أن السادة لم يكونوا يتقبلون اي نوع من الصدقات الاخرى، مثل تلك التي يوزعها البعض عندما يكونوا قد نجوا من مرض مميت[٩].

وفي فترة الثلاثينات بدأ المجتهدون في أود ببذل مجهود كبير لزيادة الهبات الرسمية من نوع الصدقات، ولما كان المجتهدون هم المسؤولين عن هذا المال طبقا للعقيدة

(٥) اردبستاني: الحصن المتين، الثاني ص ١٣٩، وكتاب أورلخ: رحلات في الهند، الثاني ص ٥٩٠.

(٦) محمد مهدي لكنوي كشميري: نجوم السما: تكملة، مجلدان (قم: مكتبة بصيرتي، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ الاول ص ٢٣٦، ٢٦٣ - ٢٦٤، ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٧) Ramasahaya Tamanna: افضل التواريخ (لكنو: مطبعة نعماني، ١٨٧٩) ص ٩٣.

(٨) نفس المرجع.

(٩) مسز مير حسن علي: ملاحظات عن مسلمي الهند (لندن: مط. جامعة أوكسفورد، ١٩١٧) ص ٣٥.

الاصولية، باعتبارهم ممثلين للامام الغائب، كما ان اي زيارة في هذه الهبات سوف تقوي من مركزهم ومصادرهم المالية، ولقد كتب سيد محمد ناصر ابادي حول هذا الموضوع لمحمد علي خان ناصر الدولة الذي اصبح فيما بعد محمد علي شاه، ومن المحتمل ايضا ان يكون سيد محمد قد علم بعزم البريطانيين على خلع ناصر الدين حيدر، وتنصيب محمد علي بدلا منه، وذلك في الفترة التي ألف فيها كتابه.

وكان هذا الخبر قد تسرب على يد بعض السياسيين مثل سبحان علي خان[١٠]، (الا أن وفاة ناصر الدين حيدر المفاجئة في عام ١٨٣٧ قد جعلت الخطوة غير ضرورية).

وقال السيد ناصر أبادي إن المجتهدين كانوا يديرون مسألة الضرائب في عهد الصفويين، وكان كل مستلمي الضرائب من الشيعة وكانت كل تقدمة يقدمها السادة تذهب الى سادة آخرين[١١].

والصدقة الثانية هي (الخمس) وكانت في الاصل تشكل جزءاً من غنائم الحرب بالنسبة للدولة الاسلامية الاولى، وكانت هذه الصدقة في الفقه الحنفي السني وهو الغالب في الهند، تفيد الفقراء فقط لا السادة الذين ينتسبون الى النبي (ص).

ثم فيما بعد اخذ الاصوليون يعتقدون ان الصدقات يجب ان تقسم الى قسمين رئيسيين، أحدهما للمجتهدين (وهي سهم الامام)، والاخرى للمحتاجين من السادة[١٢].

وكانت (الخمس) ضريبة مما امتلكه المؤمنون عن طريق الغنيمة، ومن الثروة المخبأة، ومن الارباح التي تجنى عن طريق التجارة والزراعة والحرف او المهن، ومن الاحجار الثمينة التي تأتي من البحر، او من الاموال التي تاتي نتيجة بيع الارض من قبل شخص شيعي الى شخص يهودي او مسيحي او زرادشتي، ويجب أن يُسلم المبلغ بكامله الى الفقيه الاعلى الذي يقسم المبلغ الى ستة اقسام بناء على الآية ٨: ٤١ من القرآن الكريم.

اما المجتهد فكان يقبل ثلاثة اقسام أحدها لوجه الله تعالى والآخر للنبي صلى الله عليه واله وسلم، والثالث للامام، وكان يوزع الاقسام الثلاثة الاخرى على الفقراء والايتام وعابري السبيل من السادة مع استثناء الشيعة الآخرين[١٣].

وقد التزم مجتهدو لكنو بهذا الى درجة انهم منعوا إستعمال المبلغ الممنوح للامام من اجل تمويل او الانفاق على جلسات العزاء في محرم طالما ان اشخاصا من غير السادة، كما أن قواعد وقوانين الخمس شجعت على المركزية، أما الشيعة من السادة الفقراء ولكن الجهلة الذين لم يكونوا يعرفون قواعد الصلاة اليومية فكانوا غير

(١٠) اردبستاني: الحصن المتين، الثاني ص ١٧٧.

(١١) سيد محمد ناصر ابادي، فوائد ناصرية، في مشرف علي لكنوي (محقق)، بياض المسائل، ٣ مجلدات (لكنو، ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ - ١٨٣٦م)، الجزء (٢) ص ٤، انظر نورمان خلدر «الزكاة لدى الشريعة الشيعية الامامية منذ القرن العاشر وحتى القرن السادس عشر»(مجلة معهد الدراسات الشرقية والافريقية ٤٤ (١٩٨١). ص ٤٦٨ - ٤٨٠.

(١٢) عبد العزيز ساديشينا Abdulaziz Sachedina، «الخمس في النظام الفقهي الامامي»، مجلة الدراسات الشرق اوسطية ع ٣٩ (١٩٨٠): ص ٢٧٥ - ٢٨٩.

(١٣) سيد محمد ناصر ابادي، فوائد ناصرية، الجزء (٢) ص ٦ - ٧.

مؤهلين[١٤].

وكان أمجد علي شاه من الملوك الذين توسعوا جداً في جعل اموال الصدقات بين أيدي المجتهدين، واتخذ خطوة في جعل حكومة أود تدفع الزكاة للفقراء من دخلها السنوي، حتى وصل المبلغ المخصص اجمالا الى ١,٧ مليون روبية وذلك في فترة الخمس سنوات من حكمه، وقد اوكل الملك الى كل من سيد محمد وحسين ناصر أبادي ضريبة الزكاة للفقراء والخمس[١٥].

الا ان كثيرين من غير المستحقين تلقوا أموالا[١٦]، كما ذكر أحد الكتاب، وبعد ذلك أسس المجتهدون سجلا بأسماء أولئك الشيعيين المستحقين بالفعل فخصصوا لكل واحد منهم نفقة شهرية وخلال هذه الفترة كان مئات من السنة وآلاف من الهندوس قد اعتنقوا الشيعية الامامية، ومعظمهم من أجل الحصول على الصدقات، ومنحت لهؤلاء تسهيلات خاصة[١٧].

وفي فترة الاربعينات من القرن التاسع عشر اصبح كثير من رجال الدين الشيعة من الاثرياء بسبب حيازتهم وتوزيعهم للصدقات الاسلامية، وممن استفاد من بين هؤلاء سيد علي نقي، فأصبح لديه بيوت فخمة وأثاث فخم أنيق، وقد بنى ايضا امام بارة وذلك لجلسات الحداد، وكان يقابل باحترام اينما ذهب، حتى انه عندما ذهب الى رامبور Rampur لأداء صلوات الجمعة مع الشيعة، صلى وراءه النواب السني[١٨].

وكان سيد علي نقي ينتخب اشخاصا موثوق بهم لكي يقوموا بتوزيع الصدقات، وكان مولوي سيد كمال الدين فرهاني (زميندار)، وقد فضل العيش في لكنو، الا أنه تعرض لأزمات مالية بسبب عائلته الكبيرة، وعينه سيد حسين ناصر أبادي لكي يوزع الصدقة، وفي عام ١٨٤٥ ترك البلاد ليصبح مشرفا على وقف ديني في كلكته كان قد أقامه أحد أقربائه[١٩].

وفي مجتمع متعدد مثل أود حيث يشكل الشيعة اقلية فيها، فإن توفير مثل هذه المبالغ الكبيرة لهذه الجماعة يثير كثيرا من الحسد، بل إن بعض الشيعة أنفسهم مثل المؤرخ كمال الدين حيدر انتقدوا هذا النظام، وانتقدوا وضع مبالغ كبيرة في ايدي المجتهدين لكي يوزعوها بشكل ظاهري على المحتاجين[٢٠]، كما ان الدفع الحكومي لضريبة الفقراء ظهر كقضية مشهورة في عهد واحد علي شاه (١٨٤٧ ـ ١٨٥٦) وذلك خلال اقامة الكولونيل سليمان

---

(١٤) سيد حسين ناصر ابادي في مشرف علي لكنوي (محقق): بياض المسائل، الثاني ص ١٥.

(١٥) ارديستاني، الحصن المتين ج (٢) ص ١٤٤، كتاب لالجي Lalji «سلطان الحكايات» مخطوط رقم ٣٩٠٢ الورقة أ٨٥، المكتب الهندي، وكتاب سيد محمد امير علي خان، وزير نامة (كانبور: مط: نظامي ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦م)، ص ٨٥ ـ ٨٦.

(١٦) كشميري، نجوم، الاول، ص ٢٦٧.

(١٧) نفس المرجع، الاول ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(١٨) سيد علي اكبر موسوي دهلوي، سبيكة الذهب ومعيار الادب (لكنو: مط: اثنا عشرية، (١٣٠٩ هـ / ١٨٩١م)، ص ١٠٦ ـ ١٠٧، وكتاب م.م. كشميري: نجوم، الثاني ص ١٤٣ ـ ١٤٥، وسيد محمد حسين نوكانوي: تذكرة بي بها في تاريخ العلما (دلهي: مط جيد برقي، دون تاريخ)، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(١٩) نوكانوي، تذكرة، ص ٢٩٧ ـ ٣٠٠.

(٢٠) كمال الدين حيدر حسين مشهدي، سانحات سلاطين أود (عليكرة ١٩٧١). ص ٥٢.

Sleeman .

وقد أوجد (سليمان) احصاءاً في هذا النظام مشيرا الى انه لم يكن باستطاعة اي سني ان يتقاسم الصدقات[٢١].

وأشار ايضا الى ان الرواتب الحكومية كانت متأخرة حتى بلغت خمسة ملايين روبية، وان الحكومة كان يجب ان تدفع ضريبة الفقراء عندما تكون خالية من الديون، وذكر ايضا ان المجتهد الاول والوزير والمفضلون لدى البلاط كان لهم دعم مالي كبير، الا أن واجد علي شاه، اما امتثالا للضغط البريطاني او لاسباب خاصة لديه توقف عن دفع ضريبة الفقراء، بل انه شوه العملة لئلا يضطر الى منحها لهم، ولم يكن واجد علي شاه يظهر احتراماً كبيرا للعلماء[٢٢].

وقد أمطر أمجد علي شاه رجال الدين بالعلاوات، فقدم لكل من سيد محمد وحسين ناصر أبادي ٢٠٠ روبية، في الشهر باعتبارهم أئمة الصلاة في العاصمة، وقدم مرتبات اخرى الى افراد آخرين من جماعة ناصر أبادي، وبالاضافة الى ذلك فإن الافراد الكبار من اسرة ناصر أبادي يتلقون مبلغ ١٠٠ روبية شهريا، ولما وصل واجد علي شاه الى السلطة خفض الميزانية المخصصة للسادة الى النصف، ومع ذلك فقد أرسلت خزينته مبلغ ٢١٨٠ روبية في الشهر الى سيد محمد ناصر أبادي[٢٣].

وقد أدت الضريبة المخصصة للفقراء وضريبة الخمس التي سيطر عليها العلماء قرابة عقد من الزمان الى زيادة ثروتهم وقوتهم الى حدود كبيرة جدا، اذ كان لهم الحق الشرعي في نصف حقوق الخمس، ولهم السلطة في تقرير الجهة التي يجب ان يرسل اليها النصف الآخر، وقد استخدموا وسائل عديدة ليحصلوا ايضا على مخصصات الزكاة، وادى هذا الى وجود صلة وثيقة بينهم وبين الدولة، ومن هنا اصبحوا يحتلون مناصب كبيرة، كما انهمْ مثل السادة الاشراف في اود، أصبحوا أصحاباً للدخل بواسطة الاستثمار في شركة الهند الشرقية.

تمويل المدرسة الشيعية

في أوائل القرن التاسع عشر كانت حلقات التعليم الاصولية في البيوت وقد خرجت عددا كافيا من رجال الدين الاصوليين لمواجهة طبقة السادة الاشراف، وكان على رجال الدين الشيعة ان يستفيدوا من الفرص المتاحة لهم للتأثير في المجتمع، وذلك بحيازتهم للثروة الكبيرة ولعدد كبير من المناصب الحكومية، وبكلمة موجزة فقد اصبحوا بحاجة لحوزات او معاهد دينية رسمية.

بعد أن تولىٰ أمجد علي شاه ووزيره الاول امين الدولة مناصبهم بعام تقريبا قرر المجتهدون الزعماء أمثال السادة محمد وحسن ناصر أبادي ان تكون لهم حكومة يستطيعون

(٢١) و. هـ. سليمان، رحلة في مملكة أود في ١٨٤٩ - ١٨٥٠، مجلدان (لندن، ١٨٥٨) ج (١) ص ٣٠٩.

(٢٢) نفس المرجع، الاول ص ٣١١، وكتاب أرديستاني، «الحصن المتين»، الثاني ص ١٣٣، وكتاب سيد محمد عباس شوشتري، المعادن الذهبية مخطوط في الادب العربي ٤٤٤٦، مكتبة رضا، رامبور ص ٥٥.

(٢٣) ارشيف الحكومة الهندية ٢٤ سبتمبر ١٨٤٩ (FDFC) و١٧ نوفمبر ١٨٤٩ رقم ٢٢٥.

المجتهدون الزعماء أمثال السادة محمد وحسن ناصر أبادي ان تكون لهم حكومة يستطيعون العمل معها عن قرب، واقترحوا أن تقدم الحكومة الجديدة إعانة مالية من اجل اقامة مدرسة شيعية رسمية، وقد استجابت دوائرالحكومة بحماس وكرم، ووضع برنامج في ايار عام ١٨٤٣ وذلك في الوقت الذي خصص الملك مبلغ ٣١٢٠٠ روبية في السنة للمدرسة وفيها اربعة عشر مُدرس اساسي وسبع مدرسين متوسطين وخمسة من المستشارين وثلاثة من الاداريين[٢٤].

وقد أهمل أمجد علي شاه ان يهب للمدرسة او يخصص لها اراضي لتأخذ من دخلها، وكان بدلا من ذلك يدفع من الخزينة الملكية كل سنة بأمر شخصي، وكان يزور المبنى والاراضي التابعى له عند مقبرة نواب سادات علي خان ويوزع المآكل السخية، كذلك فقد مول أيضا مدرسة اصغر في فايز أباد فترة من الوقت، وكان أمجد علي شاه يعطي دعماً مالياً دائماً ورسمياً للتعليم الديني واتاح بذلك للصالونات الكثيرة ان تندمج في مدرسة او مؤسسة واحدة[٢٥].

وقد شُغل منصب اداري كبير في مدرسة لكنو من قبل سيد محمد تقي ناصر ابادي (١٨١٨ ـ ١٨٧٢) وهو ابن سيد حسين، وكان ظهوره في عمر الخامسة والعشرين علامة على نهوض الجيل الثالث من العلماء الاصوليين وذلك في فترة الاربعينات من القرن التاسع عشر، كما أن ترأسه للمدرسة يمثل تصميم الاسرة الناصر آبادية على الاحتفاظ بالمناصب الدينية، ولم يكن قد تلقى عن والده وعمه الشهادات المؤهلة له ليروي الأحاديث المنسوبة الى الائمة حتى عام ١٨٤٥ (١٢٦٢ هـ)، وقد اصبح مديرا بعد ذلك بسنتين.

كذلك فقد حاز شهادة فخرية من الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر في العراق الذي وضع بين يديه علماء أود، مئات الالوف من الروبيات، وبالاضافة الى كونه مديرا ومدرسا اساسيا في المدرسة الملكية فقد ساعد والده في امانة الصلاة في جامع تحسين علي، وقد كان يكتب بالعربية وربما شعر بالحاجة الى توفير كتب دراسية للجيل الجديد الذي يتألف من مائتي طالب في المعهد[٢٦].

وقد استخدم سلطاته المطلقة في المدرسة فكان له صلاحية التعيين والنقل والتغيير في

---

(٢٤) برنامج مقترح للكلية الملكية، ١٣ ربيع الثاني ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣)، ترجمة FDFC, 31 Oct 1856 n0.111 .

(٢٥) كشميري، نجوم، الاول ص ٢٦٨، وكتاب نوكانوي، تذكرة، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧، والمدرس الذي ذكر هو سيد كرم حسين (توفي ١٨٤٥م) من زانجيبور، تلميذ سيد محمد Deoghatavi .

(٢٦) كشميري، نجوم، الاول ص ٢٦٨، نوكانوي، تذكرة ص ٩٨ ـ ٩٩، سيد محمد تقي درس مع والده سيد حسين وعمه سيد محمد ومع سيد علي بنكبوري وسيد احمد علي محمد ابادي، وسيد محمد عباس شوشتري، انظر ايضا سيد محمد ناصر ابادي، الاجازة التي كتبها... (... محمد تقي (لكنو: مط: محمدية، دون تاريخ)، وكتاب محمد حسن النجفي، الاجازة التي كتبها... للفاضل... محمد تقي (لكنو: مط. عبدالله، دون تاريخ).

المرتبات كما يحلو له[٢٧]، وكان بالاضافة الى ما يتلقاه من مرتب سنوي هو ١٨٠٠ روبية، وحصته من الدخل الذي يأتي من القرى التابعة للاسرة، كان ايضا يأخذ معاشا منذ عام ١٨٤٨ في كل شهر يبلغ ١٠٠ روبية بالاضافة الى مبلغ ٥٤٠ في السنة من تأجير دكاكين حول مسجد تحسين علي[٢٨].

وكان مساعد المدير عندما انشئت المدرسة لاول مرة هو سيد احمد علي محمد ابادي (توفي ١٨٧٨)، وكان (زامندار من ملاكي الاراضي المتوسطين وزعيم لبلدة صغيرة في منطقة Agmgarh التي تحكمها بريطانيا الى الجنوب من اود، وقد اصبح له مكانة جيدة لدى الحكام عندما اصبح معلما لابناء الوزير الاول لفترة من الزمن، وكان هذا الوزير يدعى إمداد حسين خان أمين الدولة، وقد هيأت مكانة محمد أبادي وثروته ومعرفته الواسعة بالاضافة الى نفوذه في الطبقة الحاكمة في لكنو، كل هذا هيأ له الجو لكي يزوج ابنه لابنة وزير آخر هو احمد علي خان منور الدولة[٢٩]، وقد كان المدير الثالث للمدرسة في عام ١٨٤٣، وهو محمد ابن علي فايز أبادي تلميذا للمجتهد الاول السيد مجمد ناصر أبادي الذي كان هو نفسه واعظا، وكان يقدم الخطبة في صلوات الجمعة ويستمدها من كلام الامام علي[٣٠].

وبالرجوع الى معاجم التراجم يمكننا التعرف على خمسة من المدرسين، ومنهم سيد محمد سادات امروها (توفي ١٨٤٩)، وهو امام للصلاة درس على السيد حسين ناصر أبادي [٣١]، وهناك مدرس اخر بارزهو السيد محمد عباس الشوشتري (١٨٠٩ - ١٨٨٨) وقد كان نائبا او مساعدا للسيد حسين ناصر ابادي في مراسلاته بالعربية في العراق، وقد درس العلوم الدينية الشيعية في سن السابعة عشرة وذلك على يد سيد حسين ناصر ابادي الذي شجعه ليصبح اماما للصلاة وواعظا، وقد درس اولاد التاجر الكبير ميرزا محمد علي دهلوي ليكسب عيشه، وأخذ شهادة رواية الاحاديث الشيعية وذلك في عام ١٨٤١، حاول ان يدرس الطب لفترة ثم تحول عن ذلك[٣٢].

وأخيرا، في ربيع عام ١٨٤٢ حصل الشوشتري على وظيفة لدى محمد علي شاه، ثم لم يلبث ان فقد هذه الوظيفة.

وخضعت المدرسة لتغيرات فترة من الزمن ففي عام ١٨٤٦ قامت الحكومة بتهيئة تسهيلات اكبر لها في الامام بارة الكبيرة في عهد آصف الدولة، في الجزء الكبير من البلدة.

وظل عدد الطلاب حوالي مائتي طالب، وكان كثير من المدرسين الذين يدرسون من

(٢٧) ارشيف بتاريخ ٣١ اكتوبر ١٨٥٦، رقم ١١٣.

(٢٨) ارشيف حكومة أود وأرشيف حكومة الهند في ٥ جون ١٨٥٧ (FDFC) رقم ٢٠.

(٢٩) نوكانوي، تذكرة، ص ١٣ - ١٥، ٢٤٦ - ٢٤٧، وكتاب عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر ٨ مجلدات (حيدر أباد، ١٩٥٩) ج (٧) ص ٤٥.

(٣٠) سيد اعجاز حسين كنتوري، كشف الحجب والاستار عن الكتب والاسفار محمد هدايت حسين (كلكتة): الجمعية الاسيوية، ١٣٣٠ هـ/ ١٩١٢ م)، ص ٤٥، ٣٠١، ٣١٢.

(٣١) نوكانوي، تذكرة، ص ١٧٢.

(٣٢) شوشتري، «المعادن الذهبية»، ص ١٣٨، وكشميري، نجوم، الثاني ص ٣٣ - ٣٣، وكتاب محمد هادي عزيز لكنوي، تجليات: تاريخي عباس (لكنو: مط. نظامي، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥).

ملاك الاراضي الصغار او المتوسطين واصبح بعض المدرسين ذوي مناصب كبيرة في الحكومة ومقربين من الملك كما حصل لاحدهم ويدعى ميرزا محمد علي «قيم الدين» (توفي ١٨٧٢) قد اصبح بعد ان عمل مدرسا فترة من الوقت، مستشارا في القضاء لدى بلاط واجد علي[٣٣].

وقد عين سيد حسين في عام ١٨٤٨ ابنه سيد علي نقي ناصر أبادي وكان عمره في ذلك الوقت سبعة وعشرين عاما نائب المدير بمرتب مقداره ٦٠٠ روبية في السنة، اما سيد بنده حسين ناصر ابادي (توفي عام ١٨٧٥) وهو ابن المجتهد الكبير سيد محمد، فقد اصبح مدرسا كبيرا في عام ١٨٥٢ بمرتب قدره ٤٨٠ روبية في السنة، أمام ابن المرحوم المفتي سيد محمد قلي كينتوري، وهو الابن الاكبر له ويدعى سيد حامد حسين فقد عين مدرسا وهو لايزال في الثانية والعشرين من عمره، وفي عام ١٨٥٥ اصبح ابن عمه سيد غلام حسين كنتوري Daroghak بمرتب ٣٠٠ روبية في السنة[٣٤].

وقد اجتذبت المدرسة ايضا تلاميذ يدرسون الادب من الشيعة من مدن شمالي الهند، وقد حمل الشيعة الذين درسوا في هذه المدرسة أفكارا اصولية شديدة الى مدنهم، وقد كان سيد محرم علي نوكانوي (توفي ١٨٨٩) ممن درسوا في هذه المدرسة، وكان من مدينة مراد أباد، وقد ترك بيته وهو فتى دون أن يخبر أحداً وتوجه الى لكنو ليدرس في هذه المدرسة، وقد علم أولئك الذين اتوا بعده.

فقد كان اول عالم شيعي من نوكاوا Nouganah تعلم في لكنو، وقد اقام علاقات مباشرة مع القيم الاصولية في العراق وذلك بزيارته للاماكن المقدسة، وقد ساهمت المدرسة المقامة في لكنو في الربط بين الجماعات الشيعية المتفرقة ضمن شبكة واحدة[٣٥].

وكانت الكتب التي تدرس تتضمن ايضا كتابا قديما يعود الى الفترة الصفوية وهو حول مبادىء احكام الشريعة حسب الطريقة الاصولية، وكتاب كبير في ما وراء الطبيعة باللغة العربية، وشرح ملاّ صدرا Mulla Sadra على موسوعة قديمة في الفلسفة والعلوم ، وكتاب من تأليف سيد حسين ناصر ابادي في الفقه، بالاضافة الى تفسير اصولي للفقه يعود الى أواخر القرن الثامن عشر، مطبوع في كربلاء[٣٦].

وقد كان ابناء السادة الاشراف في كثير من الاحيان ينتسبون الى المدرسة لفترة قبل التوجه الى اخذ وظائفهم الادارية، فميرزا محمد رضا (بارق)Barq، وهو طالب في المدرسة،

---

(٣٣) نوكانوي، تذكرة، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٤، وكشميري، نجوم، الاول ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٣٤) مشهدي، سوانح، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢، ومن اجل بنده حسين، انظر نوكانوي تذكرة، ص ٨٥ ـ ٨٦، ومن اجل سيد حامد حسين انظر م . م كشميري، نجوم، الثاني ص ٢٥ ـ ٣٣، وقد تميز فيما بعد بكتابه «عبقات الأنوار» اما من اتوا بعده فهم من علماء الشيعة الهامين، ومن أجل غلام حسين، انظر سيد غلام حسين كينتوري، حياتي (لاهور: مط . خادم التعاليم، دون تاريخ)، ص ٥ ـ ١٥.

(٣٥) نوكانوي، تذكرة، ص (٣٤٧ ـ ٢٤٩) (٣٥٥ ـ ٣٥٦)، وكشميري، نجوم، الاول ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩، والثاني ص ١٩٨.

(٣٦) الكتب الذي ذكرت في كتاب حياتي لكينتوري، ص ٥ ـ ١٥ هي: معالم الاصول، الشمس البازغة، شرح هداية الحكمة، وكتاب ناصر ابادي «مناهج التدقيق»، وسيد علي طباطبائي شرح كبير.

استلم فيما بعد وظيفة صراف للرواتب، اما السيد ميرزا رضا خان علي جاه بهادر وهو من السادة الاشراف، فقد درس العلوم الدينية في مدرسة لكنو، ثم درس في كربلاء، وقد استلم هو وشقيقه الزعامة الدينية عندما عادا الى أود[٣٧].

وهكذا أتاحت المدرسة التي تأسست في الاربعينات من القرن التاسع عشر الفرصة لوجود عدد كبير من العلماء المتمرسين بالعلوم الدينية والذين ملأوا الوظائف بسرعة لدى الحكومة.

وقد مروا خلال ذلك بسنوات من الدراسة للغة العربية والعلوم العقلية، والمبادىء الاصولية لاحكام الشريعة.

تأسيس المحاكم الشيعية في أود

كان العلماء الاصوليون رغم كل مالهم من مراكز وثروة يفتقرون الى السيطرة الرسمية على القضاء في اود، وكان هناك تأثير مغولي في أود حتى عندما اعلن النيشابوريين انفسهم ملوكا ظلت ادارة اود تسير على خطى مغولية، وبقي القضاء في ايدي السنة الحنفيين، وكما بينا قبل ذلك فإن سادات علي خان في العقد الاول من القرن التاسع عشر اقترح أن يكون هناك قضاء شيعي، الا ان العلماء الاصوليين رفضوا ذلك.

وقد شغلت عائلة فرنجي محلي معظم الوظائف القضائية، وكان في لكنو وفايز أباد محاكم مدنية جنائية واهلية (ديوان عدالت)، كما ان معظم الدوائر الحكومية كانت تستخدم مستشارين قضائيين، ففي فايز أباد ترأس حافظ الله فرنجي محلي المحاكم الاهلية والجنائية وكان احد اقربائه ويدعى نعمة الله هو المفتي، وفي لكنو خلف محمد يوسف فرنجي محلي (توفي ١٨٧٠) والده كمفتي في المحكمة الاهلية والجنائية بمرتب قدره ٢٠٠ روبية في الشهر، وظل في منصبه حتى عزل واجد علي شا، وكان هناك بعض السنة من خارج لكنو ممن شغلوابعض المناصب القضائية، وكان المفتي سعد الله مراد أبادي (١٨٠٤ ـ ١٨٧٧) قد درس في رامبور ودلهي، ولما وصل الى لكنو في عام ١٨٢٧ تابع الدراسة في فرنجي محل، واخذ يقوم بالتدريس في المدرسة الملكية ثم اصبح مفتي في لكنو[٣٨].

ولما كان علماء الشيعة قد اخذوا يحوزون الثروة والقوة والجاه في الاربعينات من القرن التاسع عشر فقد اخذوا يتجهون نحو السيطرة على النظام الفقهي الاسلامي، وكان اول من اتخذ هذه الخطوة هو المفتي السيد محمد قلي كينتوري الذي عاد الى لكنو بعد ان كان يشغل منصبا في المحكمة البريطانية في ميروت Meerut في عام ١٨٤١.

والف كتابا تحدث فيه عن الموضوع وطالب الملك بالحاح بأن يؤسس نظاما شيعيا للشريعة. ونشر الكتاب عام ١٨٤٣، وكتب اهداء فيه الى امجد علي شاه ووصفه بالملك

(٣٧) اردیستاني، الحصن المتين، ج ٢ ص ١٤٥، وكشميري، نجوم، الاول ص ١٤٨ ـ ١٥٤، وكتاب نوكانوي، تذكرة، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٣٨) من اجل حفيظ الله، انظر رحمن علي، تذكرة علماء الهند (لكنو، ١٩١٤) ص ٥١، ٢٤٣، وكتاب عبد الباري فرنجي محلي، آثار الاول من علماء فرنجي محل (لكنو، ١٣٢١ هـ/١٩٠٣م، ص ١٣، ٣١.

العادل. ويطلب في الكتاب تشجيع العلماء الشيعة واكرامهم، والح على ناحية معينة، وهي ان يمنع غير الشيعة من الوصول الى منصب القاضي في المحكمة، ونصح الملك بألا يُعيّن في مثل هذا المنصب الا اشخاصا من الشيعة الامامية، اوضح الفرق مابين القاضي (وهو الذي يخصم بين المتنازعين) وبين المفتي (الذي يعطي أحكاماً وفتاوى متصلة بالشرع)، واعاد الحاحه على تعيين المجتهدين الاكفاء في كلا المنصبين(٣٩).

وهكذا بذل كينتوري Kinturi جهده ليستبعد الاشخاص غير الدينيين والاخباريين من المناصب القضائية وكذلك السنة، ومع هذا فقد كان عليه ان يجيب على اتهامات اولئك الشيعة الهنود الذين ألحوا على ان يتولى الاجتهاد فقط العلماء في ايران والبلاد العربية، نظراً لعدم وجود مجتهدين في الهند، وقد اصدر احكاما تتفق مع الشيعة الامامية(٤٠).

اما عوام الشيعة فقد ظلوا فترة طويلة يخضعون لاحكام زعمائهم من المجتهدين للفصل في منازعاتهم(٤١)، وقد نظم أمجد علي شاه نظاما غير رسمي وذلك في سبيل تأسيس نظم محاكم شيعية، فعين سيد محمد حسين ناصر ابادي وذلك من اجل ترأس محكمة تنظر في كل شئون المحاكم الاسلامية الشرعية وقد عين سيد محمد ابنه الاكبر ويدعى سيد محمد باقر منصف الدولة (توفي ١٨٥٩) قاضيا اول للمحكمة المدنية والجنائية في لكنو (ديوان العدالة)، واحتفظ بالمستشارين القضائيين الفرنجي محليين في منصب فرعي، وكان سيد محمد باقر يأخذ مبلغ ٥٠٠ روبية في الشهر كراتب رسمي، الا أن الاستقصاءات البريطانية تضمنت ذكر ان صاحب هذا المنصب يأخذ اكثر من ٥٠٠ روبية من مصادر كثيرة(٤٢).

وابتكرت الحكومة نظاما جديداً كليا للمحاكم الاسلامية في المقاطعات يدعىٰ فوج داري عدالتFawj dari adalat، وعينت مستشارين قضائيين من الشيعة الاثنى عشرية، واحد لكل ضاحية من أود ويكون ملحقا بمكتب حاكم الضاحية وجامع الدخل، وقد ترأس سيد محمد باقر هذا الفرع القضائي الجديد، اما شقيقه الاصغر ويدعى سيد مرتضى (توفي ١٨٥٩) فقد ترأس محكمة فرعية «صدر الصدور» Sadr as sudur التي كانت تعالج قضايا على المستوى المحلي، اما المفتي الاول أو المستشار القضائي (صدر افتاء)، وهو مفتي على كل المحاكم في المقاطعات فكان يدعى سيد هادي ناصر ابادي (١٨١٣ ـ ١٨٥٨) وهو ابن اخ سيد محمد المجتهد الاول(٤٣).

وكما هو متوقع فقد هيأ سيد محمد المناصب القضائية التي يرغب فيها عدد اقل، ولكن القوية في المقاطعات لا لأفراد اسرة ناصر ابادي، ولكن لتلاميذهم الصغار ومعظمهم من خارج لكنو، وكان من بينهم رجلين من رجال الدين من مقاطعة يحكمها البريطانيون في

(٣٩) سيد محمد قلي كينتوري، احكام عدالت علوية (لكنو: مط. سلطاني، ١٢٥٩ هـ/ ١٨٤٣م، ص ٣، ٣٤، ٥٨ ـ ٥٩.

(٤٠) نفس المرجع السابق، ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٤١) كشميري، نجوم، الاول ص ٢٥٢.

(٤٢) من اجل النظام الفقهي الجديد انظر نفس المرجع السابق الاول ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥، ٢٦٩.

(٤٣) من اجل سيد مرتضى ناصر ابادي انظر كشميري، نجوم، الاول ص ١٨٠ ـ ١٨٦.

الشمال من اود، بالاضافة الى مفتين من المدن الصغيرة في أود[٤٤].

وقد هيأ تأسيس النظام القضائي الشيعي، كالمدرسة، لاستخدام الجيل الثالث من العلماء الاصوليين، الذين وجدوا فرصا للعمل في اماكن تقليدية مثل امامة الصلاة، وقد فكر الملك في سيد محمد عباس شوشتري ليتولى منصب امام الصلاة في المسجد الجديد الذي بني في الاربعينات من القرن التاسع عشر، الا ان البرتوكول فرض عليه ان يستبقي سيد محمد ابادي، وكتعويض عين شوشتري الذي كان في ذلك الحين يقوم بالتدريس في المدرسة، عينه مستشارا قضائيا في مكتب الوزير الاول، فزاد دخله، ولكن لم يكن مرتاحا في وظيفته هذه بسبب مضايقات عديدة منها تدخل الموظفين الحكوميين وعداوة بعض أولئك الذين يصدر احكامه ضدهم وطمع بعض موظفي المحكمة[٤٥].

ولقد حدث تقدم بالنسبة لرجال الدين الاصوليين في الاربعينات من القرن التاسع عشر في كفاحهم من اجل السيادة في المناصب الدينية الهامة المتعلقة بالقضاء الشرعي الاسلامي، وحاولوا استبدال رجال القضاء السنة بآخرين من المجتهدين الاصوليين، وقد استطاع العلماء الاصوليون ايضا بواسطة النظام القضائي الشيعي ان يقوموا كثيرا من مفاهيمهم بالنسبة للسلوك الصحيح والملكية والعلاقات العائلية، والحقوق النسبية للجماعات العديدة في المجتمعات والمجتمعات الدينية المتفرقة في مجتمع أود، إلا أن القضاة الشيعة كان لهم تأثير بسيط نسبياً على مجتمع أود ككل، وسوف نتحدث عن هذا بالتفصيل في القسم العاشر.

الصلة مع المراكز الشيعية في العراق

إن نهضة الحركة الدينية في أود تبعث على التساؤل حول العلاقة مابين الاصوليين في الهند وبين كبار رجال الفقه في النجف وكربلاء، وعلى الرغم من ان المجتهدين منعوا من تقليد احكام الشريعة لدى غيرهم، الا ان الاصوليين اكدوا على الاخذ بآراء كبار العلماء في أحكام الشريعة وهذا ما قاد الى ظهور فئة صغيرة ممن كانت آراؤهم القضائية ذات توقير كبير.

وظهر تقليد في فترة الاربعينات من القرن التاسع عشر بأن النجف كانت اكبر مركز ديني لكل الشيعة، وقد كتب أحد تلاميذ الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر) في عام ١٨٤٦ ملاحظة عنه فقال:

ـ لقد انتقلت اليه زعامة الشيعة سواء العرب او غير العرب[٤٦].

وظلت العلاقة ما بين العلماء الكبار في شمال الهند بالمجتهدين في المدن المقدسة علاقة معقدة، وقد كان كل فريق منهما يقول عن الآخرإنه «افضل المجتهدين»، او «مثل اعلى للناس»، او «وريث الانبياء» وهناك حكاية من سيرة حياة سيد حسن ناصر أبادي تصور

(٤٤) انظر نوكانوي: تذكرة ص ١٥ ـ ١٦، ١١ ـ ١١٠، ١٩٦ وكشميري: نجوم ١/ ٤٦٩.
(٤٥) كشميري: نجوم ٢/ ٦٤ ـ ٦٧.
(٤٦) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ٨ مجلدات طهران ١٩٧٠ م ٢/ ٣٠٥.

هذه العلاقة. وقد كتب الشوشتري فقال إن سيد حسين قد أباح الاستنابة في القضاء، واعتبرت فكرة بسيطة لكنها كانت تتناقض مع الرأي الجماعي الشيعي.

وبعد أن اتخذ محمد حسن النجفي موقفا مماثلا في كتابه «جواهر الكلام»، غيّر كثيرون في أود أفكارهم، ووافقوا على أن مثل هذا التفويض مسموح به، اما سيد حسين فقد غير رأيه اكثر من مرة[٤٧]. وتبين الحكاية ان سلطة النجفي كمجتهد ومرجع للتقليد قد لقي تأييداً من كثير من العلماء في شمال الهند في فترة الاربعينات، الا ان الناصر أباديين قد حصلوا على استقلاليتهم، واعلن سيد محمد ناصر أبادي انه قد تلقى العلم بصورة خفية من الامام الثاني عشر نفسه.

وبعد وفاة النجفي، ظهر مرتضى الانصاري الذي كان يسيطر على حوالي ٢٠٠,٠٠٠ في السنة للصدقات، وكان في النجف كأكبر مصدر تشريعي في العالم الشيعي[٤٨]، وكتب فيما بعد أي في القرن التاسع عشر شخص يدعى محمد مهدي كشميري من لكنو عن الانصاري فقال:

- «لقد كان مثلا للشيعة في حياتهم الدينية والدنيوية»[٤٩]، الا ان الفقهاء الشيعة لم يعزلوا المجتهدين الهنود ولم يواجهوهم بهذا على الاقل، لكنهم مثل الشيخ محمد حسن النجفي، كانوا باستمرار يطلبون من مجتهدي لكنو ان يرسلوا نسخا من خطبهم الى النجف وذلك لكي تقرأ وتنشر، ولما قرأ النجفي كتاب سيد محمد ناصر أبادي في الدفاع عن زواج المتعة، أطلق عليه اسم تاج الشيعة، وأشار الى والده السيد ديلدار علي ناصر أبادي بأنه «ختم المجتهدين».

وقد نسب ذكاء عائلة ناصر ابادي وخطبهم العظيمة الى انهم ينحدرون من نسل الأئمة [٥٠]، وذلك عندما تحث عن كتاب سيد ديلدار علي الذي يبحث في مبادىء واصول الدين «مرايا العقول».

ونستدل من سيرة حياة سيد حسين عن ان كثيرا من العلماء الشيعة في الهند كانوا يتقبلون في بعض الاحيان أحكاما متناقضة ويعتبروها موثوقة اذا كانت صادرة عن زعماء الاجتهاد في المدن العراقية المقدسة.

التوترات بين العلماء

كان قبول العلماء الهنود لمناصب حكومية في القضاء قد ادى الى احتكاكهم اليومي بالامور الادارية التي تجري في حكومة أود، كما أنها أدت الى زيادة احتمالات الصراع مع الموظفين المدنيين، وكان العلماء يكافحون من أجل تنفيذ القرارات القضائية، وكان لنمط

(٤٧) شوشتري: الظل الممدود ص ١٤.

(٤٨) مرتضى الانصاري: زندكاني شيخ انصاري (الاهواز ١٩٦٠ ص ٧٢ - ٧٤.

(٤٩) كشميري: نجوم ١/ ١٢٣. وشوشتري: مكاتيب عربية مخطوط رقم ٤١ في الناصرية لكنو ص ١٩ ط.

(٥٠) شوشتري: الظل الممدود ص ٦٧ - ٦٨، ٤٠٨.

واسلوب حياة العلماء الاصوليين وقيمهم، ماجعلهم منعزلين عن الطبقة الحاكمة، فقد رفض سيد محمد ناصر أبادي الالقاب التي انعمت على بعض السادة الاشراف مثل (خان) و(بهادور)[٥١].

الا ان الجيل الثالث من العلماء الاصوليين عدل من هذا الموقف واصبح يقبل الالقاب النبيلة مثل (منصف الدولة)، على ان الاختلاف في الثقافة الدينية أدى الى وجود فروق بين العلماء الكبار وغيرهم من السادة الاشراف.

وبينت الرسائل التي كتبها السادة العلماء في الفترة التي تلت النهب الذي حدث من الاتراك في عام ١٨٤٣، بعد أن نهبوا المدن المقدسة في العراق، أن مفهومهم بالنسبة للسادة الأشراف المدنيين من طبقة الحكام (الأمراء)، بينما العلماء هم رجال الدين.

وقد وجه احد رجال الدين في ايران لوماً الى كل السلاطين الاتراك العثمانيين بسبب هجومهم، والى الشاه الايراني بسبب فشله في الدفاع عن المدينة المقدسة، وكتب الى لكنو رسالة متطرفة من العراق يقول فيها:

ـ «ألا يوجد أي ملك يحكمنا وملك يحكم ايران!»[٥٢].

وهناك بعض مايروى عن علماء في معاجم السير ما يوضح تفسير العلماء انفسهم للصراع مع الدولة فعلى الرغم من ان« محمد علي شاه» كانت له علاقة طيبة مع العلماء فإن وسائله من اجل الحصول على ارض لبناء امام بارة للعزاء الشيعي جعلته يتنازع مع المجتهد الاول.

فعندما نادى الملك من اجل اقامة صلاة العيد هناك بعد شهر صيام شهر رمضان، اخبر سيد محمد الملك بأن قسما من الارض التي اقيم عليها البناء تخص «نعيم خان»، ورفض اقامة الصلاة هناك حتى دفع الملك سعرا مناسبا للارض وفقا للشريعة الاسلامية، وهكذا تم الاحتفال كما كان مخصصا له[٥٣].

أما«أمجدعلي شاه» فقد اشترى بعض الاثاث للمسجد بسعر مليون وثلاثمائة الف ربية، وتدخل سيد محمد ناصر أبادي من اجل هذه المسألة ليتأكد من أن التاجر استلم المبلغ كاملاً[٥٤].

كذلك ففي الوقت نفسه، حدث أن الامير واجد علي شاه أحب فتاة كانت جارية عند شخص آخر واغتصبها منه، فقام سيد محمد بالاستقصاء عن هذه القضية، وقال انه طبقا للشريعة الاسلامية على واجد علي شاه أن يعيد الفتاة الى مالكهاالاصلي فأمر الملك بتطبيق الحكم، ولما استلم واجد علي شاه العرش ارسل يطلب اعادة النظر في قضية الجارية، الا

---

(١٥) كشميري: نجوم ١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٥٢) الرسائل في كتاب الشوشتري بعنوان: الظل المدود، ص ٨٧ ـ ١٠١، ١١١ ـ ١١٤، ٤٨٧، ولمعلومات اوفى عن هذه القضايا انظر كتاب كول: الاموال الهندية والمدن الشيعية المقدسة في العراق، ومن اجل نهب العثمانيين لكربلاء ونتائجه الدينية، انظر كتاب من تأليف ج. ر. إ. كول وموجان مؤمن: المافيا، العصابات والشيعية: ثورة كربلاء والعثمانية، ١٨٢٤ ـ ١٨٤٣، في مجلة الماضي والحاضر ١١٢ (اغسطس، ١٩٨٦).

(٥٣) كشميري: نجوم، الاول ص ٢٥٤.

(٥٤) نوكانوي: تذكرة، ص ٣٣٧.

ان سيد محمد صمم على عدم الاذعان لضغط الملك.

وفيما بعد رفض ميرزا محمد علي قيم الدين الطلب الذي تقدمت به زوجات الملك بأن يرث اولادهن بالتبني، على عكس ما تأمر به الشريعة الشيعية الاسلامية، وقد حمل واجد علي شاه اول الامر بعض المجتهدين على نقض قرارهم الا انه عاد فاعتذر لهم(٥٥).

ورغم ان واجد علي شاه كان يرجع الى الفقهاء والمجتهدين في معظم القضايا الشرعية، الا أنه بدأ يبتعد عنهم، وكما اشرنا فقد توقف على تقديم العون المالي للفقراء، فأدى الى التخفيض او الحد من ثروة الفقهاء، وخفض المبلغ للسادة الى النصف، وعاد مرة أخرى فسمح بتعاطي الحشيش والخمر، وعين غلام رضا خان في قسم الضرائب، فتوقف هذا في السنوات الدراسية ١٨٥٤ ـ ١٨٥٥ ـ و ١٨٥٥ ـ ١٨٥٦ عن الدفع للمدرسة الشيعية، مما هدد رواتب ثلاثين من رجال الدين ومئات من الطلاب، ولم يتضح فيما لو أن الملك فعل هذا لاسباب مالية أو لأنه كان يعتزم إلغاء المدرسة(٥٦).

وعلى الرغم من أن تأثير العلماء في بلاط أود قد خف، فقد ظل رجال الدين في كثير من مناصبهم وفي تأثيرهم على مجتمع اود.

وكان رجال الدين، باعتبار انهم يمتلكون فقط بضع قرى لكل منهم او يعتمدون على الرواتب التي يقدمها لهم السادة الاشراف فقد كان اسلوب حياتهم يتفق مع وضعهم الاجتماعي.

خاتمة

لقد شهدت فترة الاربعينات من القرن التاسع عشر قمة القوة لدى المجتهدين واتسمت بوجود مجموعة من المؤسسات الجديدة وحيازة الثروة الجيدة والسلطة السياسية، اما فترة الخمسينات من القرن التاسع عشر فقد شهدت انخفاضا سريعا في النفوذ الجماهيري لرجال الدين الشيعة.

لقد كان علماء أود الكبار ينظرون الى الحكومة على اعتبار أن لديها عرف عام أو تشريع على الرغم من انه غير كامل وانه غير عادل (جائر)، لكن هؤلاء العلماء كان بينهم وبين القسم المدني من الحكومة خلافات على السلطة، لكن هذه الخلافات خففت فيما بعد، ولان العلماء الهنود كانوا يفتقرون الى القاعدة الجماعية في ايران فقد اعتمدوا اكثر على السادة الاشراف من الشيعة. كذلك فإن رجال الدين في ايران لم يكونوا يستلمون أموالاً للصدقات مباشرة من خزينة الدولة، ومع ذلك فلم يكشف عن احكام صريحة من قبل فقهاء لكنو مثل تلك التي اصدرها مجتهدو قاجار سيد جعفر كشفي وملا علي خاني(٥٧).

(٥٥) كشميري: نجوم، الاول ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣، نوكانوي: ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٥٦) ج.د. بهاتناجار G.D.Bhatnagar: لكنو تحت حكم واجد علي شاه (بنارس، ١٩٦٨)، الصفحات ١٦٥ ـ ١٦٦.

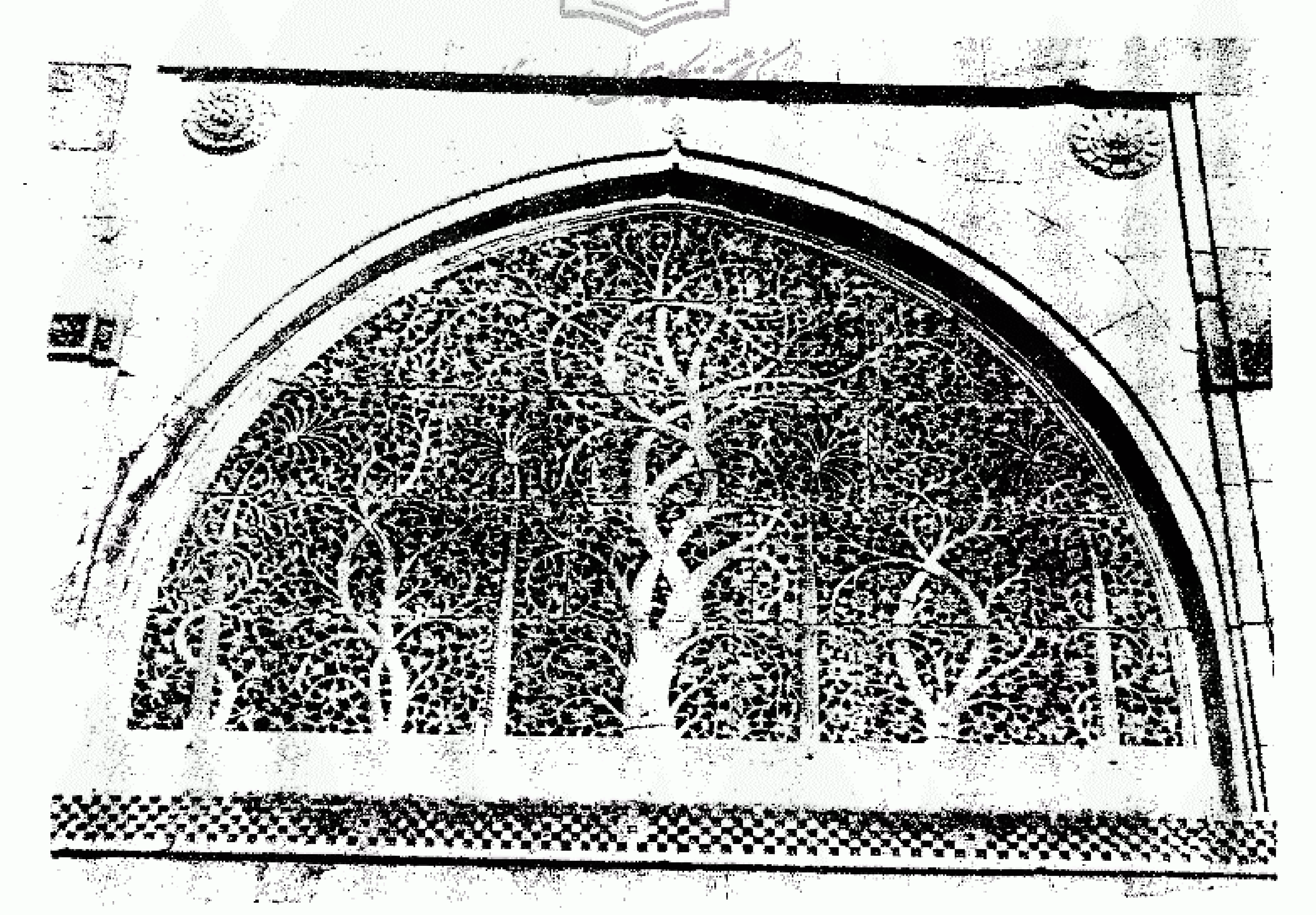
(٥٧) انظر سعيد امير ارجموند: الهيروقراطية الشيعية والدولة في ايران قبل العصر الحديث من ١٧٨٥ ـ ١٨٩٠، مجلة الارشيف الاوربي للاجتماع، ٢٢ (١٩٨١): ص ٥٢ ـ ٥٦.

وتحت حكم أمجد علي شاه اصبح للشيعة الامامية في أود مؤسساتها الدينية الرسمية ورجال الدين الخاصين بها الذين يتلقون الرواتب.

وقد استفاد رجال الدين من الحقوق والميزات التي تمتعوا بها من قبل الحكومة وكذلك بواسطة المدارس التي تأسست(٥٨).

وكانت الحكومة المدنية والهيئة الدينية تعمل معاً، رغم أن القوة الفعلية كانت للملكية، وكان رجال الدين الاماميين في لكنو بسيطرتهم على التعليم الديني والاموال الدينية ومطبوعاتها بالفارسية والاردية، قد نشروا معتقداتهم الدينية وسط العائلات الدينية الشيعية، وشجع رجال الدين ايضا اتباع المذهب الشيعي بالنسبة للهندوس والسنة وخاصة بين مستخدمي الحكومة والفقراء من المدنيين.

وكان الحكام مثل أمجد علي شاه قد اتبعوا سياسات مؤيدة للشيعة، وظهرت حركات طائفية صغيرة بين المسلمين في شمال أود، تطلب بجعل الشيعية دين الدولة، الا ان ضيق دائرة نفوذهم وضعف الدولة في مواجهة النفوذ والقوة النامية الادرية من الناحتين الاقتصادية والسياسية، مما جعل الشيعة الامامية تعود مرة اخرى فتصبح طائفة او جماعة صغيرة.



(٥٨) ماكس ڤيبر: Economy and Societ، مجلدان (جامعة كاليفورنيا ١٩٧٨) (٢/ ١١٦٤ - ١١٦٥).

القسم التاسع

الشيعة والآخرون:

الشيعة، السنة، والهندوس
العلاقات الطائفية في أود

Shi-c-i, Sunni-, Hindu: Communal Relations in Awadh

مقدمة

لازمت الحركات الطائفية الدينية تاريخ جنوب شرق آسيا وقد حاولت الكثير من المدارس الفكرية تفسير هذه الظاهرة، كل منها بشكل مختلف عن الأخرى، ولكن هناك ثلاث عناصر تبدو هامة بشكل عام، **الأول** هو ان تنظيم الجماعات الدينية للعمل السياسي قد بدأ في أواخر القرن التاسع عشر مدعوماً بالأفكار المتبادلة بين الجماعات.

والثاني هو ان زعماء الجماعات المحليين سيطروا على جماعاتهم الدينية كوسيلة لكسب القوة، **والثالث** هو الدور الذي قام به البريطانيون في معالجة مسألة الانقسامات الطائفية وذلك للتمكن من الحكم بشكل سهل، وهناك المحاولات التي قام بها البريطانيون في الفترة التي تلت ١٨٥٨ م، والسياسة التي اتخذوها في زيادة حدة التوترات.

وهذه الدراسة تبحث في الفترة التي سبقت إضفاء الصبغة السياسية على الجماعات الدينية تحت الحكم البريطاني، ومع ذلك فقد حدثت بعض الخطوات في المجتمع ما قبل الصناعي في أود الشيعية مما هيأ لمجتمعات دينية أكبر، وقد اتبعت حكومة أود سياسات ضارة بمصالح كل من الهندوس والسنة، وكان المقيمون البريطانيون يتدخلون في كثير من الأحيان في الصراعات الطائفية في أود، ومن الهام الكشف عن تأثيرهم على العلاقات بين الطوائف[1].

لقد شكلت الجماعات الهندوسية الكبيرة والجماعات السنية في أود مشاكل للعلماء الشيعة وإلى حد بسيط للدولة الشيعية.

وكان لكل من الحكام الدينيين والمدنيين اهتمام بنشر دينهم المفضل[2]. ولكن على الرغم من ذلك فإن حكام أود والمجتهدون فشلوا في نشر المذهب الشيعي كدين للجماعات.

كذلك، فقد كان لتواجد ميثولوجيات مختلفة كلياً في ثقافة واحدة، مثل الوضع

---

(١) س.أ. بايلي: ما قبل «الطائفية»؟ الصراع الديني في الهند. (١٧٠٠ ـ ١٨٦٠) الدراسات الآسيوية العصرية ١٩(١٩٨٥) ص ١٧٧ ـ ٢٠٣.

(٢) ماكس ويبر Max Weber، الاقتصاد والمجتمع، مجلدان (بركلي ولوس أنجلس: مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٨)، الثاني، ١١٧٤.

السريالي لمعركة كريشنا، مع كروكشتريا Kurukshetra، ومعركة كربلاء بالنسبة للحسين، كل هذا كان يتطلب توفيق بين المبادىء المتعارضة، وهو ما اتبع في الهند في الفترة الوسيطة لكنه اصطدم بالميول العقلانية للأصولية النامية.

الاماميون والهندوس

أظهر رجال الدين الشيعة التعصب تجاه الهندوس، على الرغم من ان حكومة أود كانت تشرك رجال الريف الهندوس في البيروقراطية.

وقد بين بارنيت Barnett ان دولة شجاع الدولة القوية في القرن الثامن عشر كانت تدين بالكثير للمحاربين الهندوس مثلما تدين للفرسان القزلباش من الشيعة. على أن حكام أود لم يحاولوا تبديد التناقض بين عداء العلماء للهندوس وبين احتمالهم النسبي لدى الدولة، ومع ذلك فلما بدأ علماء الشيعة في التأثير في سياسة الدولة في فترة الأربعينات من القرن التاسع عشر، أصبحت مواقفهم تجاه الهندوس ذات أهمية، لقد كان الهندوس يشكلون ٨٧٪ من سكان أود (الذي ربما بلغ حوالي عشرة ملايين في فترة الخمسينات من القرن التاسع عشر)، كما أن الفقهاء أو المجتهدون حاولوا الإبقاء على نقاء وطهارة الطقوس الشيعية، ورغبوا في اجتذاب الهندوس إلى التشيع.

لقد بدأ اهتمام الشيعة بالهندوس في موطنهم، طالما أن رجال الدين الإمامية كان عليهم تحديد جماعتهم الخاصة بحيث يستبعدون الهندوس وطقوس، وفي عام ١٨٠٣ عرض مولوي سامي هذا النوع من المشاكل أمام السيد ديلدار علي ناصر آبادي مشيراً إلى أن معظم المسلمين في الهند يتجاهلون شرع الإسلام، وأشار إلى ان كثيراً من الهندوس كانوا ينفقون أموالاً طائلة وطاقة من أجل مشاهدة طقوس محرم، وأراد أن يعرف ما إذا كانت هذه الجماعة من الأطهار، ليسمح لهم بالمساهمة أم لا.

وأجاب ناصر آبادي بأن المسلم الذي لا يثبت أنه ينبذ أي عقيدة أساسية في الدين لا يجب أن يحكم عليه إلا بأنه مسلم، ولكن إذا كان هناك شخص ولد غير مؤمن لكن قبل كل العقائد الضرورية في الإسلام فإنه يكون كافراً حتى لو مارس الحداد على الإمام الحسين(٣).

وقد انتقد (مولوي سامي) سلوك النساء الشيعة، وقال ان معظم النساء بل والرجال أيضاً بما فيهم الأشخاص من الطبقات النبيلة قد اشتركوا مع الهندوس واتبعوا طرقهم، واعتقدوا في علم التنجيم وعبادة الأوثان وكن النساء المسلمات يعبدن الإلهة (كالي دوركا) Kali Durga في السر عندما يمرض أطفالهن.

وقد ردَّ (ناصر آبادي) بأن المرأة المسلمة لا يمكن اعتبارها مرتدة عن العقيدة إلا بعد تفحص كامل للبدع التي تمارسها.

(٣) سيد ديلدار علي ناصر آبادي، رسالة دررد مذهب صوفية مخطوط في كلام الشيعة، الورقة 5b-6a، المكتبة الناصرية في لكنو برقم ١١١.

ثم استطرد فقال إن المسلم لا يعتبر مرتداً عن الإسلام فقط لأنه اتبع بعصر التصرفات الصوفية أو الهندوسية، ومن ناحية أخرى فإن الهندوسي الذي ولد من أبوين لا تربطهما رابطة زواج وتحول إلى المذهب الشيعي فإنه يعتبر شرعياً وذلك لمحبة الأئمة.

وهكذا فإن ناصر آبادي أبدى تساهلاً ولم ينبذ من جماعة الشيعة شخصاً شيعياً رغم أنه من الصعوبة بمكان أن يكون بينهم شخصاً من الهندوس أصله مشكوك فيه[٤].

أما الخصيان في البلاط فقد كانوا كأشخاص مشتركين بين الهندوسيين وبين الشيعة، أما الحكام وزوجاتهم فقد كانوا يستخدمون هؤلاء الفتيان ومعظمهم من أبناء المحاربين الهندوس الذين أسروا في المعارك مع الحكومة المركزية، وكانت الزوجات يحتفظن بهؤلاء الفتيان مع الخدم في منازلهن، وفي بعض الأحيان كان يوكل لهؤلاء الفتيان بإدارة مقاطعات أسيادهم أو جمع الضرائب، وهكذا تحولوا إلى مماليك للحكومة.

ولما كان احد البريطانيين يدّعي ضد ألماس علي خان وهو من كبار جامعي ضرائب الفلاحين وكان مملوكاً لدى النواب سادات علي خان، فإن الحاكم كان يرفض أن يتدخل على أساس أنه إذا ضغط كثيراً على المملوك فإن الفتى ربما نقل ملكيته إلى باهو بيجام Bahu Begam (والدة الحاكم) في فايز آباد وهذا يؤدي إلى خسارة كبيرة بالنسبة للنواب أو الحاكم[٥].

وإن الأصل الهندوسي لبعض السادة الأشراف الكبار من الشيعة قد أدى إلى بعض حالات الوراثة الشاذة، فقد كان بابو باشو سينغ Babu Bacchu Singh وهو ابن الأخ الأكبر الهندوسي لداراب علي خان Darab Ali Khan، يمتلك المسجد والإمام بارة لجواهر علي خان في فايز آباد[٦].

وتشهد قضية ملكية «تحسين علي»، على الروابط المستمرة ما بين الخصيان وأقربائهم من الهندوس، فقد كان المشرف على حريم آصف الدولة في فايز آباد، وكان يملك منحة من الأرض (Jagin) بالاضافة الى مبالغ طائلة، وقد أصابه المرض في عام ١٨١٣ وأخبر المقيم البريطاني بأنه يريد كتابة وصية ودون تدخل النواب، وتبين للمقيم أن النواب له حق استعادة منحته من الهندوس، ولم يكتشف إلا فيما بعد أنه طبقاً للشريعة الإسلامية فإنه لا يحق لغير المسلمين أن يرثوا من شخص مسلم، وما لبث النواب أن استعاد ملكيته ولكنه تحت الضغط من البريطانيين قدم لأبناء عمه من الهندوس نفقة أو معاشاً[٧].

وهناك قضية أخرى هي موقف رجال الدين الشيعة وموظفو الحكومة الرسميون والأشخاص العاديون تجاه الهندوس، ويمكننا بسهولة تلخيص موقف رجال الدين من خلال

(٤) نفس المرجع، الورقة 8a، وسيد علي ديلدار ناصر آبادي، نجاة السائلين، مخطوط في الفقه الشيعي رقم 256 في المكتبة الناصرية الورقة 24a-b, 32a.

(٥) من الأرشيف، ومن أجل ألماس Almas، انظر كتاب بورنيندو باسو Purnendo Basu، أود وشركة الهند الشرقية، ١٧٨٥ ـ ١٨٠١ (لكنو: ماكسويل، ١٩٤٣)، ص ٨ ـ ١٣.

(٦) معجم مقاطعة أود ١/ ٤٨٨.

(٧) من الأرشيف، رسالة من المقيم إلى الحكومة في الهند بتاريخ ٢٤ أغسطس، ١٨١٣ [FDPC].

موقف السيد ديلدار علي ناصر آبادي الذي ألح بأن الحكومة في أود يجب أن تتخذ إجراءات شديدة ضدهم، وقد قسم غير المؤمنين إلى ثلاث فئات، **الأولى** الحربية وهي فئة أولئك الذين يجب أن يشن الإسلام عليهم حرباً، **والثانية** (الذميين) وهم الذي تقبلهم الإسلام ويدفعون ضريبة، **والثالثة** (المستأمنين) وهم أولئك الذين منحهم حكامهم المسلمون الأمان في الحياة بشكل مؤقت[٨].

وألح على أن الشيعة الإمامية يتقبلون اليهود والمسيحيين على أساس أقلية (ذمية)، وخالف المدارس السنية التي كانت تعتبر الهندوس أقلية ذات حماية.

وما كتبه ناصر آبادي عنهم هو ان المسلمين لا يمكنهم تقديم الحماية (الأمان) إلا في بلد يحكموها لمدة عام، وتأسف على أن الحكومة قد عاملتهم طويلاً بشكل يقدم لهم الحماية في شمال الهند، إلا أن هؤلاء الهندوس لم يتبعوا سوى دينهم الوثني وكانوا يشربون الكحول وفي بعض الأحيان يعشقون نساء مسلمات من أقرباء السادة، ولام الحكام السنة المغول في الهند الذين لم يحاربوهم ولم يجبروهم على الدخول في الإسلام.

وكان يحلّ للمسلمين شرعاً أموال وحياة هؤلاء الكفار من الهندوس، وبالطبع كان هذا تفكير ناصر آبادي وموقفه كغيره من رجال الدين المسلمين، أما المفكر النقشبندي السني «شاه ولي الله» (١٧٠٣ ـ ١٧٦٢) فقد كان يريد للمغول أن يدينوا الهندوسية[٩].

أما فقهاء المدرسة الأصولية فقد حاولوا أن يضعوا حواجز طائفية ما بين الشيعة والهندوس. وكتب السيد محمد قلي كينتوري، الذي عمل في البلاط الهندي في ميرت، بحثاً أو رسالة تهدف إلى إقناع الشيعة بمعاملة الهندوس على أنهم غير طاهرين[١٠]. وكان الشرع الإمامي يختلف عن السني في التأكيد على عدم طهارة كثير من الأشخاص والأشياء، ومنها غير المسلمين.

فقال «كينتوري»: إن كثيراً من الشيعة الذين كانوا يجهلون الشرع الإمامي وقعوا تحت تأثير كثير من المواقف السنية الرخوة.

وفي الثلاثينات من القرن التاسع عشر حكم أبناء سيد ديلدار بأن المؤمن يجب أن يتجنب الصلاة وهو يلبس خاتماً قد أعده شخص من الهندوس وإن غسل بالماء لا يزيل إلا عدم طهارته من الخارج، وهكذا فإن التعامل مع الهندوس كان يؤثر على الطهارة، وقيل إن خادم بارك Parke المسلم الذي تزوج من أرملة أحد الهندوس حوالي عام ١٨٣٠ أصر على تحول زوجته إلى الدين الإسلامي لأن تناوله الطعام معها يدنسه[١١].

---

(٨) ناصر آبادي، رسالة في أحكام الأرضين، مخطوط عربي في الفقه رقم 2182، الورقة 60b -56a، مكتبة رضا، رامبور، انظر «نجاة السائلين» الورقة 23b.

(٩) سيد آثار عباس رضوي، شاه ولي الله وعصره (كانبيرا: مط. معرفة، ١٩٨٠)، ص ٢٢٧.

(١٠) سيد محمد قلي كينتوري: تطهير المؤمنين عن نجاسة المسكرين (لكنو، مطبعة حيدر، ١٢٦٠ هـ/ ١٨٤٤)، وقد نوقشت القضية أيضاً في وقت آخر انظر (سيد حسين موسوي: ملة الأخيار في رد طهارة الكفار)، لكنو، مطبعة مظهر العجائب، ١٨٩٣.

(١١) مشرّف علي لكنوي، تحقيق، بياض المسائل (لكنو، دون مطبعة، ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥ ـ ١٨٣٦)، الأول ص ٢١٨، وكتاب فاني باركس Fanny Parks: تجولات في الحج (لندن، ١٨٥٠) الاول ص ١٧٠.

وسمح العلماء للشيعة بتناول الطعام مع شخص من الهندوس، وقد تساءل أحد الشيعة حول الآية القرآنية التي تقول بأن المؤمن الكامل هو الذي يطعم جاره الجائع، وهل هذا القول يُعنى به فقط الجيران من المسلمين، وتوجه بهذا السؤال إلى سيد ديلدار علي.

وقد أجاب مجتهد لكنو السيد ديلدار بأن الآية تعني ظاهرياً المسلمين فقط، وبأنه مسموح تناول الطعام أو تقاسمه مع شخص غير طاهر إذا كان سيموت من الجوع، وقد سمح أحد أبنائه للشيعة بتقديم الشراب للضيوف الهندوس عندما يأتون في زيارة خلال محرم.

كذلك فقد كانت المنافع المتبادلة بين الشيعة والهندوس مسموحاً بها، وأباح سيد حسين ناصر آبادي (١٧٩٦ ـ ١٨٥٦) وهو الابن الأصغر لسيد ديلدار علي وأحد المجتهدين الكبار، للشيعي أن يأخذ مالاً لقاء تعليم أطفال الوثنيين العربية والفارسية[١٢].

أما مدارس السنة فلم تكن تشترك مع الإمامية في مفهومهم عن عدم الطهارة لدى غير المسلمين وقد كانت هذه المدارس أصلاً في العراق في القرن الثامن عشر.

وكان الإعلان عن الطهارة من قبل الأصوليين العلماء بين الشيعة في أود عاملاً مساعداً في اندماجهم بشكل أكبر بإحدى الأفكار الرئيسة للنظام الاجتماعي الهندي[١٣].

وبالنسبة للهندوس كانت الطهارة الدينية والقوانين المعقدة للعلاقات الاجتماعية نوعاً من الطبقة المنغلقة، فكانوا كالبراهمة بإمكانهم تقديم الطعام لغيرهم ولكن لا يقبلونه من جماعات أخرى، ونجد من ناحية اخرى أن الشيعة والحكومة الشيعية، رغم أنها كانت تستثمر وتستخدم الهندوس، إلا أنها كانت نادراً ما تضطهدهم.

ولكن كان العنف يحدث كثيراً بين الجماعتين خلال شهر محرم لدى الشيعة، كما حدث في جونبور Jaunpur في عام ١٧٧٦، أو في لكنو عام ١٨٠٧[١٤]، وكانت بعض الحكومات في أود أقل تحملاً للهندوس من غيرها، ومن أمثلة ذلك ناصر الدين حيدر (١٨٢٧ ـ ١٨٣٧) وأمجد علي شاه (١٨٤٢ ـ ١٨٤٧)، فكان هذا اكثر الحكام المعادين للهندوس.

ففي عام ١٨٢٩ أجبر الملك أحد البراهمة على الختان رغم أن عائلته عدلت عن التحول الى المذهب الشيعي. وقال للمقيم الغاضب أنَّ له الحق في التصرف برعيته كما يشاء، لكن ريكت Ricketts ذكر أن الحكومة البريطانية لم تكن تعترف بهذا الحق، ولما أثار الهندوس الشغب بعد ذلك بثلاثة أشهر وذلك إثر تدنيسهم أحد المساجد في ريكابجاني Rikabgani، فأرسل الملك جنوداً إلى المكان، ونهب الجنود النساء ونزعوا الخواتم من أنوفهن وخربوا المعابد الأربعة والسبعين التي كانت للهندوس في ذلك المكان، فتشرد سكان

(١٢) ناصر آبادي: نجاة السائلين، الورقة 23a، ومشرف علي لكنوي، تحقيق، بياض مسائل، الثالث ص ٧٤، وسيد حسين آبادي: سؤال وجواب، مخطوط غير مفهرس في الفقه الشيعي، الورقة 115b، المكتبة الناصرية بلكنو.

(١٣) انظر لويس دومونت Louis Dumont: نظام الطبقية واستخداماته، ترجمة Mark Sainsbury (شيكاغو، مط. جامعة شيكاغو، ١٩٧٠)، ص ٤٢ ـ ٤٦.

(١٤) خير الدين محمد إله آبادي، تحفة تازه، مخطوط رقم 483 الورقة 59a- 63b.

المنطقة البالغ عددهم ثلاثة آلاف، ولما كان الشعب سينتقل إلى الأماكن الأخرى فإن المقيم البريطاني تدخل لدى الملك الذي أرسل منادون في المدينة يحذرون أي شخص يزعج أحد الهندوس بالعقاب، ويمنعون من إهانة معبده[١٥].

واعتبر أكثر حكام أود أن النظام أهم بكثير من احتفاظ الهندوس بأماكنهم، فقد حدث ذات مرة أن شخصاً من الهندوس، في نوفمبر عام ١٨٤٠، دنس مسجد زميزدار Zamindar بدماء خنزير، واشتبك أبناؤه مع بعض المسلمين الغاضبين، وفي ٤ ديسمبر قتل أربعة من المسلمين بقراً ودنسوا المعابد وأضروا بالحوانيت في كل من ياهاجاني وآيشباغ، وقد وجد الإداري البريطاني الكولونيل سليمان، في مثل هذه الفترات من حوادث العنف الطائفية سبباً أو حجة في وجوب تواجد الحكم البريطاني للهند، لكنه بالغ في وصف مثل هذه الحوادث[١٦].

وكان الحكام الثلاثة الأخيرين لأود قد استهلوا برامج تعزز سلطة وقوة العلماء الأصوليين في مجتمع شمال الهند، وقد اعتبر الشيعة ما قبل فترة رجال الدين، أن العشرين سنة التي سبقت التبعية لبريطانيا فترة أو عصر ذهبي، ومن ناحية اخرى نجد أن المؤلفين سواء من السنة أو من الهندوس كانوا يأسفون لـ «ضيق الأفق الطائفي والسياسة الدينية الملتوية» لبعض الحكام الدينيين مثل أمجد علي شاه (١٨٤٢ ـ ١٨٤٧)[١٧]، وكما رأينا في القسم الثامن فإن أمجد علي شاه اتبع سياسة معادية للهندوس وأوجد دكاكين للشيعة ليطرد الهندوس التجار من أعمالهم، وكان يكافيء من ناحية أخرى الهندوس من الموظفين الرسميين الذين كانوا يتبعون المذهب الشيعي الإمامي.

وكان تزويد الحكومة للفقراء الشيعة بالأموال قد شجع آلاف الهندوس على التحول إلى المذهب الشيعي في فترة الأربعينات من القرن التاسع عشر كما تشير إلى ذلك المصادر الدينية، وأبدت الحكومات الأصولية الشديدة في أود قليلاً من التفهم لما يخص الهندوس مما سبب النزاعات الطائفية كما حدث في فايز آباد، وسوف نبحث فيه فيما بعد.

وعلى الرغم من أن الشيعة ربما كانوا قد نصحوا الحكومة باتباع العنف تجاه الهندوس إلا أنهم كانوا يستنكرون التصرفات الجماعية، وقد مارس العلماء سياسة الالحاح على معاملة الشيعة للهندوس على أنهم غير طاهرين (وبهذا أثاروا الهندوس لمعاملة المسلمين بالمثل)، واعتبروا الشيعة كطائفة.

وكانوا يستخدمون الأعمال والأموال لتحويل الخدم الهندوس من المدنيين والفقراء أيضاً إلى الشيعية، ولما كان الأصوليون قد حاربوا التصوف بشدة فإن كثيراً من متصوفي أو مشايخ الشيعة كانوا يتوسطون بين الهندوس وبين تلاميذهم من الشيعة، وقد كافح العلماء بشدة لمنع الشيعة من رعاية رجال الدين الهندوس، إلى زيادة الطائفية وزيادة عداء الجماعات

---

(١٥) من الأرشيف FDFC ١٨ جولاي ١٨٢٩، ١٨ سبتمبر ١٨٢٩.

(١٦) و. هـ. سليمان: مذكرات موظف حكومة هندي (كراتشي: مط. جامعة أكسفورد، ١٩٧٣) ص٤٨٢ ـ ٤٨٣.

(١٧) شافي أحمد: Two Kings of Awadh ١٨٣٧ ـ ١٨٤٧ (عليكرة، ١٩٧١) ص ٥٢.

الدينية لبعضها البعض.

العلاقات بين الشيعة والسنة في أود

كان موقف كل من الدولة والمجتهدين تجاه السنة يختلف بشدة عن نظرتهم للهندوس، فقد كانت الحكومة في أود تعتمد على الجنود من السنة بشكل أكثر ربما في القرن التاسع عشر، وكان السنة يسيطرون على مجموعات الجند التابعة للإدارات الحكومية، وقد أيد العلماء الأصوليين التحالف بين الشيعة والسنة ضد الهندوس واعترفوا بطهارة أولئك السنة الذين كانوا يحبون آل النبي (وهم الأكثرية في أود)، ومع ذلك فقد كان بعض زعماء السنة يمتعضون لسيطرة الشيعة ويرفضون التحالف المعروض عليهم

كذلك فإن التوترات بين الطبقات الاجتماعية وتأثير الحكم النيشابوري في مختلف المناطق في أود، بالاضافة الى حكم البريطانيين في المناطق المجاورة، كل هذا شجع الامتعاض من قبل بعض أفراد الجماعات السنية. وكان إصرار بعض العلماء الأصوليين على لعن الخلفاء الأوائل الثلاثة قد أغضب كثيراً من السنة وشجع على حدوث الشغب الطائفي.

وقد اهتم المسلمون في شمال الهند بالشيعة الإمامية وذلك خلال القرن الثامن عشر، ورافق انتشار المذهب الشيعي انحطاط نسبي في ثروات السنة في آسيا الوسطى والهند المتركزة في دلهي، والمرتبطة بالامبراطورية المغولية المتداعية.

وعلى الرغم من ان بعض الشيعة قد عانوا أيضاً فقد كان بإمكانهم ممارسة دياناتهم تحت الحكم الأجنبي أكثر مما كان تحت حكم المغول السنة، وكان السادة من الشيعة والايرانيون والسادة الأشراف من الهنود متحالفين جميعاً مع البريطانيين.

وكان الشيخ الصوفي شاه عبد العزيز، إبان انحطاط الحكم في دلهي يشكو من أن عدد من اعتنقوا المذهب الشيعي قلائل[١٨]، وقد ذكر الشيخ الصوفي «مولوي سامي»، وهو خصم لسيد ديلدار علي، أنه خلال عصره لاحظ ان كثيراً من العائلات السنية تتبع الطرق الشيعية في الصلاة أولاً وفي احتفالات الزواج والدفن وتقسيم الميراث (ووجد بعضهم قناعة تامة في الشرع أو الفقه الشيعي)، لكن «مولوي سامي» ذكر أن رجال الدين الشيعة كانوا متأثرين إلى حد كبير بالسنة، وهؤلاء في نظره لا يوثق بهم[١٩]، ومع ذلك فقد ظل الشيعة أقلية صغيرة.

ولما كان للمتصوفين النقشبنديين روابط وثيقة بالأفغان والأتراك فقد شجب زعماء هؤلاء بشدة التغيرات في الهيئة الاجتماعية في القرن الثامن عشر بما فيها نهضة الشيعة، وقد رد أتباع علي بقوة على الهجوم الآتي من دلهي[٢٠].

---

(١٨) شاه عبد العزيز دهلوي (غلام حليم)، تحفة اثنى عشرية (كلكته، دون مطبعة، ١٢٤٠/١٨٢٤ م)، ص ٢.

(١٩) سيد ديلدار علي ناصر آبادي «رد»، الورقة 4a -3a.

(٢٠) انظر مثلاً سيد ديلدار علي ناصر ابادي: سوانح إلهية وحسام الإسلام (كلكته، ١٢١٨/١٨٠٣)، المناقشات الجدلية قد لخصت في كتاب سيد أطهر عباس رضوي: شاه عبد العزيز، التزمت، الجدل الطائفي والجهاد (كانبيرا، ١٩٨٢) الفصلان ٥، ٦، ومن أجل معلومات عن فرع آخر من النقشبنديين في دلهي الذين كانوا في فترة من الفترات مندمجين في جدل حول الشيعة، انظر كتاب بقلم وارن ادوارد

وكان موضوع المجادلات يتركز على تفسير التاريخ الإسلامي المبكر والطقوس من خلال وجهة نظر تقليدية، وكانت النزاعات في داخل أود نفسها حول فضائل أو أخطاء الخلفاء السنة أبو بكر أو عمر ربما عكست التنافس على الثروة والقوة بين أصحاب الأراضي من مشايخ السنة الذين يدعون انهم من نسل الخلفاء الثلاثة الأوائل وبين السادة الشيعة الذين كانوا من نسل الإمام علي، وكثر التأليف حول المسائل الجدلية كل يدافع عن عقيدته، وكان كل من الأصوليين والإخباريين متحدين في هذا الموضع، وقد كتب الإخباري الشريف سبحان علي خان وهو وكيل وزير ضد السنة واشترك في كتاباته مع الفقهاء الأصوليين وكان يحذر ضد محاولات السنة في تقسيم الشيعة أو في إحداث انقسامات بين الشيعة، واعتبر سبحان علي خان أنه طالما أبو بكر وعمر لم يحاربا علي بشكل مباشر فأنهما لم يقعا في الكفر رغم ان الفقيه أو المجتهد سيد حسين ناصر آبادي قال بأنه ولو كان البعض لم يحاربوا علياً بشكل مباشر فإنهم يعدون من الكفار.

وكان موقف سيد حسين يمثل الطائفة الأصولية، فإن كلاً من سيد ديلدار علي وتلميذه قد دافعا عن مسألة لعن الخلفاء الثلاثة الأوائل في الإسلام(٢١).

أما الفرنجي محليين مثل مولوي مبين فرنجي محلي (توفي ١٨١٠)، وكانوا قد عمل في خدمة آصف الدولة لفترة قصيرة كقاضي في محكمة الجنايات في العاصمة، فقد كتب مرثاة (شهادت نامة) للإمام الحسين وكان يؤيد تفوق الإمام العالي(٢٢).

وكان الشيعة أكثر تسامحاً مع السنة منهم مع الهندوس، وقد كانت أسرة ناصر آبادي وأقرباؤه يعيشون بالقرب من مدرسة السنة، فرنجي محل حيث كان يدرس الكثير من الباحثين الشيعة وذلك من أجل تفهم العلوم العقلية، أما سيد ديلدار علي فقد أصر على معاملة السنة في أود كمسلمين ومساوين للشيعة. ورغم أنه وصف الأباطرة المغول بأنه مستبدون فقد كان يدعو إلى تقبل كل المسلمين في أود باعتبار أنهم متساوون أمام الشرع، وقد تمثل لهذا بالطائفة الإسلامية الأولى في المدينة حيث كان النبي (ص) لا يفرق بين المؤمنين الأوفياء والمنافقين في المعاملات الشرعية. وقد كتب في كتاب له فيما بعد وكان موضوعه حول ملكية الأرض، فميز بين السنة (مخالفون) الذين اعترفوا بخلفاء آخرين غير علي لكنهم لم يعارضوا حول حقوق آل النبي (ص)، وبين الأعداء للأئمة من السنة (نواصب)، وقد كان يقول إن كلا الفريقين من السنة قد أخطأ من الناحية الروحية(٢٣).

واعتبر «سيد ديلدار علي» أن السنة الذين لم يكونوا يحملون ضغينة ضد آل البيت من الأطهار دينياً، رغم أنه ألحّ على أن يرعى الشيعة أولئك الحرفيين من السنة. ومنع رجال

فاسفيلد Warren Edward Fusfeld «تشكل المشيخة الصوفية في دلهي، النقشبندية المجددية، من ١٧٥٠ - ١٩٢٠: رسالة دكتوراه من جامعة بنسلفانيا، ١٩٨١).

(٢١) حيدر علي فايز آبادي: رسالة المكاتيب في رؤية التآليب والغرايب، مخطوط فارسي في مجموعة كورزون Curzon Coll.، رقم 1069، الورقة 8a-b, 14a-b المكتبة الجمعية الآسيوية في كلكته.

(٢٢) من أجل مولوي مبين، انظر رحمن علي: تذكرة علماء الهند (لكنو، ١٩١٤) ص ٢١١ - ٢١٢. وأبو طالب الاصفهاني: تفضيح الغافلين (ترجمة هوي - لكنو ١٩٧١) ص ٥٦ - ٥٨.

(٢٣) سيد ديلدار علي ناصر ابادي: أحكام الأراضين، ورقة 13a-b 60a-b.

الدين الشيعة من أن يتزوجوا نساء من السنة النواصب وهم الذين يجاهرون بعداوتهم وشتمهم للأئمة، كذلك كانت لديهم بعض التحفظات بالنسبة للتزوج من السنة حتى من أولئك الذين يعتبرون بنظرهم من المعتدلين.

وكان فقهاء أو مجتهدوا الشيعة يعتبرون انه رغم ان الرجل الشيعي بإمكانه الزواج من أي امرأة يهودية أو مسيحية او مسلمة سنية، ولكن ما من امرأة من الشيعة بإمكانها الزواج من شخص غير شيعي. وكان يعتبر أن مثل هذه المصاهرات ربما تجلب أفكاراً سيئة من الناحية الدينية للعائلة، وعلى الرغم من المواقف المتشددة بين العلماء، فإن الزواج كان يحدث بين السنة والشيعة[٢٤].

وكان الكثير من السنة يعملون في دواوين حكومة أود وأحياناً كانوا يحرزون نجاحاً كبيراً هناك، وفي عام ١٨١٥ طرد غازي الدين حيدر وزيره الأول آغا مير معتمد الدولة وأوكل أمر الشؤون العامة إلى ميرزا حاجي، وعلي خان، ووكيل هذا الأخير ويدعى مير خودا بخش[٢٥].

وقد كتب «أرديستاني» Ardistani فقال إن مير خودا بخش قد ذهب إلى حد بعيد في لعن الخلفاء السنة وأمر بحفر أسمائهم على الصخور في أماكن غير نظيفة، وكان يجبر كثيراً من السنة على اعتناق المذهب الشيعي[٢٦].

وربما كانت إحدى الوسائل التي استخدمها الخدم السنيين لمحاربة «خودا بخش» ورؤساؤه هي الإعلان عن اختلاسهم من اموال الدولة[٢٧].

وقد أفسحت الإخبارية التقليدية في تعاملها وتوافقها مع السنة الطريق أمام الأصولية، وهناك تناقض كبير في سياسة الأصوليين تجاه السنة وهو أن الفقهاء أو المجتهدين كانوا يدينون العقيدة السنية ولكن يهدفون إلى إقامة علاقات منسجمة مع السنة، ولكن إصرار عوام الشيعة على لعن الخلفاء السنة وذم عقائد السنة ظل مستمراً.

السيد أحمد راي بريلي والنضالية السنية النامية

حصل الشيعة في أود على كثير من النفوذ والثراء، وكان أثرياء الشيعة اكثر الأشخاص الموجودين ثراءً، في حين أن فقراء الشيعة كانوا ينالون من صدقات الحكومة التي لم تكن تمنح للسنة أو الهندوس، وقد احتج السنة على ذلك كما تحدث عن ذلك باركين[٢٨] Parkint. وتوضح الحركة الإحيائية النقشبندية التي تزعمها السيد أحمد من راي باريلي Rai

(٢٤) سيد ديلدار علي ناصر آبادي: نجاة السائلين. ص5b-6a، 16b، مشرف علي لكنوي: بياض مسائل ٣/٢٦، ٦٥.

(٢٥) سيد عباس أرديستاني، الحصن المتين في أحوال الوزراء والسلاطين، مجلدان، مخطوط 235a، 235b الاول ص ٤٥ ـ ٤٦، الأرشيف القومي الهندي، نيودلهي.

(٢٦) بهادور سينغ: يادكاري بهادوري، مخطوط فارسي بأرشيف إله آباد255، الورقة 605b. وأرديستاني: الحصن المتين الاول ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٢٧) اردستاني: الحصن المتين ١/ ٤٥ ـ ٤٦.

(٢٨) ف. باركين: الماركسية ونظرية الطبقات (نيويورك، مطبعة جامعة كولومبيا، ١٩٧٩) ص ٧٤.

Bareli في الفترة ما بين عامي ١٨١٧ ـ ١٨٣١، تأثير الطائفية ذات الأسلوب الذي يعود إلى دلهي على مجتمع أود، ورغم أن للحركة تأثير على بيشاور أكثر مما له على أود، فهناك بعض التعليقات عليها هنا، فقد كان السيد أحمد المولود عام ١٧٨٦ من أسرة في أود تنتمي إلى مدينة راي باريلي وهي ذات تاريخ يدل على قيامها بأعمال عسكرية في الخارج والخدمة كلياً كمشايخ صوفية[٢٩]، وكان ضمن تلاميذ الصوفيين أشخاص أفغانيين من المدن المجاورة، وفي القرن الثامن عشر كان الجنود من الأفغان قد قدموا إلى أود وجلبوا معهم شعوراً معادياً للشيعة من بلادهم، وفي أوائل القرن التاسع عشر كان الشيعة في بيشاور لا يستطيعون الإقرار بعقيدتهم، وكان الأكثرية من السنة يمنعونهم من اتخاذ النصب التكريمية لمرقد الإمام الحسين[٣٠]، وقد اندمجت الجماعة العسكرية الأفغانية في الثقافة المحلية، وشكلوا تحالفاً مع العائلات الإسلامية القديمة بواسطة الاتصال بأصحاب الطرق الصوفية المحلية، وبدأت الطريقة النقشبندية المتمركزة في وسط آسيا منذ القرن الثامن عشر، بدأت في تركيز دعائمها بين بعض السادة في ضاحية «راي باريلي»، وقد اتبع بعض السادة الآخرون المذهب الشيعي[٣١].

وكانت الصوفية النقشبندية رابطة في العلاقات بين النخبة السنية التي أخذت تضمحل في القصبة، وبين الأفغان الجدد، أما في شمال الهند حيث المعاملات الشيعية والهندوسية أحدثت تأثيراً كبيراً على المسلمين المحليين، فقد أخذ يبدو أن هناك نوعاً من الإصلاحية من جهة خيبر Khyber.

وعلى الرغم من أن راي باريلي كان في منطقة بيسوارا Baiswara فإن الجماعات السنية المسلحة المتمركزة في المدن الصغيرة عانت من تدهور مالي في أوائل العشرينات من القرن التاسع عشر، كذلك فقد عانت الكثير من القصبات في شمال الهند من نفس المصير[٣٢].

ووجد احد الباحثين ويدعى (باتر) Batter في عام ١٨٣٠ أن (راي باريلي) أصبحت مدينة ضعيفة لا تحوي من السكان إلا ٨ آلاف نسمة، ومنهم فقط حوالي ٥٠٠ ـ ٦٠٠ مسلم، وقد انخفض المستوى الاقتصادي لها، ووجد بضعة معابد هندوسية جديدة مما يفسر بعض الثراء في المجتمع، إلا أنه لم يلمس وجود مساجد جديدة، وكانت المتطلبات المتزايدة لكبار جامعي الضرائب (شاكلادار) Chakladars الذين عينوا في لكنو وقد أجبر التجريد من الملكية الرأسمالية من ماهاجان Mahajan لمغادرة البلاد، كذلك فإن مُلاّك الأراضي في المنطقة لم يسمحوا بجعل الطرق المائية المتاحة لراي باريلي، مستعملة للتجارة بسبب الضرائب العالية التي كان على السفن دفعها للمرور في أراضيهم[٣٣].

---

(٢٩) من اجل سيد أحمد راي بريلوي، انظر أ.أحمد: دراسات في الثقافة الإسلامية في البيئة الهندية (أوكسفورد، ١٩٦٤) ص ٢٠٩ ـ ٢١٧.

(٣٠) تاريخ مملكة كابل تأليف م.إلفنستون، مجلدان (كراتشي، طبعة معادة) ١٩٧٢، الاول ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠، وص ٤١٧.

(٣١) مثلاً: أبو الحسن ناصر آبادي (توفي ١٧٦٨)، وهو شيخ نقشبندي، انظر علي، تذكرة العلماء، ص ٣.

(٣٢) بايلي: المدينة الصغيرة والجماعة الإسلامية، والمدينة في جنوب آسيا (لندن، ١٩٨٠) ص ٣٠ ـ ٣١.

(٣٣) دونالد باترButter: مخططات طوبغرافية واحصائية لأود (كلكته: ١٨٣٩) ص ٨٥ ـ ٨٨، ١٣٣ ـ ١٣٤.

كذلك فقد عانى صغار ملاك الأراضي من السنة من الناحية السياسية، أما الفرص المتاحة للأعمال العسكرية والبيروقراطية خارج المنطقة فقد ضعفت بسرعة لدى غزو شركة الهند الشرقية لشمال الهند، وقد كان الراجا الهندوسي في تيلوي Tiloi يدفع في بيسوارا Baiswara، ضرائب منخفضة إلى لكنو وقد حصل على كثير من الاستقلال الذاتي لما ضعفت الحكومة المحلية وقد كان الرابحون هم من السادة الشيعة مثل ناصر آباد الذين أتى منهم السيد ديلدار علي، وقد اعتنق ثلاثة أرباع السادة من عائلة ناصر آباد المذهب الشيعي في القرن الثامن عشر بعد أن كافأهم بمنح من الأراضي من قبل النواب آصف الدول[٣٤].

أما السيد أحمد الذي أصبحت أسرته في (راي باريلي) فقيرة نتيجة لضعف وضع المدينة، فغادرها مع بعض أتباعه الآخرين وبحثوا عن أعمال بسيطة في لكنو فعملوا فيها، وأخيراً وجدوا عملاً مع أحد السادة الأشراف، ولكن السيد أحمد لم يعجبه مثل هذا العمل فغادر إلى دلهي حيث استخدم علاقات أسرته بالصوفيين ليصبح تلميذاً للشاه عبد العزيز شيخ الطريقة النقشبندية.

وفي عام (١٨١٢) تطوع في خدمة جيش النواب أمير خان مع المرتزقة، الذين حاربوا الانكليز لمصلحة قبائل أو جماعة الماراتا Marathas في وسط الهند حتى عام ١٨١٧ حينما وجد السيد أحمد نفسه مرة أخرى دون عمل مريح أو مناسب بالنسبة له[٣٥].

وقد سافر السيد أحمد خلال الفترة من ١٨١٧ ـ ١٨٢١ وتجول في شمال الهند كشيخ صوفي، وكغيره من المجددين في الخط النقشبندي الذي أسسه الشيخ أحمد سرهندي في القرن السابع عشر، فإن السيد أحمد راي بريلوي قد هاجم عقيدة وحدة الوجود والاستماع الى الموسيقى، وحاول أيضاً أن يحذف بعض الزيادات الشيعية والهندوسية لدى أتباعه من السنة، واعتبر من الخطأ تفضيل علي على الخلفاء الآخرين، أو تكريم الإمام الحسين أكثر من غيره من صحابة النبي (ص) الأولين، وأخيراً هاجم صنع نماذج مصغرة من قبر الإمام الحسين، اما بالنسب لممارسات الهندوس فقد شجع على زواج النساء الأرامل ومنع عبادة الأسلاف، وقد كان لحركته أثراً اجتماعياً إذ أنه اعتبر كل الرسوم المفروضة على صغار التجار والكسبة أمراً ضد الإسلام[٣٦].

وعلى الرغم من نجاحه في اجتذاب تلاميذ له من بين الأفراد الشباب في أسرة شاه ولي الله في دلهي، إلا أن سيد أحمد لم يكن كزعيم جماعي في أود بالرغم من مكانته عند بعض الجماعات السنية، فقد رفض السنة (الزمين داريه) Zamindars تعاليمه الدينية، كذلك فإن مشايخ الصوفيين في سالون Salon أيضاً رفضوا مقترحاته، وقد وجد «باتر» Butter أن المسلمين في أود كانوا أقل انجذاباً نحوه من أولئك الموجودين في روهيلكاند Rohilkand

(٣٤) نفس المرجع، ص ١٠٩ وما بعدها، سيد محمد علي: مخزن أحمدي (أغرا، ١٢٩٩/١٨٨٢) ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٣٥) سيد محمد علي: مخزن، ص ١٢ ـ ٣٤.

(٣٦) سيد محمد اسماعيل، سيرة المستقيم (دلهي، ١٣٠٨/ ١٨٩٠) ص ٤٣ وما بعدها و ص ٥٧ ـ ٥٩، ٦٥، ٩٧.

الى الشمال، أو في البنغال في الجنوب الشرقي[٣٧].

وتابع أحد تلاميذ سيد ديلدار علي نشاطات سيد أحمد في منطقة دوب العليا Doab ويدعى هذا التلميذ شرف علي خان[٣٨]، وذكر أن النصب التي أعدها أتباعه الصوفيين في سهارانبور Saharanpur قد أحرقت من قبل سيد أحمد، إلا أن الشيعة في المنطقة احتجوا بشدة على ذلك، ومن ثم طرده البريطانيون، فتوجه عندئذ إلى ميروت Meerut، لكن القاضي البريطاني هناك كان قد سمع عنه فطلب منه مغادرة البلد. (وربما كان السيد محمد قلي كينتوري وهو موظف في المحاكم الشيعية في ميروت قد ساعد على إبعاده)، فتوجه إلى (رامبور) إلا أن العلماء السنة هنالك عارضوا تعاليمه، وكان النواب أو الحاكم في ذلك الوقت سنياً فأمره بالرحيل، فأقام فترة قصيرة في باريلي Bareilly، وبعدها عاد إلى مسقط رأسه في أود لفشله في إيجاد قاعدة آمنة له في الهند البريطانية ولفشله أيضاً في جذب رعاية حاكم مسلم.

وفي أكتوبر (محرم) من عام ١٨١٩ وقعت حوادث عنف في ضاحية راي باريلي Rai Bareli بين النقشبنديين الإحيائيين وبين الشيعة، وكان السادة الشيعة من ناصر آباد المسيطرون قد أخبروا أبناء عمومتهم السنة الذين لم يسيطروا إلا على واحد من أحياء المدينة الأربعة، بأنهم يعتزمون توجيه اللعنات بصراحة للخلفاء في حي السنة، فأرسل السنة إلى سيد أحمد في راي باريلي طلباً للمساعدة، فأجابهم بأن سيصل للمكان في مساء اليوم الثامن من محرم الذي سوف يحدث فيه اللعنات على الخلفاء، وقام بجمع جماعة من السنة من راي باريلي ومن الأفغان الذين قدموا من جهان آباد، وكانوا تلاميذاً صوفيين لأفراد أسرته منذ أجيال، وتوجه إلى ناصر آباد مصحوباً بمئتي رجل.

وهنا اضطرب الشيعة وأرسلوا في طلب النجدة من لكنو، من المجتهد الأكبر السيد ديلدار علي، وكان احد المخبرين في الضاحية قد أرسل أخباراً عن الاضطراب بسرعة كبيرة إلى الحاكم في أود وهو غازي الدين حيدر الذي حول الأمر إلى وزيره الأول معتمد الدولة، الذي رغب في تطويل الاضطرابات لإقناع المقيم البريطاني بأخذ المنطقة وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه من نظام، ومن ثم أرسل جنوداً من أود إلى السيد أحمد، وأمر سيد ديلدار علي بعدم التدخل، فوصل الجنود إلى ناصر آباد وأجبروا الشيعة على التعهد بعدم سب الخلفاء علناً، مما اعتبره مؤيدو السيد أحمد انتصاراً لهم[٣٩].

وكدعوة للسلام دعا الوزير الأول السيد أحمد إلى لكنو حيث التحق بالسادة الأشراف وألقى الخطب لمدة أسبوع، إلا أن التلاميذ الأصوليين للسيد ديلدار علي والسنة من فرنجي محلي، اعترضوا عليه، وعلى الرغم من كونه شخصية بارزة إلا أنه لقي قليلاً من النجاح في

(٣٧) باتر: مخطوطات ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٣٨) مشرف علي لكنري، إزاحة الغي في رد عبد الحي مخطوط بمكتبة المكتب الهندي (لندن) باللغة الفارسية الورقة ١٢٠b ـ ١١٢a.

(٣٩) سيد محمد علي: مخزن أحمدي ص ٤٦ ـ ٥٢.

نشر تعاليمه بين الجماعات، إلا أن البتانيون (وهم أفغان مقيمون في الهند) عبروا عن موافقتهم له، وأجبروا الحكومة الشيعية على التعامل معه بلطف، وقد نصحه رفاقه بعدم التهجم على الشيعة، وأثناء تواجده في لكنو خوفاً من العنف، لكنه مع ذلك أخذ يمدح خلفاء السنة(٤٠)، وما لبث السيد أحمد أن رحل مع سبعمائة من أتباعه إلى مكة بقصد الحج في عام ١٨٢١ ليؤكد عقيدته، وهناك التقى بالأفكار الدينية الإصلاحية لأتباع ابن عبد الوهاب من العرب لكنه كان قد اتبع خطى عقيدته الصوفية الإصلاحية.

وعاد هؤلاء إلى أود، ولكن في عام ١٨٢٧ توجهوا بحرب مقدسة ضد طائفة السيخ، وما لبث غازي الدين حيدر أن أرسل تقريراً بهذا إلى المقيم البريطاني الذي كتب حول ذلك إلى كلكته يقول: إن شخصاً يدعى سيد أحمد قد أحدث رعباً لدى ملك أود، وهو سينضم إلى أعداء الحكومة(٤١).

لكن حاكم أود قال إنه لن يلقي القبض على سيد أحمد خوفاً من عدم إطاعة الجند أو انضمامهم إليه، فسمح له بمغادرة أود بهدوء بعد أن أخبر الحكومة البريطانية بذلك، وبعد انقضاء خمسة سنوات في محاربة السيخ ومحاولة تأسيس البوختون Pukhtuns إلى الشمال من مكانهم، قتل هو وأربعمائة من مقاتليه في أيار من عام ١٨٣١ في كشمير من قبل جيش يقوده ابن رانجيت سينغ «Ranjit Singh» وبمساعدة بعض الهندوس (الزامندار) الخائفين من تجنيد سيد أحمد لحوالي ٣ آلاف من الفلاحين المسلمين إلى ثورته في المنطقة(٤٢).

وقد كانت حركة سيد أحمد راي باريلي النقشبندية «المحمدية» تمثل احتجاجاً دينياً واجتماعياً ضد انهيار القوة السياسية للسنة، وفساد المدن السنية، وخضوع الفلاحين من السنة إلى البريطانيين والهندوس والسيخ، وعلى الرغم من كونه رجلاً مدنياً فقد حاول دعم الجماعات المسلمة والفلاحين الذين كان يتهددهم سلطان السيخ(٤٣)، وجعل من منطقة البنجاب مسرحاً لحركة مستقبلية ضد البريطانيين والشيعة في أود.

وقد دعمه من الناحية المالية مالكو الأراضي من الأفغانيين الذين استقروا بالقرب من دلهي، وكانوا قد استاءوا من تقدم السيخ ومن الحكم البريطاني، واستقر سيد أحمد في بيشاور Peshawar(٤٤)، وأزعجت دولته النقشبندية الأكثرية من الهندوس في شمال الهند، وهكذا فإن بعض المحاولات من الطبقات المتوسطة والمتدنية من السنة ضد الشيعة في أود لقيت الفشل.

وكتب بعض المؤلفين فيما بعد عن التأثير المحدود للحركة في شمال الهند، ولم يلتفتوا إلى تأثيراتها على المجتمع والاقتصاد والثقافة.

---

(٤٠) سيد محمد علي: مخزن أحمدي ص ٥٢ وما بعدها. ومحمد جعفر تهانيسري: سفينة أحمدي (لاهور ٩١٤) ص ٣٣ ـ ٣٧،

(٤١) أرشيف حكومة الهند ٧ جون ١٨٢٦.

(٤٢) أرشيف (FDPC) ١٧ و١٨ مايو ١٨٣١، و١٧ جنوري ١٨٣١ رقم ٣٩، ٤١.

(٤٣) انظر إ.ج. هويسباوم E.J.Hobsbawm: ثورات بدائية: دراسات في الحركة الاجتماعية في القرنين التاسع عشر والعشرين، نيويورك، ١٩٥٩، الفصول ٢، ٤، ٥.

(٤٤) أشرف: الإحيائيون المسلمون ص٧٧ ـ ٧٨.

القضايا السنية، الشيعية في أود ما بين عامي ١٨٢٧ - ١٨٤٧

كانت النزاعات العنيفة بين الشيعة والسنة في أود إبان القرن التاسع عشر قد اعتمدت جزئياً على قرارات سياسية من قبل جماعات حاكمة أو جماعات دينية، وقد أصبح الفقهاء أكثر إلحاحاً على مسألة سب الخلفاء بشكل علني، وكان هذا سبباً من أسباب العنف، وذلك بعد تأسيس دولة شيعية مستقلة عام ١٨١٩، ولما كان كثير من السنة يحترمون آل البيت ويشاركون في عزاء محرم، فقد كان سب الخلفاء من مميزات الشيعة، وكان السبب الآخر من أسباب العنف والنزاع هو أن سلطة الحكومة لعبت دوراً، فقد كانت حوادث العنف تزيد حيث الحكومة تقمع السنة بالقوة العسكرية، وعندما كانت الحكومة تضع جنداً لمنع حوادث العنف لدى الاحتفالات بمحرم كان العنف يقل.

أما السبب الثالث الذي أدى إلى زيادة الاشتباكات السنة فهو الرد السني القوي على إهانات الشيعة.

وحدثت اشتباكات شديدة بين السنة والشيعة في العشرينات من القرن التاسع عشر إلا أن العنف تعادل بين جماعات أود الدينية، وقد كتبت «مسز علي» أنه أثناء شهر محرم كانت كل مدينة كبيرة في الهند تشهد مشاحنات شديدة تنتهي بسفك الدماء[٤٥]، وترافقت الاضطرابات المدنية المتكررة في أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر بانخفاض في المستوى الاقتصادي في شمال الهند، واتخذ حكام أود خطاً شيعياً شديداً فلم يلتفوا كثيراً إلى تهدئة السنة والهندوس. بل إن علماء فرنجي محل الذين كانت لهم علاقات حسنة مع الحكومة لقوا صعوبات، واضطر أحدهم ويدعى مولانا حيدر في عام ١٨٢٤ إلى مغادرة أود بعد نزاع مع الملك حول أمور دينية[٤٦]. وفي عام ١٨٢٠ كان الوزير الأول آغا مير قد سمح بتوجيه اللعنات من قبل الشيعة في الأسواق خلال شهر محرم، وكان الشيعة أيضاً يتحدثون إلى الهندوس وكان الناس يخشون من التجول في الأسواق، ولما كان الشجار ينشب كان البوليس الشيعي يقبض على الأشخاص الهندوس والسنة أكثر مما يعقب الشيعة[٤٧]، وفي عام ١٨٢٧ كان ناصر الدين حيدر وهو شيعي متشدد قد تبوأ منصب الملك.

وفي عام ١٨٢٨ تصادف شهر محرم مع شهر تموز الحار، وقد أصدر الملك تحذيراً قال فيه: «نأمر أولئك الذين لا يستطيعون تقبل اللعنات على الخلفاء، إما بترك المدينة أو الالتزام ببيوتهم»[٤٨]. وقد نشب قتال في العاشر من محرم في كربلاء مكارم نكر Karbala of Makarimnagar، حيث توجه كلاً من السنة والشيعة لدفن نعشهم، وتصادف أن أحد الأشخاص من جماعة ميواتيس Mewatis وهم متحولون إلى السنة الإسلامية من أصل

(٤٥) مسز مير حسن علي: ملاحظات حول مسلمي الهند (لندن، ١٩١٧) ص ١٤.

(٤٦) ر. علي: تذكرة العلماء ص ١٨٦، عبد الباري فرنجي محلي: آثار الأول (لكنو، ١٣٢١/١٩٠٣) ص ١١ - ١٢.

(٤٧) بهادور سنيغ: يادكاري بهادوري، مخطوط رقم 255 الأرشيف الإقليمي، إله آباد الورقة 605a.

(٤٨) من الأرشيف (حكومة الهند) ٢٩ جولاي ١٨٢٨ (FDPC) و٢٢ اوغست ١٨٢٨ رقم ١١.

هندوسي ميو Hindu Meo، وقد تذمروا من بعض الشيعة الذين التقوا بهم في كربلاء مكارم نكر، وهنا قتل أحدهم شخصاً شيعياً بطلقة رصاص، وبالتالي قتله الشيعة. فتجمع هؤلاء الجماعة من الميواتيس وكانوا كلهم مسلحين وجنود في المزار المذكور بأعداد كبيرة ومثلهم الشيعة أيضاً، وقد نتج عن المعركة ستة قتلى وتسعة من الجرحى[(٤٩)].

وقد غضب ناصر الدين حيدر جداً وأمر بجلب جنود الحكومة إلى حي الميواتيس، الذين فروا في نفس الوقت إلى أماكن بريطانية، وأمر الملك دارو جاه مظفر علي خان بإحضار المدفعية وتخريب مساكنهم، إلا أن مير فضل علي وزيره اعتبر هذا العمل مسيئاً وعارضه في ذلك، واشتبك الجيش في قتال حتى تصاعدت سحب الدخان من عودة الميواتيس Mewatis إلى اللصوصية في الأراضي البريطانية، واعترض على الملك الذي عارض تصرفاته وقال إن الميواتيس قد قاموا بعدوان، وبالتدريج أخذ العنف يقل، ولاحظ المقيم البريطاني أن الشيعة أدانوا سياسة الملك وأن «كل الطوائف الأخرى لديها تخوف مما يمكن أن يكون مصيرها في المستقبل»[(٥٠)].

وقد دام شهر محرم في ذلك العام أكثر من أربعين يوماً نظراً لقسم كان قد أخذه على نفسه الملك ناصر الدين حيدر عندما كان مريضاً، لكن المقيم البريطاني طلب من الملك ألا يستمر في هذا مما يضايق السنة والهندوس، وأقر الحاكم العام أن المقيم البريطاني كان له الحق في التدخل في شئون الميواتيس وعبر عن اهتمامه بسفك الدماء في كل من لكنو وفايز آباد[(٥١)]، وفي تموز ١٨٢٩ مر شهر محرم دون حوادث كبيرة، إلا أن ناصر الدين حيدر عاد فمدد فترة الاحتفالات الرسمية لمحرم إلى أربعين يوماً، وأقنع مظفر علي خان الملك بأنه يجب أن يتحدى المقيم البريطاني ليثبت سلطته واستقلاله، لكن الضغط من البريطانيين (الذين كانوا قلقين بأن العنف الديني سيشمل قواتهم)، وهكذا اضطر ناصر الدين حيدر أن يخفف من شدته في احتفالات محرم.

وعلى الرغم من أن الملك كان يتشاحن دائماً مع السيد محمد ناصر آبادي حول هذا الموضوع فإنهما كان يتفقان بعد ذلك، وقد سأل سيد محمد حول إمكانية السماح بشتم الخلفاء الثلاثة الأوائل علناً خلال شهر محرم نظراً لما يسببه هذا من منازعات، وهنا رد ناصر آبادي بأن الشيعة لا يمكنهم الرياء الديني في مجتمع يحكمه الشيعة (دار الشيعة)، وقال إنه في فترة أوائل الإسلام كان أعداءهم يشتمون الأئمة ولم يقف أحد امامهم[(٥٢)]، وفيما بعد كتب الكولونيل سليمان «Sleeman» وهو المقيم البريطاني الذي جاء بعد ذلك في أود أن سيد محمد اعتبر أن شتم الخلفاء ضرورة دينية بالنسبة للشيعة، وقد كتب سليمان بأنه رغم أن

---

(٤٩) انظر م. محتشم خان: تاريخ محتشم خان، مخطوط H.L.156، ورقة 200a -198a مكتبة خودا بخش الشرقية العامة في بانتا، ومن أجل ميواتيس انظر كتاب و. كروك: القبائل والحصون في المناطق الشمالية الغربية وأود، ٤ مجلدات (كلكته: مطبعة الحكومة، ١٨٩٦)، الثالث ص ٤٨٥ - ٤٩٥.

(٥٠) أرشيف (٢٩ جولاي ١٨٢٨).

(٥١) أرشيف (٣٠ جولاي ١٨٢٨) [FDPC] و٢٢اوغسطس ١٨٢٨ رقم ١٢.

(٥٢) مشرف علي لكنوي، تحقيق، «بياض مسائل»، الثالث ص ٢٣ - ٢٤، ٩٠.

الشيعة كانوا يرددون هذه الشتائم بصوت هامس في ظل أرض يحكمها البريطانيون خوفاً من الحكومة، إلا أنهم كانوا في أود يرددونها بصوت عال بتشجيع من الحكام الشيعة، وعبر ناصر آبادي عن عدم استحسانه بتوجيه الأشعار الهازئة والتي تهجو الخليفة السني «عمر» (٥٣)

وأخذ بعض السنة في اتباع ما اتبعه الزعماء الدينيون الشيعة في فترة الثلاثينيات من القرن التاسع عشر وفي عام ١٨٣٣ استقر أحد العلماء السنة من دلهي في مدينة لكنو ويدعى ميرزا أحمد فاروقي، وكان يروي مأساة كربلاء في موعظته بعد صلاة الجمعة، وقد وصلت أخبار الموعظة إلى الزعيم النقشبندي في دلهي رشيد الدين الدهلوي، فكتب رسالة إلى فاروقي يؤكد له فيها أن استشهاد الحسين ليس مسألة تخص السنة، وهنا طلب سيد محمد ناصر آبادي من العالم السني في لكنو ان يصدر حكماً في هذا الشأن فرد المفتي ظهور الله فرنجي محل مفتي المحكمة الدينية بحكم هو أن استشهاد الحسين أمر مشكوك فيه[٥٤].

وهنا انتقد سيد محمد ناصر آبادي السنة الذين لم يعتبروا الحسين شهيداً، ومن اعتبروا أن الخليفة الأموي يزيد خليفة بحق، ومن قالوا بأن رواية أحداث كربلاء في الخطب تظهر عدم الاحترام لصحابة النبي (ص)، وفي هذه الفترة بالذات أخذ السنة أيضاً يمدحون نفس الأشخاص الذين لعنهم الشيعة، فكتب مولوي تراب علي لكنوي Turab Ali Lankhavi (١٧٩٨ - ١٨٦٤) رسالة حول فضائل الإمام السني الثالث «عثمان»، وكان قد درس العلوم العقلية إلى جيل من العلماء السنة والشيعة[٥٥]، ومن ناحية أخرى دافع بعض الأشخاص من السنة عن الحداد على الإمام الحسين، فكتب «عبد الوحيد» من فرنجي محل كتاباً، أباح فيه ممارسة محرم بالنسبة للشيعة، كذلك فقد شجع غريب شاه، شاه جهان بوري، وهو شيخ صوفي وزامندار له ميل للشيعة، تلاميذه ومريديه على تشييد النصب لمرقد الامام حتى بعد أن ترك غيرهم من البتانيين هذه الطقوس[٥٦].

وقد أخذت تنشب منازعات بين السنة والشيعة، وذات مرات مرة صرح الشوشتري بأن الشخص غير الشيعي يلوث المسجد الشيعي إذا دخله[٥٧]، وقطع أمجد علي شاه (حكم من عام ١٨٤٢ - ١٨٤٧)، وهو طائفي، معاشات كل من الهندوس والسنة، واستخدم موظفون من الشيعة في وظائف حكومية رئيسية، وقد منع السنة والهندوس، لأنه كان يعتقد أنهم غير

(٥٣) وليام سليمان William Sleeman: تاريخ الأسرة الحاكمة في أود، مطبوع مستنسخ R131، ص ٦٥n، المكتب الهندي، ومشرف علي خان، تحقيق، بياض مسائل، الثالث ص ٢٤، وعبد الحليم شرار، كذشته لكنو (لكنو، ١٩٧٤) ص ٣٦٠ - ٣٦١، مترجم، لكنو، آخر وجه لحضارة شرقية (بولدر، كولو، ١٩٧٦) ص ٢١٧.

(٥٤) سلامة الله، «رسالة مناظرة» مخطوط فارسي، مكتبة خودا بخش الشرقية العامة في باتنا H.L.1329. Panta، الورقة 2a-b.

(٥٥) السيد محمد ناصر آبادي: ثمرة الخلافة مخطوط فارسي رقم H.L.1325 بمكتبة خدا بخش - بتنا وعلي: تذكرة العلماء ص ٣٥ - ٣٦.

(٥٦) عبد الباري فرنجي محلي: آثار الاول ص ٢٥. نوكانوي: تذكرة ص ١٧٤ - ٧٦.

(٥٧) سيد محمد عباس شوشتري، تحقيق، الظل المحدود، مخطوط في مكتبة راجا محمود آباد، ص ٤٥٠ - ٤٥٩.

أطهار، من كتابة أسماء الله، والنبي (ص) واسم ابنته فاطمة أو الأئمة الاثني عشر على الخطابات الرسمية، واستأجر كتاباً من الشيعة لكتابه هذه الأسماء المقدسة، كذلك فقد أجبر «واجد علي» وهو الوريث الوحيد للعرش كثيراً من الكتاب السنة على اعتناق المذهب الشيعي[٥٨].

وأدت سياسة الحكومة في أود التي شجعها العلماء الأصوليين إلى إثارة عديد من حوادث الشغب العنيفة في فترة العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر مما سبب الذعر للمقيمين البريطانيين، فتدخل البريطانيون لتأمين النظام، وخشوا من أن تستبعد الحكومة الشيعية الأقلية وتحل محلها دولة سنية أو هندوسية أقل لطفاً تجاه البريطانيين، كما كانوا يخشون من إمكانية هروب بعض السنيين مثل الميواتيس Mewatis إلى أماكن بريطانية وتشكيل عصابات هناك.

وبعد عام ١٨٣٧ سعت حكومة أود بفعل تهديد من قبل البريطانيين إلى منع حوادث العنف بين السنة والشيعة، ففي الأربعينات من عام ١٨٤٠ عبر الشيعة عن انتصارهم من خلال الإنعام بالثروة والعمل والرعاية على الشيعة أكثر من السنة، واستثنوا السنة من المناصب المربحة (بما فيها منصب الوزير الأول)، وأثارت تدابير الأمن في المدن كثيراً من الاستياء لكنها أثارت امتعاض السنة الذي ظهر في الصراع الطائفي في عام ١٨٥٠ عند معبد هندوسي بالقرب من فايز آباد.

النزاع حول معبد فايز آباد والعلماء الشيعيين

لقد كان هناك تنازع حول معبد هندوسي ادعى السنة المسلمون أنه كان موضعاً لمسجد سابقاً، مما أدى إلى حرب أهلية في عام ١٨٥٥، وكان على الحكومة الشيعية والفقهاء أن يتخذوا موقفاً، وتكون كل الجماعات الدينية الرئيسية في أود معنية بهذا، كذلك فقد تدخل البريطانيون بشدة فهل زادوا في حدة النزاعات والتوترات؟ أم أنهم قاموا بمنع اشتعال النار بين السنة والهندوس؟

وقد بدأ النزاع في عام ١٨٥٥ عندما بدأ أحد السنة المتعصبين واسمه شاه غلام حسين حملة ضد المعبد الهندوسي في فايز آباد الذين كان مهدى إلى الرامايانا (هانومان) Haunman واشتبك أتباع شاه غلام في تموز من عام ١٨٥٥ مع آلاف من الهندوس في مذبحة للمتعصبين في مسجد لدى أيودهيا Ayodhya وهو ضاحية في فايز آباد، وقد أثارت أنباء هذا الصراع عاطفة كل من الشيعة والهندوس في شمال الهند، وأمرت الحكومة سيد علي ديوغاطافي Deoghatavi وهو إمام الصلاة في فايز آباد بزيارة المسجد والاستقصاء، وانتهى الأمر بتعيين موظفين شيعة إداريين من فايز آباد مثل ميرزا علاء علي فاتخذوا خطوات ضد الغوغاء لحفظ

(٥٨) راما ساهايا تمنا Rama Sahaya Tamanna: أفضل التواريخ (لكنو، ١٨٧٩)، ص ٩٢، وكتاب توتا رام شايان: تواريخ نادر العصر (لكنو، ١٨٦٣)، ص ١١٢، وكتاب ج.د. بهاتناجار G.D.Bhatnagar: لكنو تحت حكم واجد علي شاه (بنارس ١٩٦٨ ص ٥).

الأمن[٥٩].

وقد كان واجد علي شاه يستمتع بالاحتفالات الهندوسية والتمثيليات عن كريشنا Krishna لكنه شخص أصولي كان يعتقد بالحكم الشيعي والسلطة الشيعية، واستمرت عمليات التهدئة فيما بعد حيث حاول حاكم سلطانبور وفايز آباد ويدعى آغا علي خان بتهدئة المسلمين بينما حاول الهندوسي راجا مان سينغ Raja Man Singh أن يضبط الهندوس[٦٠].

إلا أن محاولات الحكام التوفيق أثارت الاستياء في لكنو بين الجماعات المسلمة بما فيهم المجتهد الأول السيد محمد ناصر آبادي، ففي ٢٤ أغسطس من عام ١٨٥٥ أم صلاة اليوم المقدس في الإمام بارة الكبيرة بحضور ولي العهد والوزير الأول وكثير من السادة الأشراف المقربين إلى البلاط الحاكم، وفي النهاية شجب الحاكم آغا خان علي وكل أولئك الذين أخذوا رشوات ليقفوا إلى جانب الهندوس، أما رد فعل سيد محمد فهو أن قال بحذر إن الدولة الإسلامية لها واجب بأن تضع نهاية لكل عمل شرير يقوم به الأشرار أو الكفار[٦١].

وقال إن على الدولة الشيعية أن تتدخل إلى جانب المسلمين، وفي ٣٠ أغسطس كان أوترام Outram المقيم البريطاني قد التقى مع الوزير الأول علي نقي خان، وحاولت حكومة أود أن تتجنب اتخاذ أي قرار ضد المسلمين أو الهندوس أو البريطانيين وذلك بأن أوكلت الأمر كله إلى المجتهد الأول، وقد اقترحت الحكومة أيضاً أن يكون التحقيق برئاسة آغا علي خان قد أُلغي وأن يحل محله سيد محمد ناصر آبادي. كذلك ألحّ الوزير الأول على أن دليل وجود مسجد مكان هامونان كارهي Hanumangarhi كان جيداً، إلا أن المقيم لام شاه غلام حسين وأتباعه على تشجيعهم للعنف، وسمح للمجتهد الأول بالاشتراك في التحقيق لكنه طلب أن يكون القرار النهائي بيد الملك، وما لبث أن عارض أحكام ناصر آبادي التي تتوعد الهندوس، وفسر علي نقي خان بأنه ما من رد آخر[٦٢]. وفي نفس اليوم أعلنت لجنة التحقيق الحكومية استنتاجها بأنه لا يوجد مسجد في الهانومان كارهي على الأقل في فترة الخمسة والعشرين عاماً الماضية أو الثلاثين، وربما لم يتواجد إطلاقاً[٦٣]. لكن حدث هرج في لكنو وتشكلت لجان أمن إسلامية، وكان شخص يدعى مولوي أمير علي أميتهاقي من بين العلماء السنة الذين كانوا يدعون للحرب المقدسة، كان هذا الشخص قد حضر من أميتي Amethi للالتقاء مع واجد علي شاه، وقد رغب الملك في تكريمه وإرسال ١٥ ألف روبية إلى مكة من أجله وقد وعده أيضاً بتأسيس مسجد إلى جانب المعبد[٦٤].

---

(٥٩) انظر كمال الدين حيدر مشهدي: قيصر التواريخ (لكنو، ١٨٩٦). ص ١١٠ ـ ١٢٥.

(٦٠) من الأرشيف Frontier Police, 20 Ang 1855, FDFC, 28 Dec. 1855, No:354.

(٦١) من الأرشيف: 8 Sept. 1855, FDFC, 28 Dec. 1855,NO 363.

(٦٢) مؤتمر بين الوزير والمقيم، ٣٠ أغسطس ١٨٥٥ FDFC, 28 Dec. 1855,No. 364.

(٦٣) الكابتن ج.ك وستون إلى المقيم في ٣٠ أغسطس ١٨٥٥، وباتر: مخطط طوغرافيا، ص ١٦٣ [١٨٣٩].

(٦٤) كانت الدعوة من قبل علماء السنة للحرب المقدسة تشمل عبد الرزاق فرنجي محلي، وبرهان الحق ومولوي تراب علي. انظر ميرزا جان: حديقة شهداء ص ١٨ ـ ١٩، ٢٤، وعن الصوفي عبد الرزاق انظر رحمن علي: تذكرة علماء ص ١١٨، وعن تراب علي انظر اردستاني الحضرة المتني ٢/١٣٢ ورحمن

وعاد مولوي أمير علي مرة أخرى إلى القصبة Qasabah مع مائتي رجل محتجاً، وفشل المبعوثون في إقناعه بالعودة إلى العاصمة، لكنه رضي بالبقاء شهر واحد ليرى ما إذا كان المسجد قد استعيد إلى جانب هانومان كارهي. وكان اقتراح واجد علي شاه هو بناء مسجد صغير إلى جانب المعبد وبحيث يكون مدخله من الجانب وبهذا يحفظ القدسية للهندوس في نفس الوقت الذي يكون فيه وفقاً لمتطلبات المسلمين، لكن بعض الهندوس رفضوا ذلك وهم من رجال الدين وفي نفس الوقت أخذ الملك يضغط على العلماء لدعم الحكومة في وجه التحدي الذي تتعرض له من جراء الحرب الدينية المقدسة[٦٥].

وظن المحاربون من السنة أن الملك يعتبر الهندوس من الأقلية (الذميين) في الشرع الشيعي وأنه يعتبر أن الحرب المقدسة (الجهاد) ممنوعة خلال غياب الإمام، وربما كان واجد علي يعتقد ذلك، لكن العلماء الأصوليون لم يكونوا كذلك، فأنكر سيد ديلدار علي حماية الأقلية الهندوسية باعتبار أنهم من الوثنيين، بينما العقيدة الحنفية بالنسبة للمغول السنية كانت توفر الحماية للهندوس، وكان الأئمة يعتبرون بالفعل أنه في غياب الإمام لا يستطيع أحد أن يقوم بحرب دفاعية، وقد كان الشيعة مع ذلك، منذ العصر البويهي يتبنون مكانة الحرب الدفاعية، وقد أكد الأصوليين في العراق وإيران على الجهاد في القرن التاسع عشر وذلك رداً للتهديد الروسي لإيران، فسمح سيد محمد ناصر آبادي بالحرب الدينية خلال غياب الإمام حيثما هوجمت ديار الإسلام، ولم يحدث وضع كهذا في فايز آباد ومن ثم فإن الشيعة لم يعلنوا الحرب ضد الهندوس بشكل حرب دينية[٦٦].

واستنبطت حكومة أود حكماً خاصاً من السيد محمد ناصر آبادي بسؤاله:

س: ما هي إرشاداتك تجاه أولئك الذين يذهبون إلى فايز آباد لمحاربة الهندوس؟ لأنهم يرغبون في الانتقام من أولئك الذين يتصرفون تصرفاً غير لائق تجاه المسجد والقرآن، ووفقاً للشريعة فهل يجوز لهم أن يذهبوا ويحاربوا وهل يثابون على عملهم؟ أم أن هذا لا يجوز؟

ج: إن مثل هذه الأعمال لا تجوز بدون إذن أو اشتراك السلطة الشرعية أو الحاكم الشرعي الإسلامي، والله أعلم[٦٧].

وقد كان الحاكم الشرعي بالطبع هو الملك، في حين أن الحاكم في الشرع الإسلامي هو الإمام ولكن سيد محمد عاد في حكم آخر فرد رداً أبعد من ذلك الرد، فقد قال:

«تحت هذه الظروف يكون الأمر بالجهاد غير وارد، ولكن السلطة لديها الحق في بناء المسجد ويجب على الفلاحين الهندوس ألا يعارضوا في ذلك»[٦٨]، وقد كان ناصر آبادي يتماطف مع حركة الجهاد، ولكنه كان يرغب في تجنب بعض الأمور بالضغط على الحاكم

علي: تذكرة ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٦٥) من الأرشيف: Govt. India,8 Sept. 1855, FDFC, 28 Des. 1855 no.360.

(٦٦) ميرزا جان: حديقة الشهداء ص ٤٠ ـ ٤١ ومشرف علي لكنوي: بياض مسائل ٢/ ٨٤.

(٦٧) مشهدي: قيصر التواريخ، ص ١٠٩.

(٦٨) «فتوى من المرجع الأكبر»، من الأرشيف ٢٨ ديسمبر ١٨٥٥ رقم ٣٨٩ FDFC.

حتى يتدخل ضد الهندوس بنفسه.

وقد عارض المقيم البريطاني نداء سيد محمد للملك من دفع المال فدية أولئك المسلمين الذين قتلوا في مسجد أيودهيا Ayodhya، لكنه حاول الاستفادة من أحكامه الأخيرة بالضغط على علي نقي خان نظراً لحظر المجتهد الأكبر للحرب المقدسة، ليعلن أن المولوي وأتباعه خونة يستحقون الموت، لكن الوزير الأول حذر بأن اتخاذ أي خطوة عسكرية يمكن أن يسبب سفكاً للدماء لا داعي له، كذلك فقد أنكر واجد علي شاه لأي نية من قبله لبناء مسجد مكان الجامع بالقوة لكنه سخر بالهندوس[٦٩].

وبحلول شهر اكتوبر سلم المقيم للملك تحذيراً بأنه سيكون مسؤولاً فيما لو سمح ببناء مسجد مجاور للمعبد أو إذا سمح للمسلمين بمهاجمة الهندوس، وفي سبتمبر كان هناك بعض أعمال سببت العنف الطائفي، وذلك خلال شهر محرم، وحدثت مشاجرات بين السنة والشيعة[٧٠]، وفي سيهالا Sihala هاجم رجال المولوي الهندوس وهاجموا المعابد لتخريبها، وقد فزع واجد علي وهنا أمر جنود من الهندوس بحراسة الهانومان كارهي[٧١].

وتوجه مولوي أمير علي عابراً المدن الصغيرة في طريقه إلى فايز آباد، وقد أنذر واجد علي حكامه وموظفيه بعقوبات شديدة فيما لو حاولوا دعم المولوي، وكان يعلم بأن جنوده من الشيعة في داري آباد Daryabad بإمكانهم المحاربة[٧٢]، وحدثت نقطة تحول في حوالي ٢٠ أكتوبر عندما توجهت جماعة من العلماء السنة بدعم من الحكومة إلى داري آباد للتفاوض مع مولوي أمير علي. وكان بينهم بعض المستخدمين في حكومة أود مثل المفتي محمد يوسف فرنجي محلي والمفتي سعد الله مراد آبادي وقام هؤلاء بدعم الحرب المقدسة بصلابة وخلقوا شقاقاً في صفوف العلماء السنة[٧٣].

وقام الكثير من أتباع مولوي بتهديده بالقتل إذا لم يتجه إلى فايز آباد في الحال، ولما انتهت المفاوضات في ٧ نوفمبر تقابل المحاربون مع ممثلي الحكومة من الشيعة واضطروا للإذعان[٧٤].

لقد اشتمل النزاع على الهانومان كارهي على أمور كثيرة فهناك الطبقة الاجتماعية وهناك الهوية الجينية طالما أن الحرب الدينية المقدسة كان يترأسها رجال الدين من السنة من أصحاب الطبقة المتدنية والمتوسطة وأتباعهم وقد تركوا متاجرهم أو أعمالهم للحاق بهذه الحرب وتحقيق أهدافهم.

وكان استياء هؤلاء السنة من الراجات الهنود الأثرياء والتجار الذين دعموا هانومان

---

(٦٩) من الأرشيف: 26 Sept. 1855. FDFC, 28 Dec. 1855 no. 391.

(٧٠) من الأرشيف: Govt.India, 20 Oct. 1855, FDFC, 28 Dec 1855. no.388.

(٧١) من الأرشيف: Govt. India, 4Oct 1855, FDFc 28 1855. no.394.

(٧٢) من الأرشيف: Govt. India, FDFC, 28 Dec 1855. no.417.

(٧٣) من الأرشيف: Govt.India, 19 Oct 1855, FDFC, 28 Dec 1855, no.420.

(٧٤) من الأرشيف: Govt.India, 20,26. and 31 Oct 1855, FDFC, 28DEC 1855, no.5 من الأرشيف، وميرزا جان: حديقة الشهداء، ص ٣٠، ٤٢ ـ ٤٨، وخادم أحمد فرنجي محلي، واعظ في الجامع، أيضاً ساعد الحكومة، انظر ر. علي: تذكرة العلماء ص ٥٦.

كاهي، كان من جراء خسارة القوة للسنة في أود الشيعية وزيادة النفوذ السياسي للهندوس(٧٥).

وكان لحركة أميتاقي الطائفية أثر في دعم العلماء السنة .

وتسبب الصراع في وجود انشقاق في الطبقة الشيعية الحاكمة، وقام العلماء الأصوليون بدعم أميتاقي، ووقف البريطانيون إلى جانب الهندوس(٧٦).

خاتمة

لقد اختلفت العلاقات الطائفية في أود إبان حكم النواب في القرن الثامن عشر عنها تحت حكم «الشاهات» في منتصف القرن التاسع عشر، وقد سمح آصف الدولة للهندوس مثلما سمح للمسلمين، فسمح للهندوس بالحج إلى إله آباد وسمح للشيعة بالزيارة إلى كربلاء، وكان المغول يعتمدون على تفوق المسلمين لكنهم كانوا يعترفون بحق الهندوس في الوجود، وكان الوسطاء بين الشيوخ الصوفيين ورجال الدين الهندوس قد كسبوا نفوذاً في البلاط الحاكم.

أما العلماء الأصوليون فقد حاولوا اعتبار الهندوس من الوثنيين الغير طاهرين، واعتبروهم طائفة. وكانت السياسة التي اتبعها علماء الشيعة تجاه السنة تشتمل على استثناء سنة مثل النقشبنديين والتساهل تجاه السنة الذين كانوا يشتركون في طقوس محرم، وباتجاه التحالف أيضاً مع السنة ضد الهندوس.

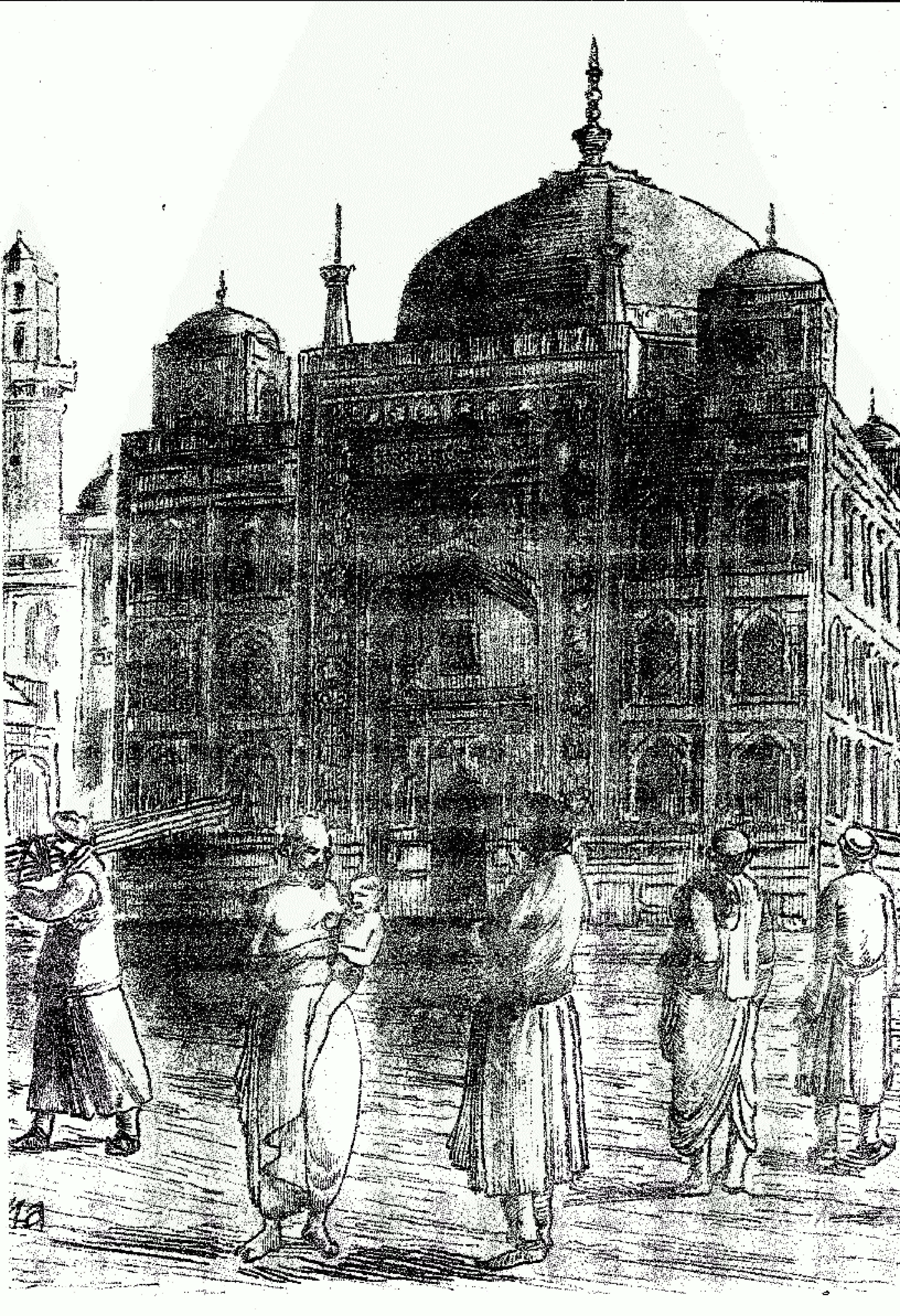
والحقيقة أن التحديات ضد الهيمنة الشيعية في أود لم تأت من الهندوس، ولكن من الحركات الطائفية السنية مثل تلك التي قام بها كل من سيد أحمد راي بريلوي وأمير علي أميتهاقي. وكان إصرار الأصوليين على سب الخلفاء وهو إصرار أكثر حدة بعد استهلال الدولة الشيعية لسلطتها مما أدى إلى ابتعاد كثير من السنة وساعد على إحداث حركة ارتجاعية، ولقد أفسحت السياسات الشديدة العداء للسنة تجاه الحكومة في أود خلال فترة ١٨٢٠، ١٨٣٠، المجال إلى كل من البريطانيين والضغوط الداخلية لكي تصبح أكثر ميلاً إلى الشكل الشرعي وذلك في فترة الـ ١٨٤٠، والـ ١٨٥٠.

وكانت السياسات الأصولية الطائفية سواء في وسط البلاد أو في أطرافها، التي تضمنت قوة كبيرة للراجات من الهندوس والتجار، مفسرة لكثير من الخيبة بالنسبة للسنة في فترة الخمسينات من القرن التاسع عشر.

---

(٧٥) مشهدي: قيصر التواريخ ص ١١٠.

(٧٦) Fusteld: Communal conflict in Delhi PP. 192- 98.



القسم العاشر

المجتهدون والغرب: منذ الملازمة ثم الانضمامية ثم الثورة

The Mujtahids and the West: From Accommodation to Annexation and Revolt

كان نمو دولة شيعية في أود قد حدث في زمن التوسع الاستعماري الاوربي، وكان الصفويون والدول الهندية الشيعية المتوسطة قد تعاملت مع التجارة الاوربية، الا ان أعداءهم الرئيسيون كانوا من السنة ذوي النفوذ في البلاد.

وكانت أود النيشابورية ومثلها قاجار الايرانية منذ أواخر القرن الثامن عشر، تتحرك وسط عالم يسيطر عليه البريطانيون من الناحية الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية[١].

وتحالف كل من الايرانيين واهل أود مع البريطانيين في وجه التهديدات الخارجية (الروس في ايران والمارتا والافغان في أود)، وكان كلا منهما يجدان في تحالفهما البريطاني تهديدا لاستقلالهما، وكانت أود وهي قريبة من كلكته، تشعر بالنفوذ البريطاني والضغط بشدة اكثر من ايران.

أما المقيمون البريطانيون في لكنو فقد كانوا اكثر من سفراء، وقد كسبوا النفوذ لدى السادة الاشراف في أود، وعلى اموال الحكومة وعلى الجنود البريطانيين المستأجرين في أود[٢].

وإن الاحاطة البريطانية بأود تثير التساؤل عن كيفية استجابة الدولة الشيعية للوجود الاوربي منذ أواخر القرن الثامن عشر من خلال الانضمام ثم الثورة التي حدثت مابين عامي ١٨٥٧ ـ ١٨٥٩. واتخذ بعض علماء الشيعة البارزين في ايران موقفا شديدا عداءاً ضد الروس في فترة العشرينات من القرن التاسع عشر، رغم أننا يجب أن نتحدث ايضا عن الحكاية الكاملة لملاقتهم المتشابكة مع القوى الغربية في النصف الاول من القرن التاسع عشر[٣]

---

(١) م. ي. ياب yapp، استراتيجية بريطانيا الهندية: بريطانيا، ايران، افغانستان، ١٧٩٨ ـ ١٨٥٠ (اكسفورد، ١٩٨٠) ج(١).

(٢) مايكل فيشر، التوسع البريطاني في شمال الهند: دور المقيم البريطاني في اود، المجلة الهندية للاقتصاد والاجتماع ع(١٨) (١٩٨١) ص ٦٩ ـ ٨٢.

كيف كان علماء الشيعة في أود ينظرون الى القوة البريطانية والاقتصاديات البريطانية وتأثير الرأسمالية والحركة التجارية؟ وكيف كانت استجابتهم الى التدخل البريطاني في شئون أود الداخلية، وكيف كان رد فعلهم تجاه الانضمام في عام ١٨٥٦؟ وماهو الدور الذي لعبه العلماء الشيعة في ثورة أود عام ١٨٥٧ - ١٨٥٩؟.

التأثير البريطاني

كان القرار الاستراتيجي الذي اتخذه حكام أود منذ عام ١٧٦٦ بالتحالف مع شركة الهند البريطانية الشرقية ذات الاساس البريطاني، ومنذ أن أخذ يعتمد على البريطانيين من اجل ضمان حمايتهم الخارجية وذلك بمعاهدتهم مع الـ ELC، وهي المعاهدة التي حددت قواهم المسلحة، وقد بقيت تحالفا كبيرا ووجدالحكام انفسهم اقوياء واستفادوا من هذا التحالف، وفي عام ١٧٧٤ طلب شجاع الدولة مساعدة الانكليز في ضم منطقة روهيكاند Ruhilkhand.

وبعد ذلك بعشرين عاما عاد شجاع الدولة فأقدم على مغامرة اخرى وهي غزو رامپور Rampur[٤]، وقد ذكر بارنيت Barnett انه بعد عام ١٧٧٥ اصبحت طلبات خزينة أود جشعة جداً، وفي عام ١٧٧٩ اصبحت المبالغ اربعة اضعاف وتبلغ حوالي نصف دخل الحكومة، الا ان السادة الاشراف في أود حاولوا اخفاء دخلهم المحلي وذلك لمقاومة المتطلبات البريطانية[٥]، وفي نفس الوقت الذي سعت فيه شركة الهند الشرقية لأخذ دخل من الحكومة، كان التجار البريطانيون يسعون لكسب الارباح من خلال الاسواق الاقليمية، وكسب المقيمون البريطانيون الاوائل في لكنو سيادة على معظم الصادرات المربحة في أود، وهي تجارة ملح البارود لصناعة البارود للبنادق، وسعى شجاع الدولة بعد ان ادرك سابق حال البنغال، فحاول ان يبقى تحت سلطته شركة الهند الشرقية والتجار الخاصون ولكنه لم يلق كثيرا من النجاح[٦].

وحاول التجار الذين استبعدوا من السوق الغنية في البنغال ان يتوسعوا في اود، وقد ذكر مارشال Marshell ان الواردات من البنغال الى أود قد تضاعفت في الفترة مابين ١٧٨٦ - ١٧٩٦، وتزايدت التصديرات الى كلكته حوالي خمسة مرات خلال الفترة نفسها فبلغت

(٣) حميد الجر Hamid Algar، الدين والدولة في ايران ١٧٨٥ - ١٩٠٦ (بركلي ولوس أنجلس، مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٩)، الفصل (٥).

(٤) من الارشيف، ورغم أن غزو رامپور اتى بعد أن عزل الاخوة السنيون حاكما شيعيا، وتكشف السجلات البريطانية ان آصف الدولة لم يكن يتعاطف مع الشيعة الذين قتلوا ولم تكن هناك دوافع دينية في الغزو.

(٥) ريتشارد بارنت Richard B.Barnett، شمال الهند بين امبراطوريتين (بركلي ولوس انجلس، ١٩٨٠)، ص ١٣١ وما بعدها، ومن اجل العلاقات السياسية بين أود وكلكته انظر كتاب ب. باسو P.Basu: أود وشركة الهند الشرقية من (١٧٨٥ - ١٨٠١)، لكنو، ١٩٤٣.

(٦) بارنيت Barnett: شمال الهند، ص ٨٣ - ٩٠.

خمسة ملايين روبية، وكان الاوروبيون ينقلون معظم هذه التجارة، وقد نمت قيمة البضائع الرخيصة المستوردة من كلكته الى أود ستة مرات مابين عامي ١٧٨٦ - ١٧٩٦ فبلغت ثلاثة ملايين روبية، كذلك فقد كان القطن الخام مادة اخرى للتصدير، وانتشرت ايضا زراعة النيلة (نيلة الصباغة) في منطقة دوبDoab في أود في تلك الفترة[٧].

وقد كانت الواجبات المرهقة والمراكز الكثيرة بالاضافة الى الخوف الدائم من نزع ملكية العقار تجعل حياة التجار الأوروبيين الذين انغمسوا في التوسع التجاري السريع، وكانوا يشكُون للمقيم من مخالفة الشرائع بالنسبة للمعاملة التجارية، ومن الواجبات الكبيرة في أود على الرغم من الاذن لهم المقدم من قبل المكتب التجاري[٨].

وقد تقدمت مساهمة اود في السوق العالمية باطراد، وفي عام ١٨٠١ ضم الجنرال العام ولسليWellesleyمايقرب من نصف الاقليم من النواب سادات علي خان بحجة أن حكومة النواب قد اصبحت عاجزة عن دفع الجزية لكلكته وان الضم يمكن ان يضم الدخل للبريطانيين، وهكذا أدت هذه الحركة الى جعل «المناطق الباقية» للحاكم محاطة من ثلاثة جوانب من قبل البريطانيين ومن جانب واحد من قبل نيبال والهمالايا، وهنا انهى وليسلي Wellesley اي عوامل اخرى وأزاح البريطانيين من التزامات عديدة[٩]، وكان موظفو شركة الهند الشرقية قبل ذلك بخمسة وثلاثين عاما قد شعروا بأنهم أكثر ضعفا من ان يستولوا على أود وكان يلزمهم بعض الوقت لتمكين قبضتهم على البنغال، ووجدوا ان التهديدات التي كانت تأتيهم من الماراتا والافغان يمكن معالجتها من قبل البريطانيين والقوات البريطانية المسلحة، وهنا خف احتياجهم الى اود كدولة قوية. وحاول ولسلي أن يؤكد تسلم الدخل الكبير بالاضافة الى الحصول على منافع استراتيجية[١٠]. وربما كان البريطانيون قد نظروا بجدية الى محاولة غزو من قبل الافغان.

وأدى الضم في عام ١٨٠١ الى ان تصبح اود مقسمة دولتين وبالاضافة الى ذلك اقتصادها مجزأ، وبقيت أود تحت حكم زعمائها من الهنود دولة زراعية ذات انتاج يعتمد على المطر فأنتجت محصولات وفيرة استفادت من تصديرها.

ومع هذا فقد حدث للمقاطعات تطورا سريعا، فقد ارتفعت الصادرات من القطن الخام الى الصين واصبحت الصناعات النسيجية تشكل جزءاً من مجموع الصادرات[١١]، وأخذ التكوين الطبقي للمنطقة المنضمة يتغير، فقد الح الموظفون البريطانيون الرسميون على ان يقدم اصحاب الاراضي دخلهم بواسطة تأمين مصرفي وبهذا يعملون على تقوية المصارف

(٧) ب. ج. مارشال، الاقتصاد والتوسع السياسي: قضية أود «مجلة دراسات آسيا الحديثة»، ٩ (١٩٧٥): ص ٤٦٥ - ٤٧٨.

(٨) من الارشيف.

(٩) باريث، شمال الهند، الفصل (٨)، أود، الفصل (٨)، وهناك نشرة معاصرة تنقد سياسة وللسلي الرأسمالية في كتاب «المحادثات عن القضية في أود» (لندن، ١٨٠٦).

(١٠) رود رانجش موكرجي Rudrangshu Mukherjee، التجارة والامبراطورية في أود من (١٧٦٥ - ١٨٠٤)، مجلة الماضي والحاضر ع(٩٤)، (١٩٨٢)، ص ٨٩ - ٩٠.

(١١) نفس المرجع، ص ٩٦.

التي كانت تضمن الدخول، وأدت هذه السياسة الى تحويل بعض صغار الزارعين الى اصحاب اراضي[١٢].

وأخذ الفلاحون ينشطون بزراعة نيل الصباغة للتصدير من خلال كلكته، ولكن كانت هناك صناعات نسيجية تضارب من قبل البريطانيين وذلك اثناء ثورة انكلترا الصناعية فأخذت تضر بصناعة الغزل وتؤثر على اسواق القطن المحلية، ولكن بنهاية الحروب النابوليونية، ارتفع طلب الاوروبيين على القطن الخام وأخذت زراعته في المناطق المذعنة تنتشر بسرعة، وأخذ البريطانيون يشركون النصف المنضم من اود الى الاسواق العالمية كمنتج كبير للمواد الخام، وكانت اسواق القطن والنيلة المتدنية بعد عام ١٨٢٨ قد أدت الى أزمة وسنوات جافة مثل عام ١٨٣٣[١٣].

وعلى الرغم من أن أود لن تفلت من نفوذ الرأسمال الاوربي ومن انتعاش الصناعات البريطانية فقد بقيت سوقا انفتاحيا من منطقة دوبDoab.

وفي عام ١٨٣٠ اخذت الحكومة تفرض الضرائب على التجارة البريطانية بغزارة، وكان على التاجر الذي يحمل منسوجات من مانشستر بين مركز بريطاني تجاري مثل كانبورKanpur ولكنو في مسافة خمسين ميلا فقط ان يدفع الضرائب لعشرين من اصحاب الاراضي بالاضافة الى رسم يدفع لدخول العاصمة، فأصبحت المنتوجات البريطانية تكلف في لكنو اضعاف ما تكلفه في كانبور، ورغم هذا بقي الطلب على البضائع البريطانية[١٤].

استجابة العلماء الشيعة للغرب

كانت الهيمنة الاوربية على شمال الهند تثير عديدا من القضايا الذاتية بالنسبة للسادة الاشراف من المسلمين الذين كانوا سابقا حكام المنطقة، وقد تطلع اصحاب الاراضي من السنة والاداريون في دلهي بعجز نمو امتداد الحكم البريطاني على العاصمة في ١٨٠٣، وقال احد الزعماء الدينيين المتكلمين مثل الصوفي السني شاه عبد العزيز دهلوي، ان الهند قد اصبحت دارا للحرب بالنسبة للمسلمين، وحدث تجاهل لقادة الامبراطور المغولي، أما المسيحيون فقادوا الضرائب والامور الخاصة بالقضاء، وكان بامكان السلطات المحلية ان تمهد للجوامع، واستطاع المسلمون مثل ولايتي بيجامVilayati Begam من بلد اسمها في فروخ أبادFarrukhabad، أن تأتي الى العاصمة بسماح من السلطات المسيحية البريطانية، وعقد الحكام المسلمون في كل من حيدر أباد وأود ورامبور المعاهدات مع البريطانيين، واقر

(١٢) ل. برينان L.Brennan، التغير الاجتماعي في Rohilkhand من (١٨٠١ - ١٨٣٣) مجلة التاريخ والاقتصاد الهندية ع (٧) (١٩٧٠) ص ٤٤٣ - ٤٦٥، وانظر ايضا كتاب برناردس. كوهن التغير البنيوي في مجتمع الهند الريفي، ١٥٩٦ - ١٨٨٥، في كتاب ر. فرايكنبرج Frykenberg محرر، ضبط الاراضي والبنية الاجتماعية (ماديسون، ١٩٦٩)، الفصل (٤).

(١٣) اسيا صديقي، التغير الزراعي في دولة الهند شمالي الهند: اتر براديش ١٨١٩ - ١٨٣٣ (اوكسفورد، ١٩٧٣)، الفصل (٥).

(١٤) من الارشيف.

دهلوي بأن البريطانيين سمحوا بإقامة صلوات الجمعة الجماعية ويوم العيد الا ان هذا لم يجعل من بريطانيا الهندية دارا للاسلام، اما الشاه عبد العزيز فلم يدع من اجل الحرب المقدسة ضد البريطانيين[١٥].

أما العلماء الشيعة الذين ظلوا في ما تبقى من اود كانوا ينظرون الى الوضع نظرة مختلفة، ففي بادىء الامر استمروا في النظر الى حكام أود كحكام مسلمين (وحتى عام ١٨١٩ عندما اعلن الاستقلال، كأول وزراء للامبراطورية المغولية)، واعترض رجال القضاء الامامية على فكرة انهم تحت حكم بريطانيا، وقام المجتهد الكبير سيد ديلدار علي ناصر أبادي في لكنو بتقسيم الاراضي في الهند الى ثلاثة أنواع، تلك التي هي تحت سيطرة الامبراطور السني المغولي (بما فيها أود)، وتلك التي يحكمها الكفار الذين يجب أن يعلن المسلمون عليهم الحرب (مثلا البنجاب تحت حكم السيخ)، وتلك الاراضي التي يحكمها المسيحيون البريطانيون.

وقد امر البريطانيين بالتعامل مع المسلمين وفقاً للدين الاسلامي والشريعة الشيعية[١٦]، ولما كان الشيعة يعتقدون ان الاتصال مع اشخاص من غير الشيعة مفسد للطهارة فإن الوجود البريطاني في شمال الهند ابرز بعض الصعوبات الاجتماعية، وتساءل شخص من ناصر أبادي عن امكانية حضور وليمة من قبل شخص مسيحي او يهودي، فأجاب بأنه من الافضل تجنب ذلك، وسأله شخص من المؤمنين عما اذا كان بإمكانه الصلاة في جوارب مصنوعة من اوربا، وقد وارب في الكلام ولكنه قال إن أي شيء مجلوب من مكان غير طاهر يكون فاسداً، ثم اعطى فتوى بأنه بالامكان لشخص ان يصلي في عباءة جلبها من الخارج وقبل ان يغسلها[١٧].

وسأل أحدهم ناصر أبادي عن السماح باغتصاب شيء من ممتلكات المسيحيين اهل الكتاب او غير المؤمنين وذلك بواسطة الغش وبالاضرار المالي لهم؟ فأجاب بأنه لايجد اي دليل على ان مثل هذا التصرف مع اهل الكتاب او غير المؤمنين وارد في زمن غياب الامام.

ولما ضغط رفاق ناصر أبادي عليه من أجل اصدار حكم حول شرعية العمل للبريطانيين في جمع الضرائب وفي التطبيب والدعاوى وما الى ذلك، لكنه أبدى بعض التحفظات رغم انه لم يرفضها بتاتاً، وسُؤل عن العمل مع البريطانيين فأجاب بأن الاستخدام لا يعني أن يقوم الشخص بأي أعمال غير مباحة مثل القتل او شراء المواد الكحولية او الخنزير، اما اذا كان

(١٥) شاه عبد العزيز، فتاوى عزيزيه مج (١)، (لكنو، ١٩٠٦)، ص ٣٢ ـ ٣٤، ومن اجل دراسة مفيدة عن الاحداث الفكرية الاسلامية في هذه الفترة، انظر كتاب ب. ميتكاليف B.Metcalf، الاحياء الاسلامي (برنستون، ١٩٨٢) الفصلان ١، ٢، وهناك دراسة تحليلة تفصيلية بقلم اطهر عباس رضوي، بعنوان شاه عبد العزيز (كانبيرا، ١٩٨٢).

(١٦) سيد ديلدار علي ناصر أبادي، رسالة في أحكام الأرضين، مخطوط في الفقه رقم ٢٨٤٢، الورقة 54a، انظر ايضا كتاب بقلم ان.ك. س. لامبتون: الدولة والحكومة في العصر الاسلامي الوسيط، اكسفورد، مط. جامعة اكسفورد، ١٩٨١، الفصل (١٢).

(١٧) سيد ديلدار علي ناصر أبادي، نجاة السائلين، مخطوط في الفقه الشيعي رقم ٢٥٦، الورقة 9a و 6a-6b بالمكتبة الناصرية.

العمل بسيطا مثل كتابة كتاب لشخص مسيحي او خياطة ملابسه فيكون مقبولا، واستند الى الآية القرآنية التي تقول: ﴿ولن يجعل اللهُ للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ السورة ٤: الآية ١٤٠، وذلك بصدد صعوبة قبول العمل المأجور مع شخص من الاوربيين، ومع هذا فلم يقل إن هذا حرام[١٨].

وهكذا كانت الحالة في العقد الاول من القرن التاسع عشر وهي تصور شعور الشيعة في أود تجاه استخدامهم من قبل الغرب، من قبل شركة الهند الشرقية، واضطر بعض السادة الاشراف وصغار ملاك الاراضي نظراً لضرورات اقتصادية، للعمل، خاصة بعد التسليم في عام ١٨٠١، وفضل البعض العمل مع النواب. وقام الاخوان تاج الدين حسين خان وسبحان علي خان بجمع الدخل لشركة الهند الشرقية في أجراAgra في السنوات الاولى من القرن التاسع عشر وحصلوا على معلومات عن المنتجين البريطانيين.

امام النواب سادات علي خان فقد طلب أن يأتي تاج الدين حسين خان الى أود، حيث استأجره بمبلغ ٣٠٠ روبية في الشهر، وغار منه سبحان علي خان فطلب من بعض السادة الاشراف التدخل له لدى الحاكم وأخيراً قدمت له وظيفة بمرتب ٢٠٠ روبية في الشهر[١٩].

اما العلماء الشيعة الذين تجمعوا في اطراف بنارس وفي اعالي منطقة دوبDoab، الواقعة تحت الحكم البريطاني، فكانت لهم دوافع اكبر لاقامة علاقات مع شركة الهند الشرقية، وقام مولوي ذاكر علي جونبوري (توفي ١٧٩٦) بتعليم احد المقيمن في لكنو، وكان السيد كلشان علي كانپوري (١٨٠٠ ـ ١٨٧٤) قد درس في لكنو على يد التلاميذ الاصوليين للسيد ديلدار علي، وعمل كقاضي في كانپور التي يحكمها البريطانيون ثم كجامع للدخل في المنطقة، وقد قبل وظيفة في الحكومة المحلية للمهراجافي بنارس، وزار العراق مرتين في عام ١٨٤٤ وفي ما بين ١٨٦٤ ـ ١٨٧١، وفي المرة الثانية قام بعمل كاتب للمقيم البريطاني في بغداد، اما ابنه الاصغر ويدعى سيد محمد هاشم فتوجه الى انكلترا لدراسة الرياضيات في عام ١٨٧٢ وخدم مدة كجامع للدخل (تحصيلدار) للحكومة البريطانية في جالونJalaun وأجراAgra[٢٠].

بل ان الشيعة من داخل أود كان لهم تعامل مع البريطانيين، فقد كان مثلا مير حسن علي (توفي ١٨٥٨) وكان يؤم والده الصلوات في بيت رئيس دائرة أود ألماز علي خان، كان يعلم الضباط البريطانيين اللغة العربية في كلكته، ثم علم اللغة الاردية في الكلية العسكرية في أديسكومبAddiscomb في انكلترا في الفترة بين ١٨١٠ ـ ١٨١٦، حيث تزوج من امرأة بريطانية وعاشا في لكنو فترة ثم عمل كجامع للدخل للبريطانيين في كانوجيKanauji، ثم ما لبث بعد ذلك أن عمل مع حكيم مهدي علي خان وهو من السادة الشيعة الذين كان لهم

(١٨) نفس المرجع، الورقة أ٢٤ ـ أ٢٣.

(١٩) سيد عباس اردبستاني، الحصن المتين في احوال الوزراء والسلاطين، مجلدان، مخطوط الاول ص ٥٤، نيودلهي، الارشيف القومي الهندي.

(٢٠) من اجل ذاكر علي، انظر كتاب محمد مهدي لكنوي كشميري: نجوم السما: تكملة، مجلدان، (قم، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م) ١/ ٢٦ ـ ٢٧.

اهتمام بنيلة الصباغة في مدينة فروخ آباد، وطلبت منه زوجته الطلاق عندما اكتشفت أن له زوجة اخرى، وعاد كمتقاعد من الحكومة البريطانية فانتقل الى لكنو في عام ١٨٤٣، حيث قبل وظيفة لدى حكام أود[٢١].

وهناك مثل آخر على هذه الظاهرة، فالسيد محمد قلي كنتوري (١٧٣٣ ـ ١٨٤٤) وينحدر من اسرة مستوطنة في المدينة الصغيرة كينتور في بارابانكي، وقد تجول كثيرا في شبابه بحثا عن العلم والمعرفة، ودرس في لكنو على يد سيد ديلدار علي كاصولي مجتهد، وفي عام ١٨٠٦ اشتغل مع الحكومة البريطانية في دلهي في ميروتMeerut كموظف قضائي، وقدم احكاما قضائية في حالات جنائية وفقاً للشرع الشيعي، وهو ما لم يكن يستطيع عمله في ذلك الحين في أود، وكان يكسب مبلغ (٤٠٠) روبية في الشهر ثم تقاعد عام ١٨٤١ [٢٢].

كان رجال الدين الشيعة لايعبرون الا عن قليل من العداء تجاه البريطانيين طالما ان شركة الهند الشرقية احترمت القانون الشيعي. وكان يعلم العلماء في البنغال في الكلية التي تسمى كلية هوغليHoogly، سعى هؤلاء الى حضور الاجتماعات «داربار»، لاستلام أثواب الشرف من شركة الهند الشرقية.

اما سيد ديلدار علي فقد منع العلماء من قبول أثواب الشرف التي تقدمها الحكومة البريطانية وقال إن هذا لا يليق بمكانة المجتهدين وهم ممثلوا الامام الغائب الثاني عشر[٢٣]. وربما لان العدد المتزايد من الشيعة الذين عملوا مع البريطانيين فإن أحد المجتهدين الكبار في لكنو اصدر حكما بصدد الاستخدام من قبل الاجانب، وسمح بأخذ راتب من قبلهم، إلا أن سيد ديلدار علي لم يكن يسمح بذلك، كذلك لم يكن يسمح باصدار احكام جائرة[٢٤].

ومع ذلك فقد تغيرت وتعدلت مواقف رجال الدين الشيعة كذلك فيما يتعلق باقراض المال من قبل المسيحيين، وقد سأل أحدهم سيد ديلدار علي فيما اذا كان بالامكان تقديم فوائد عن القروض الى الهنود (الكفار) واهل الكتاب (المسيحيون واليهود)[٢٥]، فأجاب بأن العلماء الشيعة قد توصلوا الى حكم بأن الفائدة يمكن أن تؤخذ من الوثنيين، ولكنهم اختلفوا حول امكانية اخذها من المسيحين او اهل الكتاب، وأخيراً أصدر حكمه بأنه من الافضل عدم أخذ ارباح من اليهود والمسيحيين، ومع ذلك فقد كان انصباب الرأسمال البريطاني في شمال الهند أولا من خلال التجار الخاصين في ما بين عامي ١٧٨٥ ـ ١٧٩٥، وبعد ذلك من خلال شركة الهند الشرقية ايضا منذ ١٨٠١، كل هذا جلب قرضا لاصحاب البنوك المحلية

---

(٢١) الارشيف، وانظر: الحسني: نزهة الخواطر، السابع ص ١٣٣ ـ ١٣٦.

(٢٢) اعجاز حسين كنتوري: شذوذ العقيان في تراجم الاعيان: ج٢/ 164a ـ 165b، الحصن المتين ١/ ٧ ـ ٨. محمد علي الكشميري: نجوم السما ٤٢٠ ـ ٤٢٣ (طبعة لكنو) نوكانوي: تذكرة ص ٢٩٢.

(٢٣) انظر الوثيقة المؤرخة ١٠ مارس ١٨٤٢ (FDFC) و٣٠ مارس ١٨٤٢ رقم ١٦٤ وكتاب عين حق نامه في رجال الشيعة ـ مخطوط رقم (١) بالناصرية (لكنو) الروقة 60b

(٢٤) في مشرف علي خان لكنوي، تحقيق، رياض مسائل، ٣ مجلدات، لكنو، دون مطبعة، ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥ ـ ١٨٣٦)، الثالث ص ١٠٢ ـ ١٠٣، هذه المجموعة من الاحكام تشتمل في معظمها على تلك الاحكام التي منعها سيد محمد وسيد حسين ناصر أبادي، أبناء سيد ديلدار علي، لكنها ليست منسوبة كلها شخصيا.

(٢٥) ناصر أبادي، نجاة السائلين، الورقة 23b.

واصحاب الاموال، ورغب التجار ايضا واصحاب الاموال في أن يستفيدوا من هذه القروض، لكن سيد ديلدار علي رفض أن يلطف من أغلاطهم، وقد كان كثيرا من التجار الشيعة يدينون ويستدينون بالفائدة، لكن هذا كان يشكل مشاكل اذا وصل الى المحاكم الدينية الاسلامية، وهناك مثال في قضية ميرزا رضا وهو ابن حاجي كربلائي محمد طهراني، ضد ورثة حسن رضا خان، الوزير السابق في أود، ففي أواخر عام ١٧٨٠ اقرض حاجي كربلائي لحسن رضا خان مبلغ ٢٢٨,٤٣٦ روبية كجزء من هبة من حكومة أود بمبلغ ٧٠٠,٠٠٠ روبية وذلك من اجل بناء قنال الماء في النجف، وأبرز ميرزا خان رسائل في المحكمة تبين أنها من الوزير وتعد بإعادة المبلغ في نوفمبر ١٧٩٢، لكن كلا من الدائن والمدين توفي قبل أن يحدث شيء[٢٦].

وقد حاول ميرزا رضا أن يعوض الخسارة من ملكية الوزير السابق خلال المحاكم الحكومية لنواب سادات علي خان في عام ١٨٠٦، وسأل الحاكم الايراني فتح علي شاه في التدخل مع حاكم أود لصالحه، وكتب ملك قاجار الى زمليه الحاكم الشيعي يدعم طلبات ميرزا رضا[٢٧].

وقد حول سادات علي خان القضية الى مفتي المحكمة الدينية وربما كان الفرنجي محلي مولوي ظهور الله (توني ١٨٤٠)، وطلب ميرزا رضا مبلغ ٢٢٨,٤٣٦ بالاضافة الى فائدة مقدارها ١٥٠,٠١٠ روبية، لكن المفتي عارض، وقال اولا إن تواريخ الرسائل والردود كانت مضطربة لذلك ليست موثوقة، ومن ثم فإن أخذ الفوائد غير مباح حسب الشريعة الاسلامية[٢٨]. وحدثت في الفترة من ١٨١٥ ـ ١٨٣٠ تطورات بين الشيعة الذين حرضوا على أن يتقبلوا الفوائد عن قروضهم الى الأوربيين رغم أن المحاكم الاسلامية لم تكن تقبل الفوائد بالنسبة للشيعة الاصوليين.

وكانت التغيرات في العلاقة ما بين الاقتصاد البريطاني والاقتصاد الهندي التي جلبتها الثورة الصناعية قد أدت الى وجود صناعة نسيجية مسيطرة على العالم وقد قويت بواسطة شركة الهند الشرقية[٢٩].

وفي نفس الوقت بدأت شركة الهند الشرقية في حربها المكلفة في ١٨١٤ ـ ١٨١٦، وكان هناك اتفاق في نوفمبر ١٨١٤ مع نواب غازي الدين حيدر على طلب الشركة لقرض بمبلغ ١٠ ملايين روبية للمساعدة في الانفاق على الحرب، ثم بعد اربعة اشهر عاد فوافق على مبلغ ثاني بعشرة ملايين روبية ايضا[٣٠].

---

(٢٦) حسن رضا خان الى حاجي كربلائي محمد، ٢٦ ربيع الاول ١٢١٣هـ، ولتفاصيل اخرى انظر، ج. كول: الاموال الهندية والمدن الشيعية المقدسة في العراق، ١٧٨٦ ـ ١٨٥٠، سلسلة دراسات شرق اوسطية (٢٢)، رقم ٤(١٩٨٦).

(٢٧) ملك ايران لوزير أود، دون تاريخ (من الارشيف). ١٤ اكتوبر ١٨٠٦ (FDFC)، ١٦ اكتوبر ١٨٠٦ رقم ٢٥

(٢٨) من اجل ظهور الله انظر رحمن علي، تاريخ علماء الهند (لكنو، ١٩١٤)، ص ٩٩ ـ ١٠٠، وكتاب عبد الباري فرنجي محلي، آثار الاول من علماء فرنجي محل (لكنو: ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣، ص ١٦).

(٢٩) من الارشيف: Govt.India, 21 Nov. 1814, FDFC, 13 Dec 1814, no.10.

(٣٠) من الارشيف: Govt.India, 25 July 1826, FDFC, 18 Aug 1826, no.8.

وعلى الرغم من ان غازي الدين حيدر لم يبدي أولاً اي تذمر بالنسبة للقروض، نظرا لنقض آراء سيد ديلدار، الا انه أخذ بعد ذلك يتذمر، وقد استمرت حكومة أود بعد ذلك في تقديم القروض الى شركة الهند الشرقية، واستمرت الفائدة بمنح دينية الى الاماكن الشيعية المقدسة في العراق او في اعمال عامة في أود[٣١].

وسرعان مابدأ (محمد علي شاه) الذي وضعه المقيم البريطاني على العرش بالقوة المسلحة في عام ١٨٣٧، بدأ هذا في مشروع عمراني، بعد تبوئه العرش بفترة انفق مبلغ ٢٠٠ الف روبية لبناء الامام بارة الحسينآبادية في مكان غير بعيد عن الامام بارة الكبيرة[٣٢].

الا ان الملك لم يسمي العلماء الشيعة اوصياء على الامام بارة ومسجدها بل كان هذا الشرف يعود الى السادة الاشراف الكبار مثل سيد امام علي خان وعظيم الله خان وسلالتهم بعدهم[٣٣].

وكانت الظروف الدينية تعيق استفادة افراد الطبقة الحاكمة في أود بالاشكال الجديدة للثراء.

واشترك كثير من السادة الاشراف في أود في الدخول في طبقة البورجوازية الجديدة، ومنهم مثلا حكيم مهدي علي خان كشميري وهو من عائلة كشميرية قدمت الى دلهي في مستهل القرن الثامن عشر وتزوج من اسرة تنتمي الى مشايخ صوفية والتحق بالاعمال الجديدة، وتوجه والد مهدي الى فايز آباد من دلهي في زمن آصف الدولة، وبعد وفاته ظهر مهدي كطبيب بين السادة الاشراف في لكنو، ولما اصبح ثريا بدأ في امتلاك اراضي في خير أباد وباهربيش وجوندا، وفي عام ١٨١٩ امره آغامير (وزير غازي الدين حيدر) بالمغادرة الى خير أباد، وذهب خوفا من خزينة الحكومة يشتري الارض في فروخ آباد من البريطانيين[٣٤]. وفي فروخ آباد كانت اسواق النيلة تزدهر في ميروت وأجرا وفروخ آباد، وفي عام ١٨٢٠ كون حكيم مهدي علي خان شركة في تجارة النيلة مع وليام مورتون[٣٥].

واسس مهدي علي خان مصنعا فيه ثلاثمائة عامل واخذ يجلب الصوف من كشمير[٣٦]، وكان للحكيم احترام كبير مما جلب الوقار للعلماء الشيعة، نظرا لبنائه مسجد للصلاة في فروخ آباد ورعايته للعلماء الشيعة من عام ١٨٢٤ من وجهة نظر كشميرية[٣٧].

واستمر سيد ديلدار علي في موقفه من مسألة أخذ القروض من الاوربيين، لكن ابنه

---

(٣١) كمال الدين حيدر حسيني مشهدي: سوانحات سلاطين أود (لكنو، ١٨٩٦) ص ٣٥٥.

(٣٢) من الارشيف: Govt.India, 13 Mar. 1839, FDFC, 12 June 1839, nos. 38-40

(٣٣) من اجل عظيم الله خان: دارخانه ديوانْ خانه، انظر صافي احمد، ملكا أود (عليكره، ١٩٧١) ص ٣٠.

(٣٤) اورديستاني، الحصن المتين، الثاني ص ١٨٢ ـ ١٨٣، وإدوار س. آرشر، رحلات في اعالي الهند، مجلدان (لندن، ريتشارد بنتلي، ١٨٣٣) الاول: ص ٥٠ ـ ٥١، وكتاب و. هـ سليمان: رحلة في مملكة أود في ١٨٤٩ ـ ١٨٥٠، مجلدان (لندن)، الثاني ص ٧٧.

(٣٥) اسيا صديقي، التغير الزراعي في دولة الهند (اكسفورد، ١٩٧٣) ص ١٤٢، انظر ايضا الصفحات ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٣٦) فاني باركس Fanay parkes جولات حاج (مجلدان، لندن ١٨٥٠)، الثاني ص ١٦ ـ ١٧.

(٣٧) كشميري، نجوم الاول ص ٣٨٨ ـ ٣٩٠، الثاني ص ١٢٩ ـ ١٣٠، وكتاب نوكانوي تذكرة، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢، الحسني، نزهة الخواطر، السابع ص ٣٣٢.

سيد محمد وهو المجتهد الاول في لكنو قرر ان ينقض حكم ابيه، فاقر بإمكانية أخذ الفوائد من اشخاص وثنيين، وكذلك بالنسبة للمسيحيين واليهود[٣٨]، وكانت الفكرة حول المجتمع التي كان يحملها المجتهدون الشيعة ليست تقليدية (اي ان الاصولية كانت مدرسة جديدة في أود)، وليست متوازنة، واظهرت الامامية الشيعية قابليتها للتكيف مع الرأسمالية الجديدة، مثلها مثل المسيحية في عصر اوربا للتوسع التجاري، وهكذا اصبحت نماذج الاحكام الشرعية اكثر بورجوازية، ومثلها الفكرة الاجتماعية التي تكونت لدى الطبقة الدينية[٣٩].

وتكيف رجال الدين الشيعة مع كثير من الاشياء في الغرب لكن رجال الدين المختصين كانوا يرفضون العلم الحديث، ولكن من ناحية اخرى كان هناك اشخاص مفكرين مثل تفضل حسين خان كشميري وسيد محمد هاشم جونپوري، الذين كانوا دائمي الاهتمام بالعلم الغربي، وترجمت بعض الاعمال العلمية الى الفارسية، وحصل شخص يدعى مظهر علي جائزة من الجمعية الاسيوية في البنغال على بحثه بالفارسية في علم الكوزموغرافي (علم البحث عن نظام الكون). الذي حوى جزءاً من المفاهيم الغربية الكوبرنكية في هذا العلم، لكن أحد أبناء سيد محمد ناصر أبادي وهو سيد علي اكبر كتب مقالة بعنوان: البرهان الثابت في دحض حركة الارض، الذي كان يمثل موقف رجال الدين، ونظر سيد محمد الى العلوم الدينية على انها ثانوية بينما العلوم الدينوية كانت اهم شيء، واستشار كثير من السادة في أود الشخص البارز في مراد أباد الذي أخبر كولونيل سليمان أن التلسكوب لم يكن شيئا اذا كان يقول بأشياء مخالفة للقرآن الكريم، وعندما وصلت اخبار التلغراف الى أود في عام ١٨٥٠، تضايق العلماء[٤٠]. ومع ذلك فقد تقبل المصلحون في شمال الهند بطبيعة الحال بعض العلم الاوروبي، فما لبث المفكر السني سير أحمد خان الذي عارض بادىء الامر مسألة الكوبرنيكية ثم ما لبث ان اتبع العلم الحديث والآراء الحديثة، وهناك شخص آخر من ابناء سيد محمد أبادي وهو سيد علي محمد «تاج العلماء»الذي هاجم بشدة تفسير سيد احمد خان العقلاني للقرآن الكريم[٤١].

ومارس العلماء ايضا بعض الجدل الفكري، وكانت معظم هذه الجدليات مكتوبة بالعربية او بالفارسية بأسلوب اصولي عقلاني، وهناك حادثة تبين المجادلات التي كان الشيعة يقومون بها مع المسيحيين في أود، وقد أخبر المبشر جوزف وولفJoseph Wolff في عام ١٨٣٣، الملك ناصر الدين حيدر في أود بأن المسيح ربما يعود في مدى بضعة سنوات وانه يعرف هذا التاريخ وهو(١٨٤٧)، وقد عين الملك مجادلة علنية بين الارسالية وبين سيد

---

(٣٨) مشرف علي خان، تحقيق، رياض مسائل، الثالث ص ٢٦، وقد وقعت الفتوى من قبل سيد محمد.

(٣٩) ماكس ڤيبر Max Weber, The protestant Ethic and the spirit of Capitalism, (New York 1958)

(٤٠) الجمعية الاسيوية، البنغال، الى مظهر علي، ١١ اغسطس ١٨٤٥ لكنو، فلم ٦٢، ٩، من اجل موضوع سيد علي اكبر ضد الكوبرنكية، انظر: الدليل المتين في ابطال حركة الارض، انظر سيد محمد المهدي الكاظمي، أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة (نجف: المط. الحيدرية، ١٩٦٩)، ص ٤٤.

(٤١) انظر س. و. ترول: C.W.Trall، سيد أحمد خان (كراتشي: مط. جامعة اكسفورد، ١٩٧٩) وكتاب اليساندرو بوساني Alessandra Bausani « سر سيد احمد خان (١٨١٧ ـ ١٨٩٨) في مجلة الدراسات الشرقيةRivista degli Studi Orientaoli ٥٤ (١٩٨٠) ص ٣٠٣ـ٣٠٨.

محمدناصر أبادي، وفيه فسر وولف كتاب دانيالDaniel ليبين ظهور المسيح. لكن سيد محمد الذي كان يدرك روح الانسان قال ان المسيح قال انه ما من انسان يعرف يوم يبعث، ورد وولف بمهارة بأنه لم يقل الساعة واليوم بل السنة، لكن سيد محمد الح على انكار هذا، وهكذا أخذت تنتشر كتابات دفاعية شيعية عن وجهة نظر اصولية في أواخر ١٨٣٠ اثرت على الجدل المسيحي ـ الاسلامي في فترة بقية القرن[٤٢].

وعلى نقيض المجادلات الحادة ضد البريطانيين من قبل بعض المسلمين الا ان موقف بعض العلماء الشيعة الكبار في أود تجاه الاوربيين كان يسير في تكيف تدريجي، فقد أخذ بعض المجتهدين في لكنو يعملون مع البريطانيين كقضاة او جباة للدخل، وكانت اسر العلماء الكبار تحصل على البضائع من شركة الهند الشرقية او تعتمد على رعاية الاشراف الذين كانت رواتبهم نتيجة القروض لها، وقد عارضوا بعض الطرق البريطانية والعلم الاوربي في القرن التاسع عشر، بل منعوا بعض انواع المستحضرات المستوردة.

المجتهدون والمقيمون البريطانيون من ١٨٤٢ ـ ١٨٦٥

لما انتقل رجال الدين الشيعة الى الوظائف العامة في فترة الاربعينات من القرن التاسع عشر اصبحوا مهددين بنظام توسّعي من قبل الرأسمالية البريطانية وذلك في منتصف القرن التاسع عشر، واصطدموا في عملهم في القضاء الحكومي، مع الاداريين البريطانيين الذين يريدون اما ضم أود أو حكمها.

وكان لدى كثير من العلماء الكبار استثمارات في الحكومة البريطانية، وكان هناك بعض الميل نحو المركزية تحت حكم امجد علي شاه في منطقة الريف حيث ثار معظم اصحاب الاراضي الكبار[٤٣].

وكان أمجد علي شاه قد أدهش المقيم البريطاني الذي كان قد سمع بتعصبه للشيعة، فعندما وضع المقيم البريطاني التاج على رأس الملك الجديد أخبره بأن الحكام السابقين رفضوا تسمية انفسهم (غازي)، أي (محارب من أجل العقيدة)، ورد الملك بأنه يحق له أن يضع كلمة غازي على خاتمه[٤٤]، واستمر الملك في رأيه واستطاع اتخاذ الاحتياطات لمنع أي شغب عام[٤٥].

وقد تذمرأمجد علي شاه باديء الأمر من رغبات البريطانيين واصطدم في صراع قوي معهم على السلطة، وكان قد قدم في بداية عهده مبلغ ١,٠٠٠,٠٠٠ روبية على قرض ٥٪ لمساعدة عمليات الافغان والسيخ، وبالفعل كان هناك استيلاء تدريجي على منطقة البنجاب، ووصلت أخبار الاستيلاء على لاهور الى لكنو في العاشر من محرم ورغب البريطانيون في الاحتفال بضرب المدافع للتحية الا ان الملك عارض، ثم عاد فقبل[٤٦]

(٤٢) محمد عباس شوشتري: المعادن الذهبية ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٤٣) ت. ميتكالف: الارض، اصحاب الارض، والراجا البريطاني، ص ٣٢ ـ ٤٣.

(٤٤) من الارشيف: Govt.India, 18 May 1842, FDFC, 15 June 1842, no.37.

(٤٥) من الارشيف: Govt.India, 13 Feb. 1843, FDFC, 15 Mar. 1843, no.29.

وكانت هناك وظيفة الوزير التي شغلها امين الدولة الذي كان يفضله المجتهد الكبير ولكن كان المقيم يعارضه، ثم انتخب وزير آخر ورشحت خمسة اسماء (من بينها منور الدولة ومعين الدولة)[٤٧]، واستمر تدخل المقيم في مثل هذه التعيينات[٤٨].

وعين المقيم البريطاني فيما بعد عندما أدرك وجود بعض الاضطراب في منطقة الريف وبعض التقصير في الداخل، نائب الوزير سيف الدولة ليوجه القضاء[٤٩]، وهنا اصطدم القضاة المجتهدون مع المقيم حول مناسبات عديدة[٥٠].

ووصل الخلاف مع حكومة أود مرحلة كبيرة وذلك بوصول سليمان Sleeman الى لكنو كمقيم بريطاني، وانغمس المجتهدون في مثل هذه النزاعات، وكانت احدى المنازعات بشأن محاكمة محمد حسين خان، حاكم (ناظم) بهاريشBahraich، وكان مدينا لرامدت بانديRamdut Pandey وهو رأسمالي في المنطقة بمبلغ ٨٠,٠٠٠ روبية[٥١]، وقيل انه أغوى الهندي وضغط عليه لمبلغ آخر من المال ولما رفض باندي قتله ليهرب من الدين السابق[٥٢] [٥٣].

وطُلب من سيد محمد ناصر أبادي التدخل[٥٤]، وقد بين كاتب السيرة الذاتية لسيد محمد ناصر أبادي أنه من الجائز أن يدفع المؤمن مالا عن تسببه في قتل شخص وثني[٥٥].

وقد دافع واجد علي شاه عن عدالة المجتهد الكبير وكان قد قرر الحكم بالاعدام على أحد خدم الوزير في قضية قتل[٥٦] [٥٧] [٥٨]، الا انه لم يقل ما إذا كانت القضية تخص شخصا من الهندوس ايضا ام من الشيعة، واصطدم (سليمان) مع سيد محمد علي في قضايا اخرى في الفترة التي كان فيها مقيما بريطانيا.

---

(٤٦) أرديستاني: الحصن المتين، الثاني ص ١٤٣، ومشهدي: سوانح، ص ٣٨٤.

(٤٧) انظر راماسهاياتمنا: افضل التواريخ (لكنو: ١٨٧٩)، ص ٩٤، من اجل السياسة حول هذه الفترة انظر أحمد: ملكان في أود.

(٤٨) من الارشيف: Govt.India, 29 Sept. 1845, FDFC, 29 Nov. 1845, no.186.

(٤٩) المرجع السابق.

(٥٠) مثلا سيد محمد باقر ألح على وضع المجرمين في السجون وكان المقيم البريطاني قد وعد بألا يسجنهم انظر الوثيقة ٢١ ابريل ١٨٤٧ في FDFC.

(٥١) من اجل العلاقات بين البريطانيين في هذه الفترة، انظر جون پميل: الراجا، والثورة الهندية ومملكة أود، ١٨٠١ - ١٨٥٩ (نيودلهي: مط. جامعة اكسفورد، ١٩٧٩)، الفصل (٤)، وكتاب ديفي سينها Devi Sinha، العلاقات البريطانية مع أود، الفصول ١٤، ١٥، وحول الادارة في المقاطعات ومحمد حسين خان، انظر فيشر: البلاط الامبراطوري ص ١٦٩ - ٢٠٠.

(٥٢) سليمان: رحلة، الاول ١٣٠ - ١٣٥.

(٥٣) كشميري، نجوم، الاول ص ٢٥٢.

(٥٤) نفس المرجع السابق.

(٥٥) تقرير المجتهد ٦ سبتمبر ١٨٥١ (FDFC)، كشميري: نجوم، الاول ص ٢٥٢.

(٥٦) Govt.India, 20 Sept 1851, FDFC, 24 Oct 1851, no.182

(٥٧) 6 Oct. 1851, FDFC, 24 Oct 1851, no.192.

(٥٨) واجد علي شاه (كلكته ١٨٥٦) ص ٤١.

وناضلت ادارة أود في فترة الاربعينات والخمسينات من القرن التاسع عشر ضد تزايد المتطلبات البريطانية للسيطرة، والتزام العلماء الشيعة كقضاة أو وكلاء للاشراف في الحكومة الى جانب ملوك أود، وحاولوا التخلص من سيطرة المقيم وتدخله، وكان اصرار المجتهدين على استخدام الشرع الشيعي رغم إعتباره غير الشيعة مواطنون درجة ثانية، مما اثار عدد من الاصطدامات مع المقيمين، وفي آخر صراع كبير حول الهانوما ن كاريHannmangarhi اتخذ علماء الشيعة الجانب الاسلامي ضد الهندوس(٥٩).

ضم مملكة أود الى التاج البريطاني

كان قنصل البريطانيين في أود يهدف الى تأمين ضبط البلاد، وكانوا يفكرون في استثمارها لمصلحتهم دائما(٦٠). وكانوا دائمي الخوف من الاضطرابات في أود مثل تلك التي حدثت بين المسلمين والهندوس حول الهانومان كارهي(٦١)، وكان دالوزيDalhousie بعد أن ترك وظيفته لصالح لورد كانتخLord Canning في جانپوري عام ١٨٥٦، ضغط على المجلس في كلكته من اجل تمويل البريطانيين من أود، وقدم المقيم البريطاني (أوترام)Utram، المعاهدة في ٣٠ يناير لحكومة أود التي رفضتها فيما بعد، وبعد تسعة ايام كان دالوزي قد ضم البلد وكتب يقول: وهكذا فإن ملكتنا الموقرة اصبح لديها ١,٣٠٠,٠٠٠ جنيه من الدخل اكثر من الماضي(٦٢). وبهذا اصبحت أود النيشابورية (أود) البريطانية.

واصيب الشيعة بخيبة أمل، وفي ٧ شباط امر واجد علي شاه اتباعه باطاعة البريطانيين مدعياً بأنه سيتجه الى لندن لمقابلة الملكة فكتوريا، وطلب من سيد محمد ناصر أبادي أن يتمكن بفرصة من النجاح(٦٣)، وكانت ردود فعل العائلات من العلماء الشيعة مختلفة بالنسبة للضم، ومن ناحية اخرى بقي مولوي سيد اعجاز حسين كينتوري كاتبا في مكتب الوزير الاول، وذلك لتنظيم البيرقراطية تحت الحكم القضائي البريطاني(٦٤).

وفي كثير من الاحيان كان البريطانيون لايقدمون للعلماء الشيعة فرص للاستمرار في عملهم وقد جردوهم من وسائل الدفاع عن نظام المدرسة الشيعية بحجة انها لاتفيد الا جماعة الشيعة وليست مؤسسة تعليمية حرة، ومع ذلك فقد قدموا الى المدرسين والاداريين معاشات مخفضة رغم انهم استثنوا ايضا عائلة ناصر أبادي من مصادر ثانية للدخل(٦٥).

واستمر البريطانيون في ايقاف المعاشات والاضرار

---

(٥٩) Govt.India, 29 Nov. 1853, FDFC, 27 Jan. 1854 no.91.

(٦٠) رود رانجيش مكرجي، أود في الثورة، ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨: دراسة حول المقاومة الشعبية (دلهي، مط. جامعة اكسفورد، ١٩٨٤) ص ٣٢ ـ ٣٦.

(٦١) جيمس اندروز برون رمزي، ماركيز الوزير، رسائل خاصة لماركيز الوزير، تحرير ج. بيرد (شانون المط. الايرلندية، ١٩٧٢) ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٦٢) نفس المرجع ص ٣٦٩.

(٦٣) اردبيستاني، الحصن المتين، الثاني ١٣٠.

(٦٤) كشميري، نجوم، الثاني ص ١٠٧.

(٦٥) من الارشيف: 31 Oct 1856. nos. 110- 115 (FDFC).

بالشيعة[٦٦]، وقد ناضلت اسرة ناصر أبادي بعد أن آذتها سياسة واجد علي شاه ثم البريطانيين من اجل استعادة المعاش الحكومي[٦٧].

وفيما بعد حاول المفوض باستحسان من الحاكم العام تقديم مبلغ ٥ آلاف روبية الى سيد محمد ناصر ابادي لمعاشه ولاهله، كذلك استحسن اعادة المعاشات الى المجتهدين بمبلغ ١,٩٧٧ روبية في الشهر، وللسادة بمبلغ ٤٩٥ روبية في الشهر[٦٨].

ومع ذلك فإن المعاشات المستمرة لم تفلح في تدميل الجراح التي سببها الضم البريطاني، بالنسبة للعلماء الشيعة[٦٩]، ولما كانوا في الماضي قضاة فقد واجهوا التهديدات بأن الدائنين يمكن أن يجروهم الى المحاكم البريطانية، وكانوا سيواجهون المحاكم المسيحية والمدعى الاوربي في محكمة اوربية[٧٠].

الشيعة والثورة في أود، مابين ١٨٥٧ - ١٨٥٩

لقد كانت محاولة انعاش أود النيشابورية، اولا ضمن احياء الامبراطورية المغولية، قد جعلت شمال الهند منغمس في اكبر المعارك التي عرفها، فنشأت ثورة بدأت بين الجنود الهنود في الجيش البريطاني، وعرفت لدى المؤرخين الغربيين باسم ثورةSepoy، الا انها ثورة انتشرت في اوساط كبار الملاك والفلاحين شمال الهند مثلما كانت لدى افراد الطبقة من السادة الاشراف في أود، الذين كوّنوا مملكتهم تحت زعامة شيعية.

وهناك دور كبير قام به الشيعة في الثورة وصفه المؤرخون الشيعة بعد الانتصار البريطاني في ما بين عامي ١٨٥٨ - ١٨٥٩ وتبعه بعض الكتاب بالانكليزية، وربما كان انشغال الشيعة بالثورة اقل شدة نظرا لفكرتهم عن ان الحرب المقدسة أو الجهاد لم يكن مشروعا في زمن الامام الغائب[٧١].

ومع ذلك فيمكن ان نأخذ تعبير ستوكسStokes حول ثورة الشيعة الهادئة بأنها«مقاومة ثانوية»، ومرحلة ثانية للقومية الحديثة بين المقاومة العنيفة لاستعمارية الجماعات التقليدية وبين الاحزاب المنظمة السياسية في زمن متقدم، وقد شغلت المجتمع بأكمله وابتكرت انماطاً جديدة من الزعامة في الفكر الديني.

وقد صور موكرجيMukherjee في عام ١٨٥٧، حربا دينية وحربا للاستقلال، كانت تدعو المسلمين في أود والهندوس الى النهضة ضد السيطرة الاجنبية[٧٢].

---

(٦٦) سيد محمد شوشتري، وكان سابقا مدرسا في المدرسة.

(٦٧) من الارشيف: Govt.India, 5 Jan. 1857, FDFC Feb. 1847 no.66.

(٦٨) المرجع السابق.

(٦٩) مكرجي: أود في الثورة ص ٣٢ - ٦٣.

(٧٠) رسالة غير مؤرخة لسيد محمد ناصر أبادي في كتاب «سيد محمد عباس شوشتري: مكاتيب عربية» مخطوط في الأدب العربي رقم ٤١، الورقة ٢٢ب - ٢٣أ، المكتبة الناصرية، لكنو.

(٧١) مشهدي: قيصر التواريخ ص ٢٢٣، ظفرنامة مخطوط فارسي رقم ٤٣١ الورقة ١٩أ، المكتب الهندي والسجلات (يقول بأن علماء الشيعة الرئيسيون لم يلتحقوا بالثورة).

(٧٢) انظر إريك ستوكس Eric Stokes: حركات المقاومة والقومية الافرو - آسيوية: نظام ١٨٥٧، والعصيان

ويمكننا أن نتفهم بشكل افضل مساهمة الشيعة في الثورة الفاشلة لو نظرنا الى المجتمع وفقا لتقسيماته الاجتماعية الى (طبقات) اكثر مما لو كان وحدة متناغمة، فهناك التجار والعمال (العوام) في القرى الكبيرة والمراكز المدنية، وهناك كبار الشيعة من اصحاب الاراضي (تعلقدار وزميندار) في منطقة الريف، وهناك ايضا الاشراف في البلاط (الامراء) في مدن لكنو وفايز أباد، بالاضافة الى علماء الشيعة، وكل هؤلاء كانت ردود فعلهم مختلفة تجاه الاحداث.

بدأت ثورة الجنود الهنود في منطقة ميروتMeerut في ١٠ ايار من عام ١٨٥٧، وكان هؤلاء من اجل دلهي حيث كان العصيان ضد البريطانيين وكان على رأس الثورة سراج الدين بهادور شاه الثاني (١٨٣٧ ـ ١٨٥٧)، وكان البريطانيون قد جعلوا من الملك المغولي العوبة، وفي ١٤ ايار طلب الامبراطور ان يقدم جامعوا الدخل الاموال اليه، ومالبث الجنود على طول نهر الكانجGanges أن بدأوا ايضا بالثورة وانتشرت اخبار الثورة في دلهي[٧٣].

واذا تحدثنا اولا عن اشتراك طائفة الشيعة في ثورة أود، فإننا نجد ان اشتعال الثورة بدأ في لكنو بتاريخ ٣٠ ايار نظرا لان الجنود السباهيين (الجنود الهنود المجندين في الجيش البريطاني) قد ثاروا طوال الليل. وفي اليوم التالي عبرت قوة مؤلفة من خمسة او ستة الاف من التجار والعمال الـ Gomti لتدعم القوات الثائرة، ولكن نظرا لان قوات لورنسLawrence قد أيأستهم فقد عادوا الى حيدر أباد، وكان الحشد في المدينة الذي اتى من الفقراء في المدينة القديمة يضم كلا من الشيعة والسنة بالاضافة الى الهندوس، ويشير بعض التعداد الايراني الى ان الحشد حوى بعض السادة الاشراف والواعظون المسلمون الذين قادوا مجموعة من الجزّارين والنساجين وغيرهم من التجار، كذلك يشير نفس المصدر الى اشتراك طائفة الشيعة بشكل واسع في الثورة.

ثم فيما بعد خلال حصار المقيم البريطاني، سمع جوبنزGubbins الصيحة(ياعلي) من المحاصرين، وكان الشيعة اتباع علي (رضي الله عنه) هم الذين صدرت عنهم هذه الصيحة، ومن هنا فإن التجار الشيعة والعمال والجنود اشتركوا في الثورة دون اي تحفظات خاصة وهؤلاء يمثلون معظم الشيعة[٧٤]. وفيما بعد كانت الاحداث التي حدثت في حزيران تثير تساؤلات حول الدور الذي قام به وجهاء الريف من الشيعة، وهنا اخذت الثورة تمتد الى داخل أود رغم ان الكثيرين كانوا ينتظرون مجرى الاحداث في لكنو حيث عزز البريطانيون سيطرتهم لمدة اسابيع، وقد ثار الجند في سيتابور Sitapur، كذلك اقسم كبار الملاك الشيعة

الثوري في الهند: دراسات في المجتمع الزراعي وثورة الفلاحين في الهند المستعمرة (كامبردج: مط. جامعة كامبردج، ١٩٨٢)، ص ١٢٠ ـ ١٣٩، وانظر ايضا: موكرجي: أود في الثورة، ص ١٤٧ ـ ١٥٧.

(٧٣) حول انتشار الثورة انظر: موكرجي: أود في الثورة، ص ٦٥ ـ ٦٦، وحول دلهي، انظر كتاب بقلم بيرسفال سبير: فجر المغول: دراسات في دلهي المغولية (كراتشي، ١٩٨٠) وكريستوفر هيبرت Christopher Hibbert: (التمرد الكبير: الهند ١٨٥٧) هارموند سورث، ١٩٨٠) ص ٢٦٩ ـ ٢٧٩.

(٧٤) مارتن رتشارد جوبنز: تاريخ للثورات في أود (لندن ١٨٥٨)، الطبعة (٣)، ص ١٠١ ـ ١١٥، ٢١٨ وظفرنامه الأوراق أ٢١ وب ـ أ١٧ ٣٢ ـ ٣١. ومن اجل اشتراك المدنيين في ثورة اود، انظر Beyly: الحطام، رجال المدن والتجار، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٦.

في المناطق المجاورة ايضا وهي محمود أباد وبهاتوامو Bhatwamu، ولحقهم بعض الراجات الهندوس، بالمقاومة والحرب ضد البريطانيين وصاغوه في مصطلح رمز بين كربلاء ورمز الهندوس(٧٥).

وفي (٨) و (٩) حزيران ثار الجند في فايز أباد وأجبروا البريطانيين على الانسحاب، وجعل الجنود عليهم زعيما هو احمد الله شاه، وهو شيخ سني صوفي من الطريقة القادرية، وكان يدعو للحرب المقدسة ضد البريطانيين لينتقم من استشهاد أمير علي أميتهافي (الذي كانت حركته المقدسة متركزة في الهانومان كارهي مما ادى الى مذبحة له ولرفاقه قبل ذلك بستة اشهر)، ومع ذلك فبعد يومين ظهرت في منطقة فايز أباد قيادة اخرى تضم الراجا مان سينغ Man Singh وكان من ملاك الاراضي الكبار الهندوس الذي جرد من ملكيته، ومحمد حسن خان وهو حاكم تحت الملكية القديمة(٧٦).

وفي تموز وصلت طليعة من الثائرين من فايز أباد وسيتابور الى القرب من لكنو في طريقهم لتحرير العاصمة، وكان يقودهم خان علي خان وهو وكيل الراجا الشيعي في محمود أباد.

وقد ركب لورنس Lawrence مع جنود للهجوم لكنه تراجع وقتل بعد ذلك ببضعة ايام، ودخلت القوات المنتصرة الى لكنو، وبدأت المناورة من اجل الزعامة عندما حاول احمد الله شاه وفشل في تكوين سلطة له في لكنو.

اما البريطانيون فعادوا الى مكان اقامتهم بعد سقوط لكنو في ٢ تموز، مما حاولوا منعه بقوة النار، ولكن بعد سقوط لكنو التحق الوجهاء الريفيون بالثورة باعداد كبيرة. وعلى الرغم من ان الراجات الهندوس قد سيطروا على منطقة الريف فقد لعب بعض الشيعة دورا حاسما، فقد ظهر «مهدي حسين» وهو حاكم سلطانبور كقوة في جنوب أود وذلك لتنظيم القوات الثائرة في الضواحي(٧٧).

اما زعماء الشيعة فلم يعارضوا، لان الحرب المقدسة كانت شرعية خلال غياب الامام، بل ان الشيعة من (التعلقدار) مثل محمود أباد وبهاتواموا Bhatwamou، فقد تحركوا في طليعة جيش الثورة الريفي.

وكان هناك فريقان، فريق السادة الاشراف والشيعة في المدن، وفريق من العلماء، ولكل منهما تصرف تجاه الثورة، لكنهما دعما الحرب، وكان لدى كثير من الاشراف الشيعة باديء الامر بعض التحفظات تجاه الثورة الشيعية وذلك لسببين، اولهما انهم كانوا يخشون على ممتلكاتهم، والثاني انهم كانوا لايزالون موالين للنظام القديم لواجد علي شاه، في

(٧٥) ظفرنامة، الورقة أ٣٧ - ب ٣٦، ومحمد امام علي خان: أثار يادكار (لكنو، ١٩٠٢) ص ١١٧ - ١١٩.

(٧٦) ظفرنامة، الورقة أ٣٩ - ب٣٧، و ب٤٨، عزل وزير خان، في كتاب بقلم س.١.١. رضوي و م ل بهارجاڤا Bhargava (محرران)، الكفاح من اجل الحرية في أوترپراديش، ٦ مجلدات (لكنو، ١٩٥٧) الثاني ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٧٧) موكرجي: الثورة في أود، ص ٩٩، ومن الوجهاء الريفيين الشيعة في الثورة مهدي حسين من فروخ آباد والراجا إمداد علي خان من كينتور.

سياسته للتقرب من الملكة في انكلترا[٧٨].

ولكن السادة الاشراف من الشيعة لم يستمتعوا كثيرا باسلوب المواربة، فقد اصبح لزاما عليهم مواجهة الحقيقة، وكان الثائرون في لكنو ومنهم اصحاب الاراضي والفلاحين والجنوْد الهندوس الثائرين، وكانوا يريدون شخصا من الاسرة النيشابورية وذلك كملك، لكن المرشح الرئيسي وهو ركن الدولة سجن في مقر الاقامة البريطانية، ثم مالبث عدد من الموظفين في حرم واجد علي بمن فيهم علي محمد مأمون خان، وضعوا بيرجيس قدر ميرزاBirjis Qadar Mirzaوعمره لايزال عشر سنوات.

وكانت والدته حضرة محل Mahall قد تمنت ان يكون ولدها في مركز الملك رغم ان بقية الزوجات كن يعارضن في مخاطرة واجد علي شاه والتدخل في كلكته التي يسيطر عليها البريطانيون[٧٩].

ورغب الثائرون في اعادة حكومة أود تحت امرة بيرجيس قدر بحيث تتفق مع ثورة دلهي التي كانت تسعى لاحياء الامبراطورية المغولية، ومن ثمّ رجعوا الى صيغ الحكم لأود ما قبل ١٨١٩، ووضعوا بيرجيس قدر بصفته نوابا اكثر منه شاه.

وجد الشيعة ان هذه الخطوة اكثر سهولة نظرا لانهم اعتقدوا بأن بهادور الشاه الثاني كان قد اتبع المذهب الشيعي منذ حوالي ١٨٥٣.

وفي ذلك العام كان ملك دلهي العديم القوة قد ارسل رسالة الى المجتهد الاول سيد محمد ناصر أبادي معبراً عن محبته لآل البيت واعلن ان كل من لايحب آل البيت لايعد مسلما. ولقد قدم هدية الى مقام العباس وهو المقام الشيعي المقدس في لكنو.

بعد ذلك بعام ارسل رسولا الى طهران، ليخبر ناصر الدين شاه في ايران باتباع المغول للتشيع وطلبه للدعم السياسي، وربما اعتبر الشيعة ان تنكر بهادور شاه لتشيعه ربما كان نوعا من التقية في حين ان السنة كانت تصدق ذلك وتجعل من اخر امبراطور مغولي مثالا لكل مسلمي الهند[٨٠].

ولقد نصب الطفل بيرجيس قدر كحاكم على أود في ٥ تموز ١٨٥٧ على اساس انه سيطيع أوامر الامبراطور المغولي في دلهي، اسرعت الحكومة الجديدة بتعيين موظفيها الرسميين ومعظمهم من الشرفاء في أود، ودفعوا شرف الدولة ليقوم بالعمل كوزير رغم ان بعض السادة الشيعة اعترضوا لانه سني، وعاد المهراجا الهندي بالكيشن Balkishen فاستولى على قسم الخزانة مرة اخرى، وتقلد مأمون خان منصب الوصي على البيت المالك وهو منصب قوي في حكومة يحكمها حاكم طفل. وعينت الحكومة الجديدة بيروقراطية

(٧٨) انظر جوبنز، تاريخ ص ٣٩ ـ ٤٠، وهو يذكر احمد علي خان منور الدولة، وميرزا حسين خان اكرام الدولة، ومحمد ابراهيم شرف الدولة، وراجابالكشBalkishenواخرون وانظر ظفر نامه: الورقة ب ١٩.

(٧٩) ظفرنامة، الورقة أ٣٤١، ومشهدي: قيصر التواريخ، ص ٢٢٣ ـ ٢٣٥، وكتاب ل.س. ساناشا: بيجوم أود (فارينارس، ١٩٨٠،) ص ٢٢٥ ـ ٢٣٥.

(٨٠) دليل حكيم احسن الله، الطبيب الموثوق لملك دلهي، في محاكمة بهادور شاه، ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧، وص ٤٢٤ ـ ٤٢٥، وانظر ايضا: ف.و. Bucklerتحرير م.ن بيرسون (آن آربور، جامعة ميتشيجان للدراسات حول جنوب اسيا وجنوب شرق اسيا، ١٩٨٥)، ص ٥٢ ـ ٥٣.

وسكرتيرين واصدرت الاوامر الى القوات الثائرة ونظمت مرتبات العساكر، وفي خلال الشهور التالية تعرف كثير من الاشراف على الحكومة في لكنو ودعموها بطريقة أو بأخرى[٨١].

وقامت الحكومة الثائرة بحملات رئيسة ضد المقيم البريطاني في ٢٠ تموز و ١٠ اب، ولكن لم تفلح في التخفيف من سلطة البريطانيين رغم انها في آب كانت قد سيطرت على قسم كبير من أود، وخارج أود كان التيار متحوّل لصالح البريطانيين، ولم تصل النجدة التي توقعها الهنود من ايران الشيعية، فأرسل مامون خان مبعوثا الى بهادور شاه يطلب الموافقة على تعيين بيرجيس قدر، لكنه وصل بعد سقوط دلهي بأيدي البريطانيين في ٢٠ ايلول، ومن ثم عاد الى لكنو. وسعى مامون خان لمنع وصول اخبار القبض على الامبراطور المغولي، وادعى ان بهادور شاه قد اعترف ببيرجيس قدر كملك، وقام نوابه فيما بعد بصك عملة عليها البيتين الشعريين التاليين:

الامبراطور (بادشاه) لكل الناس، للكل عَيَّنَ، بيرجيس قدرَ

قد صك العملة بالذهب والفضة، مثل الشمس والقمر.

وهذان البيتان يشيران الى انه بعد سقوط دلهي عادت الحكومة الثائرة للدعوة للملكية المستقلة في اود[٨٢].

وفشلت حكومة بيرجيس قدر في التخلص من المقيمين البريطانيين، والتهجم على كامپل في شتاء ١٨٥٧ - ١٨٥٨ مما دفع في آذار بالمتمردين الى خارج العاصمة، ومنذ خريف ١٨٥٧ تفرق الثائرون الى معسكرين، بحيث أن الشيعة والسادة الهنود يدعمون حضرة محل ومأمون خان وهم أوصياء على الطفل الحاكم، بينما السنة والطبقات العاملة توجهت الى أحمد الله شاه الذي وضع التوجهات الصوفية بالأسلوب الصوفي.

وتعاون الفريقان في التهجم على الموقف البريطاني في علم باغ Alambagh، ومنذ آذار ١٨٥٨ عندما انتصر البريطانيون على لكنو ركّزت القيادة نفسها في مناطق مختلفة من الريف ولازال يدعمها الثائرون من (تعلقدار) وفلاحيهم غير أن الانكليز لم يخضعوا ويذعنوا سنة اخرى. ولكن ماهي الصلة بين الشيعة العلماء الذين حصلوا على السلطة تحت حكم النيشابوريين، وبين النظام الجديد، لقد التحق الناصر أباديين الشباب بالحكومة في عدة مجالات، رغم انهم لم يستطيعوا استعادة السيطرة على القضاء، وسعى سيد محمد باقر ناصر أبادي منصف الدولة، في التحاقه الدائم بالزعيم الثائر مأمون خان، كي يستعيد منصب القاضي الرئيسي لنفسه، وذلك بدلا من ميرمهدي المعلم الشيعي لبرجيس قدر، ومع هذا فإن ميرمهدي لم يستخدم سيد باقر ليحصل على المعلومات عن حركة الجنود البريطانيين، وقد قدم الثائرون له قيادة النظام، جماعة علي التي اوكلها الى شقيقه علي محمد ناصر أبادي.

---

(٨١) ظفرنامة، رقم أ٤٣ - ب ٤٢، مشهدي: قيصر التواريخ، ص ٢٢٥ - ٢٢٩، ومن اجل العملة التي صكها برجيس قدر وتحمل اسم الامبراطور المغولي، انظر فيشر: البلاط الامبراطوري، ص ٩١.

(٨٢) من اجل العملة، انظر، س. ج. براون: نقود مملكة أود (مجلة الجمعية الاسيوية البنغالية ٨، رقم٦)، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

اما سيد عبد الحسين وهو ابن آخر لسيد محمد ناصر آبادي فقد وضع على القائمة البريطانية «كثائر» اما سيد محمد تقي وهو ابن المرحوم سيد حسين ناصر آبادي (توفي ١٨٥٦) في عمر اربعين سنة كواحد من اشهر العلماء في اود، وقد لحق بالبلاط، وصلى لبرجيس قدر، وبناء على طلب الثائرين استخدم معرفته الدينية ليعين الايام السعد (المحفوظة) من اجل مهاجمة المقيمين البريطانيين في لكنو(٨٣).

ولكن ماذا عن العلماء خارج نطاق اسرة ناصر آبادي، فمن بين الثلاثة والعشرين عالم شيعي كبير في لكنو (معظمهم معلمين سابقين وبعض تلاميذ في المدرسة الدينية)الذين حقق معهم البريطانيون فيما بعد، وكان اثنى عشر منهم يأخذون مرتبات من الحكومة الثائرة، واثنان طلبا وظائف وتسعة التحقوا بالبلاط وصلوا من اجل نجاح الحكومة. واستخدم بعضهم مثل ميرزا محمد علي، وسيد اصغر حسين وميرخادم حسين الذين استخدموا في كتيبة نجيب Najib، ومولوي حاكم حمزة علي بمساعدة مامون خان. اما مولوي مهدي شاه فقد خدم في قسم الاخبار(٨٤).

وليست هناك دلائل حول نشاطات علماء الشيعة خارج منطقة لكنو، لكننا نعلم ان جعفر علي جرجفي Jafar Ali Jarchavi (توفي ١٨٩٥)، وهو قارىء للقرآن قد تدرب في لكنو كباحث شيعي تحت رعاية اسرة ناصر آبادي، وقد قبض عليه مع السادة في بلدته في بلندشهر Bulandshar في عام ١٨٥٧. وذلك لاشتراكه في الثورة(٨٥).

وهناك بعض الاستثناءات بالنسبة لمساهمة ودعم علماء الشيعة للثورة، فمثلا سيد اعجاز كينتوري وكان يعمل لدى البريطانيين وساعد البريطانيين رغم انهم دمروا بيته بالقرب من مكان المقيم البريطاني، وانكر سيد علي ديوغا تافي وكان اماما للصلاة في فايز اباد اشتراكه في الثورة(٨٦).

وهناك حادثة مشهورة عن عالم شيعي ابتعد عن الحكومة الثائرة وهو المجتهد الكبير سيد محمد ناصر آبادي ويجدر بنا ان نلتفت اليها، فكما ذكرنا كان احد أبنائه له وآخر ثائر وثالث خادم لدى البريطانيين، اما سيد محمد نفسه فقد كان يزور زيارات مستمرة للبيجوم «ام الملك» وبرجيس قدر، واتى بتلاميذه كي يصلوا من اجل نجاح الثورة(٨٧)، وعينت الحكومة حراس في بيته لحمايته وحماية ثورته الكبيرة، ومع ذلك رفض الحرب المقدسة، وخلال الحصار البريطاني في شتاء ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨، عبر عن عدم استحسانه للحرب، وقد حير هذا التصرف المتناقض وكلاء الانكليز.

وهناك حادثة تاريخية يمكن ان نتحدث عنها، فقد حضر سيد محمد كثيرا الى البلاط

---

(٨٣) من اجل سيد محمد باقر، انظر كتاب سانت كلير وليم، ومن اجل عبد الحسين انظر: مولوي سيد بنده حسين.

(٨٤) من الارشيف.

(٨٥) نوكانوي: تذكرة الصفحات ١١٥ ـ ١١٧، ومن اجل الثورة في بُلند شهر، انظر ستوكس: الفلاح والراجا، ص ١٤٠ ـ ١٥٨ Govt.India and encl, 2 Mar 1859. nos. 510- 535.

(٨٦) من اجل سيد علي انظر: استقصاءات في سلوك المدعين من بوهو بيجوم وسيقةBvhoo Begum Waseega خلال الثورة الاخيرة، مجلة FDFG، ٢٩ نيسان، ١٨٥٩، رقم (٢٢٠).

(٨٧) انظر الارشيف Sec. chief Comm., oudh, to Govt India, 2 Mar. 1859 no.511.

في صيف وخريف عام ١٨٥٧، عندما أخذ أبناءه وظائف حكومية، ومع ذلك فالحصار البريطاني لكنو، وبالقوة المتزايدة للمتعصب السني أحمد الله شاه، وتجسس المخبرون الهنود عليه منذ نوفمبر عام ١٨٥٧ الى آذار ١٨٥٨ وقرروا انه رفض ان يقدم اقراره للثورة وقال لما سُؤل عن الفتوى ان هذا يمكن اقراره بواسطة اي نص يبرر ذلك من القرآن الكريم. وان الحرب ضد الكفار تكون عادلة اذا كانت على يد امام، وقيل ايضا ان المجتهديعتبر الحرب غير منصفة وضد روح الشرع كما نص على ذلك القرآن الكريم(٨٨).

وذكر البريطانيون مع ذلك ان المجتهد سمح لتلاميذه بأن يعظوا بالجهاد ويدخلوا في خدمة الثورة. واذن داخل اسرة ناصر ابادي هناك جيل يظهر انه غير مشترك فهناك فراغ في فترته، اذ ان الشباب من الاسرة كانوا يدعون للحرب المقدسة وقد عملوا في وظائف تحت ادارة بيرجيس قدر، اما سيد محمد الذي لم يعط شيئا من القوة التي كانت له في فترة الاربعينات (١٨٤٠)، فلم يقدم دعما جيدا للثائرين، ولما كان قد اعطى حكما في فترة (١٨٣٠) يسمح بالحرب المقدسة الدفاعية عندما هوجمت الاراضي الاسلامية، وطالما كان عدد من الايرانيين المجتهدين قد اقروا حروب ايران ضد روسيا في أوائل القرن، وقد أخذ سيد محمد منصبا عقائديا حذرا جدا في عام ١٨٥٨، وربما كان قد صان رهانه حول امكانية فوز البريطانيين او الثائرين، اوربما كانت «المبالغ الكبيرة» التي كانت في دوائر الحكومة البريطانية له قد وزعت ولاءه(٨٩).

وأخيرا برفض سيد محمد لتعريف الصراع بأنه حرب مقدسة، ربما حاول أن يميز اسلوبه في الزعامة الدينية عن اسلوب احمد الله شاه، وحدث صراع مماثل في اله آباد حيث رفض علماء الشيعة أن ينادوا للجهاد رغم ان السني الاصلي مولوي لياقت حسين قد فعل ذلك(٩٠). والنقطة الهامة هي أن الشيعة لم يحتاجوا الى بيرق الحرب المقدسة وذلك من اجل القتال ضد البريطانيين.

وكان البريطانيون قد لاموا المسلمين بسبب الثورة وكان لدى الشيعة الذين رغبوا في الابقاء على حياتهم وممتلكاتهم دافعا قويا لاقناع البريطانيين بأنهم أبرياء، لكن القوات البريطانية لوثوا أودنسوا الامام بارة ومسجد الصلاة للشيعة، لكن رفض بعض كبار العلماء الشيعة للنداء من اجل الحرب المقدسة قد ادى الى تفريق مجتمعهم عن مجتمع السنة على حين غرة، فالبريطانيون، رغبة منهم في بناء روابط لهم مع الجماعات المحلية تظاهروا بتصديق الاكذوبة عن هدوء الشيعة، وعلى الرغم من أن الموظفين البريطانيين في لكنو كانوا حذرين من سيد محمد ناصر أبادي: الا ان الحاكم العام كافأه بإعطائه المرتب كاملا من الحكومة البريطانية(٩١). واستخدم سيد محمد ايضا اصدقاء من الشيعة مثل سيد اعجاز حسين

---

(٨٨) تقرير الكاتبة أرر our.

(٨٩) سليمان، رحلة، الاول، ص ٣٠٩.

(٩٠) بايلي، الحكام، رجال المدن، ص ٣٦١.

(٩١) من الارشيف، انظر ڤينا تالوان أولدنبرج Veena Talwan Oldenburg: تأسيس لكنو: المستعمرة (برنستون، ١٩٨٤) ص ٣٦ - ٣٧.

كينتوري[٩٢]، وهكذا فإن الاسطورة حول هدوء الشيعة كانت تنطبق على كل من العلماء الشيعة والسادة الاشراف الذين كانوا يخشون من انتقام البريطانيين.

اما الشباب من العائلات التي تنتمي الى العلماء البارزين فقد استفادوا من البريطانيين، فسيد غلام حسين كينتوري وهو موظف خزينة سابق في المدرسة الشيعية اصبح مسجلا ووكيلا تحت إمرة المبعوث في لكنو، اما صهره وابن عمه سيد اعجاز حسين كينتوري فقد استمر في العمل في الحكومة البريطانية في أود، وأصبح أحد أبناء سيد محمد ناصر أبادي وهو سيد علي أكبر فأرسل وكيلا للمبعوث البريطاني في بهاريش، وهكذا تمكن الشيعة من العمل في الوظائف الحكومية.

خاتمة

كان العلماء الشيعة نادرا مايظهرون العداوة للبريطانيين خلال الفترة من ١٧٧٥ الى ١٨٤٢، بحيث انهم كيفوا انفسهم مع وجود التحالف بين حكومتهم الشيعية وبين البريطانيين.

وفي فترة الـ (١٨٤٠) والـ (١٨٥٠) اصطدموا في صراع مع الحكومة البريطانية لسببين، الاول انهم اصبحوا اكثر ارتباطا بسياسة حكومة أود كلما نمت ثروتهم وكلما اصبحوا اكثر سيطرة على النظام القضائي، وكانت المحاولات البريطانية للسيطرة على أود تهم العلماء، ثانيا، عارض العلماء محاولات البريطانيين في فرض سياسة تجاه الهندوس على الحكام النيشابوريين، كما حدث في محاكم حاكم بهاريش Bahraich او في الصراع في معبد آيودهيا.

فبعد الضم سعى العلماء اولا الى رعاية البريطانيين واستمرارية سادة أود في أخذ الرواتب، ورعد البريطانيون بمساعدة العلماء بمنحهم المرتبات، لكنهم وعدوا بأن يكون هذا لجيل واحد، وكانت سياستهم في الضرائب قد أدت الى الحاق الأذى بكثير من عائلات العلماء الشيعة. حيث الغى البريطانيون القضاء الشيعي والمدرسة الشيعية. واسوأ من هذا انهم أسلموا الدولة الشيعية، وهي مصدر ثراء وقوة المجتهدين الى النسيان وتركوا هؤلاء المجتهدين في ديون ثقيلة.

ولم تكن بضع روبيات في الشهر من مكتب المبعوث الرئيس، لتعيد المجد الضائع، وهكذا فإن العلماء الشيعة اشتركوا مع غيرهم من الشيعة من مختلف المراكز الاجتماعية في الثورة في الفترة مابين عامي ١٨٥٧ - ١٨٥٨، على الرغم من أنهم فيما بعد حاولوا أن يجعلوا اشتراكهم في الثورة أمراً غامضاً، وكان الشيعة دون الدولة النيشابورية قد أسسوا أقلية صغيرة في شمالي الهند، باشكالهم التقليدية وثروتهم المعرضة للتطلع من قبل البريطانيين وبنفوذ كل من السنة الهندوس.

---

(٩٢) كشميري: نجوم، ١/ ٢٩٢.

خاتمة الكتاب

لقد ركز الكتاب على موضوعين رئيسيين، الأول حول نمو الهيروقراطية وهو ما أدى إلى تركيز على حياة وأعمال رجال الدين، والآخر الطائفية أو الانغلاق الاجتماعي على أساس ديني، مما أدى إلى تفحص العلاقات ما بين الشيعة والمجتمعات الأخرى، ولا بد من مناقشة صلة كل من القضيتين بالأخرى وبالسؤال الأوسع حول التفرق بين المسلمين.

أولاً: يمكن أن نجيب الآن عن بعض الأسئلة حول الشيعة وعلمائها، فقد كان الشيعة الإمامية في القرن التاسع عشر يظهرون العداء تجاه الدول التي يحكمها ملوك، أو من السادة الأشراف أو أشخاص غير دينيين:

وعلى النقيض فإن الشيعة في مجتمع ما قبل الصناعي كانوا يتوقون إلى عالم يحكمه شيعة، واتبع رجال الدين أنماط مختلفة من السلوك بالنسبة للمؤمنين الذين يعيشون تحت حكم حاكم شيعي، مختلف عن تلك التي لأولئك العاملين تحت حكومات سنية أو غير مؤمنة.

وكان المجتهدون في أود يطالبون بلعن الخلفاء السنة خاصة لأنهم كانوا يعيشون في مجتمع يحكمه شيعة (دار الشيعة)، حيث كان الرياء الديني مسموحاً، وربما كان العلماء يرون أن الدولة النيشابورية غير عادلة، لكنهم لم يعتقدوا أنها غير شرعية، رغم أن شرعيتها بالنسبة لهم كانت مسألة عادة أكثر منها شيئاً يعود إلى الشرع الديني، وكانوا دوماً يطلقون على الحاكم اسم «الملك العادل».

أما بالنسبة لقضية الحالة الشرعية للدولة الشيعية وفقاً للقضاء الإمامي فهي ثانوية مع ذلك بالنسبة لتصرفهم الفعلي تجاهها، وهنا لدينا دليل على أن معظم علماء الشيعة في شمال الهند قد ساهموا بشكل فعال في الدولة النيشابورية فأخذوا المنح والمعاشات والأراضي والمناصب فيها، وخدموا كأئمة للصلاة ومعلمين في المدارس الدينية ومديرين للصدقات وفي القضاء.

وفي فترة الأربعينات من القرن التاسع عشر (١٨٤٠) أدار المجتهدون مبلغ ٣٠٠,٠٠٠ روبية في السنة كضرائب صدقات دفعتها خزينة الدولة، وتسلموا رواتب وأجور كبيرة من الشاه. ولم يلعب أي مجتهد أصولي كبير دوراً اعتراضياً في دولة أود، رغم أنهم لم يكونوا دائماً على رضىً عن سياستها، ولم يكن هناك سوى انتقاد لنيشابوري. أتىَ من الشيعي الصوفي مولوي ـ سامي ـ، أما الأصولي سيد ديلدار علي فقد تجادل بأن الشيعة يجب أن يدعموا الدولة، على أساس أن الأئمة وأتباعهم هم الأفضل.

وكان اعتماد العلماء على دولة أود من الناحية المالية ربما كان أكبر من اعتمادهم على إيران، وقد دعمت لكنو وفايز أباد نسبياً بعض التجار الشيعة، وذلك في سوق يحكمه أو يسيطر عليه السنة.

كذلك فقد كانت الأوقاف أكبر بكثير في إيران، بحيث أن العلماء كانت لديهم فرص

للاستخدام كبيرة كمشرفين، ولكن يجب أن نذكر أن كثيراً من العلماء الشيعة في أود كانوا (زميندار)، ومن صغار ملاك الأراضي الذين يستطيعون العيش مستقلين في القصبات يديرون مقاطعاتهم، كذلك، فإن كثيراً منهم كانوا يستمتعون بحياة العلماء في لكنو وفايز آباد، بالإضافة إلى صلاتهم أو استخدامهم من قبل البلاط الشيعي.

والشيء الهام هنا هو أن العلماء الشيعة كانوا دوماً شركاء في الدولة التي يحكمها الشيعة، لكن فكر العلماء أصبح أكثر مرونة عبر الزمن، وأصبح العلماء في فترة الأربعينات من القرن التاسع عشر (١٨٤٠) أكثر قابلية للاشتراك في الدولة بالطرق التي تختلف عن طريق آبائهم وأجدادهم، وقد بدأت الشيعة كحركة طائفية واستمرت تحت الحكم المغولي، وكان أولئك الذين يلحون على أن رجال الدين الشيعة كانوا يعانون حتى في دولة قاجار، لكن رجال الدين الشيعة كانوا قد أصبحوا أكثر صلحاً مع الحكومة بمرور الزمن، وبحيث يعتمدون على النظام والمجتمع، فحيثما كان هناك شيعة، ضد الحكم قبل السنة أو غير المسلمين، فإن الشيعة أصبحوا أقل ميلاً لأن يكونوا طائفيين في طبيعتهم وأصبحوا أكثر اندماجاً في الدولة، و قد بقي رجال الدين الشيعة بمؤسساتهم الدينية غير منتظمي الشكل، رغم أن سلطة المجتهد الأول في لكنو كانت معروفة في جميع أنحاء شمال الهند، ومع ذلك فقد زاد تنظيم الجماعة بشكل كبير منذ القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر، فعلى مستوى شعبي كانت جلسات الحداد وقراءة الشعر والعروض الجماهيرية، كل هذه أدت إلى وجود شبكات اجتماعية واسعة بين المؤمنين، كذلك فقد كان أئمة الصلاة، والقضاة، والمدرسون والمشرعون يشكلون مجموعة من الاختصاصيين في الشؤون الدينية تختلف عن سواد الناس بتدريسها وبما تتلقاه من مكافأة مالية تجاه العمل الديني، وقد اتبع الشيعة المدرسة الأصولية لأحكام الشريعة، وكانت قد أتت من العراق وإيران، كفكر.

وقد انتقل الشيعة من كونهم جماعة ذات فروق دينية طفيفة إلى جماعة ذات هوة كبيرة تفرق المجتهد أو الفقيه الشيعي عن العامل الشيعي الصغير، وباختصار، انتقل الشيعة من كونهم طائفة إلى جماعة دينية رسمية، فتحت حكم المغول كان الشيعة طائفة، وتحت حكم النيشابوريين أصبح لهم تنظيم ديني رسمي وذلك بسبب الثراء والمركز في الدولة الذي أُنعم على العلماء الشيعة، وقد تناولنا في الكتاب تحليلاً للمجتمع الاسلامي ما قبل الصناعي، فبعض الشيعة من العمال والحرفيين تطلعوا إلى المجتهدين باعتبار أنهم يخدمون الأثرياء بخنوع، وقد اعترضوا على صلوات الجمع أو تجاهلوها، وبعضهم تمسك بالفكر الديني الذي ينسب الألوهية إلى الإمام علي، والبعض انتسب إلى الحركة التي كان يتزعمها زعيم الغساليين في مرشد أباد، وكان بعض الشيعة من الفقراء أيضاً في بعض الأحيان موالين إلى المدرسة الاخبارية عندما أصبح الأصوليون مرتبطون بقوة بالطبقة الحاكمة، وقد أنكر الإخباريون شرعية الملكية الخاصة في الأرض، وقد وجد اعتقاد بأن الإمام الغائب سيعود في عام ١٢٦٠ هـ = ١٨٤٤ م وذلك ليملأ الأرض بالعدالة ويوحد الناس في معتقد واحد، رغم أن التاريخ مضى دون أن يصدر تعليق في أود، وقد وضع الشيعة من التجار صوراً

للأئمة وذلك للابتهال، وانغمسوا في بعض الممارسات المنافية للعلماء والاختصاصيين.

وقد طورت بعض الجماعات الأخرى من الطبقات الاجتماعية والاقتصادية أيضاً ثقافاتها الدينية الخاصة، وأصبح السادة الشيعة الكبار مثقفين في العلوم الشيعية فأصبحوا علماء، وظلّ بعضهم ملتزماً بالاخبارية لبضع أجيال، وفضلوها على سلطة رجال الدين الأصوليين، ورعى بعض السادة الأشراف أشخاصاً من المتصوفين أو قاموا بدراسة العلوم الصوفية الميتافيزيقية وفضلوها على كتب الفقه الديني ومبادىء أحكام الشريعة التي يريدها رجال الفقه أو المجتهدون، كذلك فإن كبار السادة الأشراف من خلال صالوناتهم أو مجالسهم والإمام بارة استطاعوا أن يبتكروا ثقافة دينية متركزة في تلاوة شعر الرثاء عن الإمام الحسين في كربلاء، وبطبيعة الحال فإن كثيراً من السادة الأشراف قد كرسوا شيئاً من طاقتهم للدين.

على أن المعاجم التي تقدم لنا تراجم للعلماء نادراً ما تعرض لنا تفاصيل عن الخلفية الثقافية لهؤلاء العلماء، ومع ذلك [illegible] المعلومات التي تمكنت من جمعها تقدم انطباعاً ثابتاً بأن معظم العلماء قد أتوا من (القصبات) حيث عائلاتهم كانت تملك بضعة قرى، وهناك علماء آخرون أتوا من الطبقات الخادمة في المدن، مثل فايز آباد ولكنو، والبعض أصبحوا من الأثرياء خاصة في فترة الأربعينات من القرن التاسع عش (١٨٤٠)، لكن معظم هؤلاء يبدو أنهم أتوا من الطبقات المتوسطة في المجتمع الإسلامي، وقد كان يكتنف التمييز الذين قاموا به بين السادة الأشراف (الأمراء) وبين العلماء تمييز ما بين الغني والمتوسط الحال.

فما هو التأثير الذي أحدثه نمو الهيرقراطية على العلاقات الطائفية في شمال الهند؟ يبدو جلياً أنه في المجتمع الغربي ما قبل الصناعي وجنوب آسيا كان هناك فرعان رئيسيان من التنظيم والسياسية الدينية المتبعة، أحدهما هو التنظيم غير العقلاني ويمثله الصوفيون والإخباريون الذين كانوا ينشدون التوحد الجماعي، فمشايخ الصوفيين كانوا كوسطاء وسط الجماعات الدينية، وكان الهندوس والمسلمين من الطوائف الأخرى بمثابة تلاميذ لهم، وكانوا دائماً يقدمون انتاجاً أدبياً. وكان البديل الرئيسي هو اتجاه عقلاني نحو الفقه الديني مثل الفقه الحنفي لدى السنة والفقه الأصولي لدى الشيعة، وقد اختار أورانغزيب وأمجد علي شاه السياسة العقلانية التي كانت تتوافق بشكل أكبر مع بناء الدولة من الأشكال التقليدية الدينية.

و[illegible] بالنسبة للنزاعات الدينية والشغب الذي استمر لفترة طويلة، كما بين بايلي Bayly، [illegible] الشريعة العقلانية الجديدة ساعدت على نقل النزاع إلى شكل أكثر سلمياً من الناحية الاجتماعية، وقد سبق نهوض العقلانية الأصولية تأثير الرأسمالية الحديثة، لكنه أثبت توافقاً كبيراً معها وبهذا اختلف عن الطرق الصوفية المضمحلة.

وهكذا فإن نمو الهيروقراطية قد عزّز التنظيم الاجتماعي على أساس ديني، فحيثما الإخباريين أو الشيعة الصوفيين اتفقوا مع السنة، خاصة بصدد لعن الخلفاء، كان الأصوليون يشجعون أنفسهم علناً، حتى لو كان في هذا مخاطرة، ورغم أن الأصوليين كانوا يريدون المشاركة السياسية مع السنة، فقد أكدوا على تخطيط أقوى للحدود الدينية، حيث كان

الأصوليون يدافعون عن قيام الدولة الشيعية بإبادة الهندوسية وتجريد الهندوس من كل حقوقهم الشخصية، وإعطاء الفرصة لهم إما للتحول إلى الدين الإسلامي أو الموت.

وأكد المجتهدون على أن يتجنب الشيعة النجاسة التي يمكن أن تأتي نتيجة الاختلاط بشخص من الهندوس أو النواصب، وهكذا فإن المجتهدين مهدوا لظهور الشيعية كهوية سياسية وذلك بدفاعهم عن النظام الديني بقوة.

وتلقي الفترة النيشابورية الضوء في شمال الهند بطريقين على مسألة التفرقة الإسلامية والنشاط السياسي الذي ميز المقاطعات المتوحدة عن جنوبي الهند، فلم يكن العلماء الأصوليون والممارسات الدينية في العزاء تعزز النظام الاجتماعي لدى الشيعة؛ بل إن سلسلة من الحركات السنية حدثت بشأن استعادة الحكم السني، وقد كانت التقاليد المغولية التي فشلت في عهد النيشابوريين قد أضعفت شرعيتهم بين السنة (زميندار) في القصبات، وقد عانت بعض المناطق اقتصادياً من مسألة الضرائب والمزادات، كذلك فعندما أصبح الحكم النيشابوري ضعيفاً في القرن التاسع عشر بسبب القيود البريطانية، فقد ازدادت قوة الهندوس (تعلقدار)، والتنظيمات الصوفية والتجار، أما في المناطق المجاورة التي يحكمها البريطانيون فقد قويت شوكة أصحاب الأموال من الهندوس بسبب متطلبات البريطانيين منهم، وقد بين بايلي Bayly نموذجاً في شمال الهند في القرن التاسع عشر حيث المدن التي يحكمها الهندوس من الناحية التجارية، في حين أن القصبات الإسلامية أضمحلت[١]، أما العائلات السنية ذات التقليد في ملكية الأرض والتعليم الديني فقد شعرت بضياع المجد والثراء السني.

وقد كانت الحركات التي قام بها سيد أحمد راي بريلوي في فترة العشرينات من القرن التاسع عشر، في الظاهر وحركة أمير علي أمهيتافي في ١٨٥٥، وحركة أحمد الله شاه في ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨، كل هذه كانت موجهة ضد جماعات غير الحكام الشيعة في لكنو، لكن سيد أحمد كان يحلم بالإطاحة بالنيشابوريين بعد أن حارب السيخ في البنجاب، وكانت حرب أمير علي المقدسة ضد الهندوس في آيوديها قد جعلته يصطدم عسكرياً مع قوات واجد علي شاه، وحمل أحمد الله شاه حقداً وعداوة تجاه بيرجيس قدر Birjis Qadar لا يقل عن حقده ضد البريطانيين.

ومارست هذه الحركات الثلاث، كما قال پاركن Parkin، صراعاً ثلاثياً فقد حارب هؤلاء الثائرون من السنة كلاً من الطبقتين غير المسلمة والطبقة الشيعية الحاكمة[٢].

على أن هذا الصراع في فترة القرن التاسع عشر بشمال الهند يبدو أنه لا علاقة له بالتطورات التي حدثت في القرن العشرين، إذ أن الأقلية المسلمة في أود والمناطق المجاورة التي رغبت في تأسيس دولة سنية فكرت بشكل مباشر في پيشاور Peshawar وغرب البنجاب والبنغال كأساس طبيعي ديموغرافي، وجاء نمو الدولة الشيعية وسلطتها، بالإضافة إلى

---

(١) س. أ. بايلي C.A.Bayly، الحكام، رجال المدن والتجار (كامبردج: مط. جامعة كامبردج ـ ١٩٨٣).

(٢) فرانك باركن Frank Parkin، الماركسية ونظرية الطبقة (نيويورك: مط. جامعة كولومبيا، ١٩٧٩).

التشوش الاقتصادي، بالنسبة للسنة بما قد أصبح المقاطعات وسلطتها، بالإضافة إلى التشوش الاقتصادي، بالنسبة للسنة بما قد أصبح المقاطعات المتحدة، وهكذا صدم أولئك الذين يسكنون جنوبي الهند وذلك بالتفرقة الكبيرة، وتضاعفت الصدمة بسبب ضم البريطانيين لأود، التي على الرغم من حكمها بأيدي الشيعة، قد أصبحت بأيدي مسلمة.

وعلى النقيض من ذلك، فإن السنة الذين يسكنون جنوبي الهند اختاروا العيش في حيدر آباد النظامية Nizamate، التي أبقت على التقاليد السنية المغولية حتى عام ١٩٤٧، وكان على أود السنية أن تواجه كلاً من الطبقة الشيعية الحاكمة والراجات الهندوس في المقاطعات، ويعود التشوق إلى دولة سنية بين بعض الأشخاص المتطرفين في المدن الصغرى شمال الهند إلى أوائل القرن العشرين.

ويقول (بايلي) Bayly إن جذور الطائفية تكمن في التشكلات الاجتماعية التي جلبتها المجتمعات الدينية في القرن الثامن عشر، سواء الطبقة التجارية من الهندوس، والجماعات الإسلامية العاملة والمتمركزة في القصبات أو في الأحياء الاسلامية للمدينة، وقد كانت التطورات الاقتصادية والإدارية والسياسية أخف وطأة بالنسبة للتجار من الهندوس عنها بالنسبة للطبقة العاملة المسلمة.

ولكن منذ عام ١٨٣٠ أفسح تفسخ السلطة واضمحلال نفوذ السادة الأشراف المجال أمام النزاع والصراع[٣]، ويتحدث بايلي عن الاضمحلال النسبي للقصبات من الناحية الاقتصادية والثقافية، في نهاية القرن التاسع عشر، فتحت حكم البريطانيين ومنذ عام ١٨٥٩ كان الفساد في القصبات قد جعل المسلمين يُصابون بالذعر، فحتى عندما ظلت المدن الاسلامية صامدة فإنها شهدت تدفقاً من قبل الهندوس.

وظل السنة في فترة الحكم البريطاني في الصراع المثنى مع كل من الهندوس والشيعة.

ونبه فرايتاج Freitag إلى أهمية الطقوس الدينية والشغب في تشكيل الهوية الدينية أواخر القرن التاسع عشر، فبالنسبة للهندوس، كانت حماية البقرة تشكّل صيحة للتجمعات وحركات الشغب، وبالنسبة للمسلمين لعبت احتفالات محرم وغيرها من الطقوس دوراً مماثلاً، وتدعم التنظيم الاجتماعي في هذه الفترة بواسطة انتشار التعليم الاسلامي وتأسيس المطابع الأردية التي نشرت أعمال العلماء والباحثين المسلمين، وأدت الثقافة المتطورة بين المسلمين إلى أن تصبح الأفكار التي دافع عنها العلماء من أجل هوية إسلامية أكثر قوة (سواء سنية أو شيعية)[٤].

وكانت نشاطات الشيعة تسعى إلى ممارسة كل الطقوس ونشرها بين المسلمين في عروض محرم، كما أن الخطباء الشيعيون ألحوا على المطالبة بأن الإمام علي (رضي الله عنه)

---

(٣) بايلي، الحكام، رجال المدن، ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

(٤) انظر ب. ميتكالف B.Metcalf، الإحياء الإسلامي في أود البريطانية (برنستون: مط. جامعة برنستون، ١٩٨٢)، وانظر أيضاً رفيع الدين أحمد، الحركة الإسلامية في البنغال إبان القرن التاسع عشر، في مقال تحرير جوبال كريشنا Gabal Crishna، مساهمات في الدراسات الجنوب آسيوية (١) (دلهي: مط. جامعة أكسفورد: ١٩٧٩) ص ٨٨ ـ ١٢٠.

كان يجب أن يخلف الرسول (ﷺ) دون أي تأجيل، لكن هذا عارضه كلاً من السنة المتشددين أمثال أهل الحديث، والأصوليين من الشيعة، وقد نشب الصراع السني - الشيعي في لكنو عام ١٩٠٦، وبناءً على ذلك توقف كل من الشيعة والسنة عن أخذ النصب التذكارية إلى نفس المدفن في كربلاء خارج لكنو وذلك في العاشر من محرم.

ومن ثم فإن العنف بين السنة والشيعة كان يحدث بشكل متواتر، مما جعل الهندوس متحالفين مع جانب أو آخر[٥].

وما لبث العلماء الشيعة وأصحاب الأراضي أن أعادوا بناء بعض المؤسسات في شمال الهند فأوجدوا المدارس والمعاهد الدينية من أجل الواعظين والخطباء، وقد انتشر في أواخر القرن التاسع عشر خريجون من مدرسة آصف الدولة شمال الهند ونصف القارة وكانوا يقدمون صلاة الجمعة للشيعة والدروس الأصولية الشيعية في لاهور وبيشاور في الشمال، وفي حيدر آباد في الجنوب، كذلك فقد نشرت أحكام الفقه بالأردية من قبل مفسرين أصوليين من الشيعة المسلمين. لكن الشيعة والسنة لم يتخلوا إطلاقاً عن القيود بين مجتمعيهما، وكان كثير من السادة الأشراف الشيعة يدعمون حركة الخلافة في فترة العشرينات من القرن العشرين (١٩٢٠)، المتمثلة في مطالبة السنة بأن يكون الحاكم العثماني، الذي قبله السنة من الهنود كخليفة لهم أواخر القرن التاسع عشر، له حماية بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، وقد تحالفت هذه الحركة مع حركة مهاتما غاندي واشتملت على نمو القومية في نصف القارة الحديثة، لكن العلماء الأصوليين المتشددين في لكنو رفضوا بادىء الأمر التعاون في حركة من أجل خليفة سني، اعتبروه كمتصب للحقوق التي تعود فقط إلى آل البيت، لكن إشاعات بشأن ضرب البريطانيين للأماكن المقدسة في العراق أدت إلى اشتراك البعض منهم ضدالبريطانيين[٦].

وكتب (Brass) براس، يقول إن العلماء المسلمين لم يلعبوا دوراً قيادياً في العصبة الإسلامية وفي الحركة من أجل باكستان، لكن روبنسون رد على ذلك مؤكداً بأن كثيراً من العلماء كانوا فعالين في هذه الحركة[٧].

غير أن النقطة الهامة هي أن العلماء لم يكونوا بناة سلطة، فقد كان السياسيون من المسلمين أكثر أهمية، بل إن الثقافة الدينية التي عززتها بعض مدارس العلماء قد وضعت الأسس لظهور هوية إسلامية سياسية بين الجماعات، ولا يسعنا هنا مناقشة مسألة حركة اندماج أو مساهمة الشيعة شمال الهند في الحركة من أجل باكستان، وكثيراً من العائلات الشيعية هاجرت إلى كراتشي، ويمكن الالتفات إلى أحد داعمي العصبة الإسلامية مثل راجا

---

(٥) ساروجيني جانجو Sarojini Ganiu، المسلمون في لاكنو، ١٩١٩ - ١٩٣٩، وكتاب امتياز أحمد، النزاع الشيعي - السني في لكنو، ١٩٠٥ - ١٩٨٠.

(٦) كيل مينولت Gail Minault، حركة الخلافة، السياسة الدينية في الهند (نيويورك: مط. جامعة كولومبيا، طبعة سعادة دلهي، ١٩٨٢) ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٧) پول براس Paul Brass، الجماعات الدينية، والهوية الدينية بين مسلمي جنوب آسيا (لندن ١٩٧٩) ص ٥٤ - ٦٢ وكتاب فرانسيس روبنسون - الاسلام والتفرقة الاسلامية في كتاب تايلور وياب (Taylor and Yapp) الهوية السياسية ص ٩٣ - ١٠٢.

محمود أباد.

إن توافق الأصولية مع بناء الدولة الإسلامية الحديثة يمكن أن يبرز في إيران الثائرة بعد عام ١٩٧٨، حيث اتخذ بعض الأصوليين الراديكاليين عقيدتهم بأنهم ممثلون للإمام الثاني عشر وطالبوا للمرة الأولى بحقهم في الحكم، وبالحقوق المتوازية المتساوية للمواطنين جميعاً.



Minarets of Ibrahim Roza